

كتاب
الضياء الشارق
في رد شبهات الماذق المارق

○○○○○○○○

تأليف
العالم العلامة . والبحر الفهامة
الشيخ سليمان بن محمد
قدس الله روحه

○○○○○○○○

طبع بأمر
حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم
سعود بن عبد العزيز آل سعود
ملك المملكة العربية السعودية
إبده الله

○○○○○○○○

١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م

كتاب

الشيء الشارح

في رد شبهات المارق المارق

تأليف

المعاليه ... والأستاذ ...

الشيخ ... بن ...

من علماء ...

...

مطبع بأمر ...

سعود بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

أيده الله تعالى

الطبعة الثانية في سنة ١٣٧٥

الفهرس

الموسوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٣
مبدأ دعوة الشيخ محمد رحمه الله	٤
حالة البلاد الاسلامية في عصر الشيخ	٨
حقيقة عقيدة الشيخ	١٤
تعبير اعدائه إياه بسكناء بلاد مسيلمة	١٧
الروساء الدين ناوؤا الدعوة	١٩
رجوع سليمان بن عبد الوهاب آحى الشيخ عن مذهبه المعادي للشيخ	٢٢
بعض معتريات أعداء الشيخ عليه	٢٩
الشيخ لا يكفر الا من كفره الله ورسوله	٣٣
حرب الدولة التركية ومحمد علي لأهل مجد	٤١
يجمع الشيخ زيارة قبر الرسول ﷺ	٤٨
أتباع الشيخ يبرأون من رأى الخوارج	٤٩
أمور بدعية أسكرها الشيخ	٥٦
الدولة السعودية في العهد الحاصر	٥٨
تجديد الشيخ محمد للعقيدة الاسلامية ، وحقيقة دعوته	٦٩
إنبات صفات الباري جلّ وعلا كالاستواء	٧٩
الاعتناء على المنقول في أمور الدين	٩٢
بعض مفترقات منسوبة الى أهل التوحيد	٩٣
اتبات الصفات ايس تجسّيا بل هو مذهب السلف	٩٦
الاستواء على العرش	١٠٠
الفاظ مبتدعة لم ترد عن السلف نقياً ولا اثباتاً	١١١
رؤية الله سبحانه وعلوه	١٢٠
الكلام على العرش	١٢٨

الموضوع	صفحة
مذهب السلف في اثبات الصفات	١٣٠
بد العقل إذا خالف النقل الصحيح	١٤٠
تعارض العقل والنقل	١٤٤
بطلان تأويل آيات الصفات وأحاديثها	١٥٣
أتباع الشيخ محمد لا ينعون الاجماع	١٥٧
اتباع الشيخ محمد لا يمنعون التقليد ولا القياس	١٦٠
» » لا يكفرون المقلد	١٦٤
مذهب السلف تكفير من قام به الكفر من أهل الاهواء	١٧٢
تناقض الزهاوي فيما ينسبه الى اتباع الشيخ	١٧٦
حكم الاستغائة والتوسل	١٧٩
شرك عياد القبور كشرك الاولين	١٨٤
الشرك وأنواعه	١٩٠
تعريف الاستغائة	٢٠٠
الاستغائة الشركية	٢١٠
يجوز الاستغائة ليسوا من العلماء	٢١٦
استدلال الزهاوي بأدلة في غير محلها	٢٢١
معنى (وابتغوا اليه الوسيلة)	٢٢١
آية (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة)	٢٢٥
آية (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك)	٢٢٩
آية (فاستغاثه الذي من شيعته)	٢٣٣
معنى آية (لا يملكون الشفاعة)	٢٣٦
حديث « أسألك بحق السائلين عليك »	٢٤٠
» الضرير الذي أتى الرسول ليدعوه له	٢٤٢
» مجيء بلال بن الحارث الى قبر الرسول ﷺ	٢٤٨

(ح)

الموضوع	صفحة
الفرق بين التوسل بالاموات والاحياء	٢٥٠
دعاء الاموات شرك	٢٥٤
قصة هاجر لا تدل على الاستغاثه بغير الله	٢٥٨
استغاثه الخلق بالنبي ﷺ يوم القيامة	٢٥٩
حديث « اذا أضل أحدكم سبياً » لا يصح دليلاً	٢٦١
عقيدة اتباع الشيخ	٢٦٨
زيارة القبور وحكمها وحكمتها	٢٦٦
عبادة الدور ومات كره العلماء عنهم	٢٧٧
حكم سدد الرحال الى المشاهد والقبور	٢٨٠
كلام ابن القيم في التونية عن حياة الانبياء	٢٨٦
الحلف بغير الله ، والنذر والدبح لغيره	٢٩٣
الزروع الى الدول الاجنبية غير المسلمة	٣٠٧
خاتمة الكتاب وتقريره نظماً للمؤلف وللشيخ محمد بن حسين الاصابي	٣٠٩

رسوله تمدا إلى السائق بالحق مبشرا ونذيرا وداعيا . ونصب الأدلة وأوضح
 حجة . فربق للناس على الله بعد ما أرسل من حجة ، فمن أجاب داعي الله فقد نجح .
 ومن نولى عن الحق معرضا انقضى به عوجا . فلما سكب هذا الرجل عن طريقة
 الحق والتحقق . ولجا فيما يتحله ويحكيه إلى ركن نمر وثيق ، استعنت الله
 على رد أبيه . وتهجين أضاليله وأساطيله . على سبيل الاستصار والمقتصار .
 ونكرت من كلامه مالا طائفت في الجواب عنه ، والله السائل المارجو الإجابة .
 أن يدان بالإصابة ، وأن يجوز له الاجر والإبابة ، وأن يعمل له لوجه خائفا .
 وأن يمنع به من قرأه ونظر فيه ، وأن يسمع به صاحب الباطل ومبتغيه .

فصل

قال العراقي :

الولائية ومنهولنا

أريحية فرقة منسوبة إلى محمد بن عبد الرهاب ، وإبتداء ظهور محمد بن
 عبد الرهاب كان سنة ١١٤٣ : إنما السمر أسره بعد التمدن ، فأظهر قريته
 الزائغة في نجد . وساعده على إظهارها محمد بن سعود أمير الدرعية ببلاد مسيئة
 الكذاب فجبر أهلها على متابعتها ابن عبد الرهاب فذا شاهده ، وما زال يندفع
 له في هذا الأمر حتى بدت هي من أسرار العرب متى حركت قوتها ، وأكبرت شهرتها .
 واستنحل أسره نفاقه البادية . وكان يقرئ الناس : ما يدعو إلى الترسيم .
 وترك الشرك بالله تعالى في عبادة . وكانوا يمشون خلفه حيثما مشى حتى اتسع
 له الملك .

فأجاب ، ومن الله استمد انصواب ، ان نقول :

أما منشأ دعوة الشيخ محمد بن عبد الرهاب رحمه الله وظهورها في نجد .
 فمن المعلوم عند الخاص والعام أنه قد نشأ في أماس قد اندرست فيهم معالم الدين .
 ووقع فيهم من الشرك والبدع ماعم وطم في كثير من البلاد ، الا بقايا متمسكين
 بالدين يعلمهم الله تعالى ، وأما الأكثرون فعاد المعروف بينهم منكرا ، والمنكر

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰

فصل

كان أهل عصره ومصره في تلك الأربان قد اشتد غربه الإسلام بينهم . وعفت آثار الدين لديهم ، واهدمت قواعد الملة الخيفية ، وطلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية ، واهمست أعلام السرية في ذلك الزمان . وغلب الجهل والقليل والاعراض عن السنة - القرآن ، وشب الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان ، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد ، وأعلام السرية سطوسة ، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة ، وطريقة الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام ، وأحاديث الكهان والطواغيت مقبولة غير مرددة ولا مدفوعة ، قد خلعوا ربقة التوحيد والدين ، وجدوا واجتهدوا في الاستغاث والاستغاث على غير الله من الأولياء والصالحين ، والأوتان والأصنام والشياطين ، وعلماؤهم ورؤساؤهم على ذلك مقبلون ، ومن البحر الأجاح شاربون ، وبه راضون ، وإليه مدى الزمان داعون . قد أعشتم العوائد والمألوفات ، وحبستهم الشهوات والإرادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات ، والآيات البينات ، يحتجون بما رووه من الآثار الموضوعات ، والحكايات المختلفة والمنامات ، كما فعله أهل الجاهلية وغير الفترات . وكثير منهم يعتقد النفع في الأحجار والنباتات ، ويتبركون بالآثار والقبور في جميع الأوقات (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الطلقات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) .

فأما بلاد نجد . فانه قد بالغ الشيطان في كيدهم وجد ، وكانوا ينتابون قبر زيد ابن الخطاب ويدعونه رغياً ورهباً بفصح الخطاب ، يزعمون أنه يقضى لهم الحوائج ويروونه من أكبر الوسائل والولائج ، وكذلك عند قبر يزعمون أنه قبر ضرار

ابن الأزور وذلك كذب ظاهر ، وبهتان مرور ، وكذلك من لم نحل ثحال يتناه
النساء والرجال ، ويفعلون عنده أقبح الفحال ، والمرأة إذا أحرعها الرجال ،
ولم ترغب فيها الأزواج ، تذهب إليه ونضمه يديهما وتدعوه برحاء راتمال
وتقول : يا ثحل الفحول ، أريد روحا قبل الحول . ونخرة عندهم تسمى العريضة
أغرام الشيطان بها ، وأوحى اليهم التعلق حايها ، وأنه ترحى منها البركة ، ويملقون
عليها الخرق لعل الرلد يسلم من السوء . وفي أسفل بلدة الدرعة معارة في الحبل
يزعمون أنها انما لقت من الجبل لامرأة تسمى بذ الأمير أمانه بعض الناس أن
يطامها ويضير ، فانلجت الغار ولم يكن له عايمها اقدار ، وكانوا يرسلون إلى هذا
المكان من اللحم والخبز ما يقات به جند الشيطان . وفي بلدتهم رحل يدعى
الولاية يسمى باح ينبركون به ، ويرحون منه العون الافراح ، وكانوا ماتون
إليه ويرغبون فيها عنده من المدد بزعمهم زلديه ، فتخلفه الحكام والائمة ، رينعمون
أن له تصرفا وفتكا لمن عصاه ولمحة مع أنهم يكون منه الحكايات السدية لتي
تدل على انحلاله عن أحكام الملة والشريعة . وهكذا سائر بلاد نجد على ما وصفنا
من الاعراض عن دين الله ، والجحد لأحكام الشريعة والرد . ومن العجب أن
هذه الاعتقادات الباطلة ، والمذاهب الضالة ، والعوائد الجائرة ، والصرائق
الخاسرة ، قد فشت وظهرت ، وعمت وطمت ، حتى بلاد الحرمين الشريفين .
فن ذلك ما يفعل عند قبر محبوب وقبة أبي طالب . فيأتون قبره بالسماعات
والعلامات للاستغاثة عند نزول المصائب ، وحلول المواقب ، وكانوا له في غاية
التعظيم ، ولا ما يجب عند البيت الكريم ، فلو دخل سارق ، أو غاصب ، أو
ظالم قبر أحدهما لم يتعرض له أحد لما يرون له من وجوب التعظيم ، والاحترام
والمكارم . ومن ذلك ما يفعل عند قبر ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها في سرف
وكذلك عند قبر خديجة رضي الله عنها ، يفعل عند قبرها ما لا يسوغ السكوت
عنه من مسلم يرجو الله والدار الآخرة فضلا عن كونه من المكاسب الدينية
الفاخرة ، وفيه من اختلاط النساء بالرجال ، وفعل الفواحش والمنكرات ،
وسوء الأفعال ، ما لا يقره أهل الإيمان والكمال ، وكذلك سائر القبور المعظمة

المشرقة في بلاد الله الحرام مكة المشرفة ، وفي الضائف فبر ابن عباس رضى الله عنه يفعل عنده من الامور السركية التي تشبث منها نفوس الموحدين ، وتنكرها قلوب عباد الله ، انخاصين ، وتردها الآيات القرآنية وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين ، منها رقوف السائل عند القبر متضرعا مستكينا ، وابداء الغافة إلى معبودهم مستعينا ، وصرف خالص المحبة التي هي محبة العبودية ، والنذر والذبح لمن تحت ذاك المتهد والبزية ، وأكثر سوقتهم وعامتهم يلهجون بالاسواء اليوم : على الله وملكك يا ابن عباس فيستمدون منه الرزق والغوث . وكشف الضر والبأس .

وذكر محمد بن حسين النعمي الزبيدي رحمه الله أن رجلا رأى ما يفعل في الضائف من الشعب السركية والوظائف ، فقال أهل السائف لا يعرفون الله انما يعرفون ابن عباس ، فقال له بعض من يترشح بالعلم معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله فانظر إلى هذا الشرك الوخيم ، والغلو الذميم المجانب للصراط المستقيم ، ووازن بينه وبين قوله (واذا سألك عبادى عنى فانى قربى أجيب دعوة الداع اذا دعان) الآية . وقوله جل ذكره (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) رقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى باتخاذهم قبور أبنائهم مساجد يعبد الله فيها فكيف بمن عبد الصالحين ودعاهم مع الله ، والنصوص فى ذلك لا تخفى على أهل العلم ، وكذلك ما يفعل بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام هو من هذا القبيل بالبعد عن منهاج الشريعة والسبيل . وفى بندر جدة ما قد بلغ من الضلال حده وهو القبر الذى يزعمون أنه قبر حواء وصفه لهم بعض الشياطين ، وأكثروا فى شأنه الإفك المبين ، وجعلوا له السدنة والخدم ، وبالغوا فى مخالفة ما جاء به محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من النهى عن تعظيم القبور والفتنة بمن فيها من الصالحين ، وكذلك مشهد العلوى بالغوا فى تعظيمه ، وتوقيره ، وخوفه ، ورجائه . وقد جرى لبعض التجار انه انكسر بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم وذلك فى سنة عشر ومائتين وألف فهرب إلى مشهد العلوى مستجيراً ، ولائذاً به مستغيثاً ، فتركه أرباب

الذوال ، وبينجسر أحد من الرؤساء ، والحكام عن حدث ذات المذبح والمنظم
واجتمع طائفة من المعروفين والندوة عن شجوبه في هذه سنين فتمود بالله
من ناعب النجرة والسيافين .

وأما بلاد مصر وصعيدا وأعمالها فجمعت من الأمور السريكية ،
والعبادات الوثنية ، والدعوى الفرعونية مالا يتسع له كتاب ، ولا يدور له
نصب لا سيما عند مشهد أحمد بن إدريس وأعماله من المنعمين في المهردين ، فقد
جاءوا بهم ما دمنه البغادية لأهله ، وحذرهم يرى له من سير البرية
والشرف في "سكرن المئسرة" المدرة "الامة سالم ينق من أحبار بعد الفراعنة
والنارئة ، وبعضهم يقول : يتصرف في "سكرن سبعة ، وبعضهم يقول أربعة ،
وبعضهم يقول : "تغيب يرجعون إليه . "كثير منهم يرى أن الأمور تدور بين
عدد من قلوبون إليه . فذكر إلى الله عما هو من المثلون عنواناً كبيراً (كبرت كلمة تخرج
من أفواههم أن يقولوا لا كذباً) وقد استباحوا عند تلك المشاهد من المنكرات
والفواحش والمفاسد ما لا يمكن حصره ، ولا يستصاع وصفه ، وانهمدوا في ذلك
من الحكايات ، الخرافات والأحاديث مالا يصدر من له أدنى مسكة وحظ
من المفقولات فضة عن "نصه ص والندريات . وكذلك ما يفعل في بلدان أمين
جار على تلك الطريق والسنن . في حينها ، وروع وانها وخبرها من تلك البلاد
ما تنزه العاقل عن ذكره ووصفه ، ولا يمكن إرقرف على غايانه كشفه ، وناهيك
بقوم استخفهم النسيان ، وعدوا عن عبادة الرحمن إلى عبادة القبور والسيافين
فسبحان من لا يعجل بالعقوبة على الجرائم ، ولا يهمل الحقوق والمظالم ، وفي
حضر موت ، والشجر ، وعدن ، ويافع ، ماتستك عن ذكره المسامع ، يقول
قائلهم نبي الله عيديرس . نبي الله يا محي النفوس .

وفي أرض نجران من تلاميذ الشيطان ، وخلع ربة الايمان ، مالا يخفى
على أهل العلم بهذا الشأن ، من ذلك رئيسهم المسمى بالسيد لقد أتوا من طاعته
وتعظيمه ، وتقديمه ، وتصديره ، والغلو فيه بما أفضى بهم إلى مفارقة الملة والاسلام
والانحياز الى عبادة الأوثان والأصنام (اتخذوا أجباهم ورهبانهم أرباباً من

دون الله ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون (وكذلك حلب ، ودمشق ، وسائر بلاد الشام فيها من تلك المشاهد والنصب والاعلام ؛ ما لا يجمع عليه أهل الايمان والاسلام من اتباع سيد الامم ، وهي تقارب ما ذكرنا في الكفریات المصرية ، واللصق بتلك الأحوال اثرية الشريعة وكذلك الموصل وبلاد الأكراد ظهر فيها من أصناف الترك والفجور والفساد وفي العراق من ذلك بحره المحيط بسائر الخلجان ، وعندهم المشهد الحسيني قد اتخذ الرافضة وتناً ؛ بل رباً مدبراً ، وخاتماً مبسراً ، وأعادوا به المجوسية ، وأسيروا به بمشاهد اللات والعري ، وما كان عليه أهل الجاهلية . وكذلك مشهد العباس ، ومشهد علي ، ومشهد أبي حنيفة ، ومعروف الكرخي ، والشيخ عبد القادر فاتهم قد افتنوا بهذه المشاهد رافضتهم وسنيهم ، وعداراً عن أسنى المسالب والمقاصد ، ولم يعرفوا ما وجب عليهم من حق الله الفرد الصمد الواحد وبالجملة فهم شر تلك الأمصار ، وأعظمهم نفوراً عن الحق واستكباراً ، والرافضة يصلون لتلك المشاهد ، ويركعون ويسجدون لمن في تلك المعاهد . وقد صرفوا من الأموال والنذور ، لسكان تلك الأجداث والقبور ما لا يحصل عشر معشاره لذلك العلي الغفور . ويزعمون أن زيارتهم لعل وأمثاله أفضل من سبعين حجة ، تعالى الله ونقدس في مجده وجلاله ، ولآلهتهم من التعظيم والتوقير والخشية والاحترام ما ليس معه من تعظيم الله وتوقيره وخشيته وخوفه شيء لئلا الحق والملك العلام ، ولم يبق مما عليه النصارى سوى دعوى الولدية . غير أن بعضهم يرى الحال لأشخاص بعض البرية ، سبحانه ربك رب العزة عما يصفون . وكذلك جميع قرى الشط والمجره على غاية من الجهل والمعرفة في القطيف والبحرين من البدع الرافضية ، والأحداث المجوسية ، والمقامات الوثنية ما يضاد ويصادم أصول الملة الحنيفية . فمن اطلع على هذه الأفاعيل وهو عارف بالايمان والاسلام وما فيهما من التفريع والتأصيل ، تيقن أن القوم قد ضلوا عن سواء السبيل ، وخرجوا من مقتضى القرآن والدليل ؛ وتمسكوا بزخارف الشيطان ، وأحوال الكهان ، وما شابه هذا القليل ، وازداد بصيرة في دينه ، وقوى بمشاهدته إيمانه

ويعيه ، ووجد في طاعة مولاه ونكره ، واجتهد في الالابة اليه وإدابة ذكره ،
وبادر الى القيام بوظائف أمره ، وخاف أسد الخرف على أيمانه من طغيان شيطان
وكفره . فليس العجب من ذلك كيف ذلك ، إنما له جب من نجاح نجا .

فما تفاف هذا الخطب وعثار ، وقد طمّ مرجح الكفر والشرك في هذه الامة
وجسم ، واندرب الرسالة المهدية ، وانمحت بها المعالم في جميع البرية .
وطمست الآثار السلانية . وأذيت المذبح الرضوية . والامور الشريكة .

تتجدد الشيع للادعوة الى الله . يرد هذا الناس الى ما كان عليه سلفهم اصاح
في باب العلم والايمان ، وباب العمل الصالح والاحسان ، وترك التعلق على غير
الله من الانبياء والصالحين وعبادتهم . والاعتقاد في الاحبار والانبياء .
والعيون والمغار ، وفريد المشايخ لرسول الله في الأقوال والأفعال وهجر
ما أهد به الخوف والاشياء . بناس في الله . فمرد حجة وبنايه ، وبذل نفسه
لله ، وأسكر على أعتاف بني آدم ، اسار جن عما جات به الرسل . المعربين
عنه ، الباركن له . ومنه في الرسل على من عاند وجادل ، وما حل حتى ظهر
الاسلام في الأرض ، را نرى البزء والعباد ، وعلت كلمة الله . وظهر
دينه . والله مع أهل الشرف والنسك ، واستبان لدى الآليات والعلوم من دين
الاسلام ما هو مقرر معلوم .

فهذه حمية حال شيخ زمانه ، وظهور دعوته . وهذه حال أهل الامصار
في تلك الاوقات والأعصار ، كما تقدم بيانه لذوى العقول والأبصار . فمن
شرح الله صدره للاسلام تبين له محجة ما دعا اليه هذا الامام ، ومن عى عن
طريق رشده وهده ، واجبع فيما ينتحل ما يهواه ، وتمرد على الله واستكبر وعتا
وتجبر . فانما الهداية بيد الله (ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شئنا ، ومن
لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

وبما ذكرناه يعرف كيفية الجواب عما تقدم من فاتحة كتاب هذا العراق
الى مبداء نشأة الشيخ وظهور دعوته ، وإنما تركنا الجواب لعدم المصلحة
الراجعة في ذلك .

فصل

قال الملحد فاطهر عقيدته الزائغة في نجد

(الجواب) أن يقال قد عرف واشتهر واستفاض من نفاير الشبح ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المفروعة ، وما ثبت بخطه ، وعرف واشتهر من أمره ودعوته ، وما عليه النضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته أنه كان على ما كان عليه السلف الصالح ، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإنبات صفات كماله ، وبعوت جلاله ، التي يطق بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الأخبار النبوية ، وتلقها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم يثبتونها ويزمتونها ، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل ، وقد درج على هذا من بعدهم من السابعين ، وتابعيهم من أهل العلم والإيمان ، وسلف الأمة وأئمتها . وكان رحمه الله يدعو الناس إلى الصلوات الخمس والمحافظة عليها حيث ينادى لها ، وهذا من سنن الهدى ومعالم الدين كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، ويأمر بالزكاة والصيام والحج ، ويأمر بالمعروف ويأمر الناس أن يأتوه ويأمروا به ، وينهى عن المنكر ويتركه ويأمر الناس بتركه والنهي عنه ، فمن زعم أن عقيدته وطريقته زائغة ، أو عن الحق رائغة . فلعدم معرفته بالعقائد السلفية ، والآثار النبوية ، بل تنادى عقيدته البيضاء بعقيدة السلف ، ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف ، بل قد تتبع العلماء مصنفاته رحمه الله من أهل زمانه وغيرهم فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يعاب . وأفواله في أصول الدين مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ولم يعب عليه إلا من خرج عن طريقة أهل السنة والجماعة لالفهم بما كانوا عليه من الشرك والضلال من عبادة غير الله تعالى ، بالالتجاء إلى الصالحين ودعائهم ، والاستغاثة بهم ، لأنهم لا يعرفون إلا ما نشأوا عليه من هذا الشرك العظيم ، والمرتع الوبي الوحيم الذي وجدوا عليه الآباء والجدود الراعين في رياض المحرمات والحدود . والاكثر منهم يتدين بالبدع والاهواء ، ويرفض ما درج

عليه "سلف" الصالح من الدس "تقديم" الاولى . ويتحل ما كان له الفلاسفة المتقدمون ، وورثتهم من المتكلمين انديس يحرفون الكلام من مواضعه . ويتبعون ما تشابه منه انغاء "مفتنة" ، وانغاء تأويله وحسبنا الله ونعم الزكيل .

وأما قوله : وساعده على اظهار هاشم بن سعود أمير الدرعية لادمسية "كذاب" فأقول : نعم قد استجاب لهذه الدعوة المحمدية والملة الالهية من أهل الإسلام عصاة حصل بهم من "عز والمنعة" ما هو غير ان التوفيق والاصابة . فكما وانصرفته المتلى متبعين ، وبأفوائه وأفعاله مقتدين ، لا يزالون معه في اخلاص الدعوة مشمرين ، وفي ادحاض الباطل وأهله محمدين ، وبإضناح مناهج الشرك معملين . ولها منكرين . وعنها محذرين ، وفيما يرضى الله من رعين . ولاهل الدس والحق مكرمين . ولاهل الضلال موهنين ، وللضلال والفساق مهينين . ولجميع عقائدهم مبينين . فآمنين في ذلك لرب العالمين ، ولوجهه الكريم محتسبين . وللتحاة مرتجين (والدس حاهدوا فينا لهدمهم سبلنا وان الله لمع الحسنين) ، فقد قال الامام أحمد بن حنبل - الحنظلي النخعي في أرحورة له ذكر فيها ظهور هذه الدعوة المحمدية ، والطريقة السلفية ، قال فيها :

أحمد مهلاً مسلحاً	مخوفلاً محيلاً محسلاً
مصلياً على الرسول النارع	وآله وصحه والتابع
في الدس والخيم (وأما بعد)	فهذه منظومة نعد
حركني لتعلمها الخبر الذي	ودجاءنا في آخر العصر القدي
لما دعى الداعي من المشارق	بأمر رب العالمين الخالق
وبعت الله لنا محدداً	من أرض نجد عالماً مجتهداً
سيح الهدى محمد الحمدي	الحنبلي الاثري الاحدي
فقام والشرك الصريح قدسرى	بين الورى وقد طغى واعتكر
لا يعرفون الدين والتليلا	وطرق الإسلام والسبلا
الا أساميا وباقى الرسم	والارض لا تخلو من أهل العلم
وكل حرب قلهم وليجة	يدعونه في الضيق للتفريجة

وملة الاسلام والاحكام
 دعا الى الله وبالتهائلة
 مستضعفا وما له مناصر
 في ذلة وفلة وفي يده
 كأنها ریح الصبا في الرعب
 قد أذكرني درة لعمر
 ولم يزل يدعو الى دين النبي
 بعلم الناس معاني أشهد
 محمد بيده وعبد
 أن يعبدوه وحده لا تسركوا
 ومن دعا دون الاله أسماً
 ان تلموا معبدكم للتقرب
 وربنا يقول في كتابه
 هدى معاني دعوة المسيح لمن
 فاقسم الناس ففهم شارد
 ما بين خناش وبين جعل
 وبعد ما استجيب لله من
 ومن أجاب داعي الله ملك
 والسابقون الأولون السادة
 هم الغيوث والليوث والسنف
 فأقبلوا والناس عنه أدبروا
 حفوا به كأسد العرائن
 وابن سعود كأي أيوب
 قال اذهبوا فأنتموا سيوم
 وقام فاروق الزمان المؤمن

في غربة وأهلها أيتام
 يصرح بين أظهر القبيلة
 ولا له معاون موازر
 مهفة بغنيه عن مهنده
 والحق يعلو بجنود الرب
 وضرب موسى بالعصا للحجر
 ليس الى نفس دعا أو مذهب
 ان لا اله غير فرد بعد
 رسوله اليكم وقصده
 تنبأ به والابضاع فآركوا
 أشرك بالله ولو محمداً
 أو للشفاعات فلك الكذبة
 هذا هو اسرك بلا تشابه
 عاصره واستكبروا عن السنن
 مناصم محارب معاند
 شامت وجوه أهل هذا المثل
 حادل في الله تردى وافس
 ومن تولى معرضاً فقد هلك
 آل سعود الكبار القادة
 ونصرة الاسلام والشم الأنف
 وعرفوا من حقه ما أنكروا
 وكم وكم لله من ضنائ
 محمد الربيل واليعسوب
 وجند رب قبله حيزوم
 عبد العزيز من ومن ومن

صار في الناس كثيرة الاشج
 يسوس بالآثار والقرآن
 يدعو الى الله بحزب غالب
 ونفسه لله والنفس
 وبعده قام الامام البارع
 وهو الهزبر الضيغم العدل الرلى
 كم زع بالقرآن والسلطان
 وفي العراق له رعود
 واليمن الميمون كالحجاز
 والخرميين وهى المطهرة
 بالرفق بدعوه وبالتعطى
 ولم يكن في نزعه من ضعف
 فلم اذى من عبقرى يفرى
 وهكنا من يبدى بنفسه
 فانه يطاع لالحاله
 ونغات أمره مرجمة
 وهو الغيور السهم ليس رضى
 لا يطالب الدنيا ولا السادا
 أو مذهبا أو ذهاباً يريد
 ودوح البر وخاض للشبح
 على طريق العدل والاحسان
 مجاهد بالاربع المراتب
 والصدق للقاوب مغناطيس
 بأمر رب العالمين التوازع
 سعود مخ الرأس قلب الهيكل
 من فارس والروم والرنحان
 ومصر من صولته مرعود
 درخها بالقهر والمغارى
 قد أصبحت بعداه معطره
 ومن أبى نظره بالمشرقى
 وساهد الواقع فيه يكفى
 فربه من أمراء العصر
 محاهداً في يومه وأمه
 في خارج ببعاً بلا انقاله
 ليظهر الحق وتعلو الكلمة
 بيضة الاسلام أن ترصا
 في الارض والعلو والعنادا
 وانما مطلوبه التوحيد

فصل

وأما تعيينه أهل الاسلام بأن بلادهم بلاد مسيالية الكذاب
 فالجواب ان بقول سبحانه الله ما اعظم شأنه وأعز سلطانه فانه لا يعير بهذا
 الكلام الا أشباه الانعام فان سكنى الدار لا تؤثر فان الصحابة سكنوا مصر
 وبلاد الفرس وفضلهم لا يزال في مزيد وإيمانهم قهر أهل الشرك والتنديد

وعادت تلك البقاع والاماكن من أفضل مساكن أهل التوحيد وقد روى الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : دخل ابلبس العراقي ففضى فيها حاجته ثم دخل الشام فطرده ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عليها عبقرية ، ولا يقول مسلم بدم علماء العراق لما ورد فيها وقال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى وقد قال لي بعض الازهرين : مسيلة الكذاب من خير نجدكم فقلت وفرعون اللعين رئيس مصر كم فبهت ، وأين كفر فرعون من كفر مسيلة لو كانوا يعلمون . وقال الشيخ ملا عمران بن علي بن رضوان نزيل لنجة في رده علي من عارض الشيخ محمد وعيره بأن بلاده بلاد مسيلة الكذاب قال بعد كلام سبق :

قد عيروه بانه قد كان في	وادي حنيفة دار من لم يسعد
قلنا لهم ما ضر مصر بأنها	كانت لفرعون الشقي الاطرد
ان الناردة الفراعنة الاولى	كانوا بأرض الله أهل تمر
ذا قال أما رب وذا متنيء	هم في بلاد الله أهل ترند
يمنا وشاما والعراق ومصرها	من كل طاغ في البرية مفسد
فبموتهم طابت وطار غبارها	وزهت بتوحيد الاله المفرد
ان المواطن لا تشرف ساكنها	فيها ولا تهديه ان لم يهتد
من كان لله الكريم موحداً	لومات في جوف الكنيف المطرد
وبعكسه من كان يشرك فهو لم	يفلح ولو قد مات وسط المسجد
خرج النبي المصطفى من مكة	وبقي أبو جهل الذي لم يهتد
ان الاماكن لا تقدر أهلها	ان لم يكونوا قائمين على الهدى

وأما كونه أجبر أهلها يعني أهل الدرعية فنالكذب والبهتان بل دخلوا في دين الله أفواجا واستجابوا لمن دعاهم الى الله وأدخلوا سائر أهل نجد بمن لم يقبل دين الله ورسوله في دين الله قهراً وقسراً وجاهدوهم حتى تبين لهم صحة هذا الدين وذاقوا حلاوته وأطمأنوا به وجاهدوا مع الأئمة محمد بن سعود من لم يدخل فيه حتى استوسقت له جزيرة العرب ودانت ، ثم أن الذين أنكروا هذه الدعوة

من الدول الكبار والنسوح وأنواعهم من أمم الفري والامصار أجلبوا على
عداوة أهل الاسلام وهم إذ ذاك في عدد قليل وفي حال تظاير الاسباب معهم
وفقرهم فروعهم عن قوس العداوة فمن أهل نجد دهم بن دواس وابن زامل
وآل بجاد أهل الخرج ومحمد بن راشد راعي الحوطة وتركى الهراثي وزيد ومن
والاهم من الاعراب واليه ادى كذلك العنفرى فى اوتهم ومن تبعه وشيوخ قري
سدبر و"تخصيم وبنو اذى نجد وابن حمد ملك الاحساء ومن تبعه من حاصر وادى
وكلمهم تجمعوا الحرب المسلمين مرارا عديدة مع عربهم وأولادهم منها نزلهم
على الدرعية وهي سباع لا يمكن تحصنها . لا بواب والبنا وقد أسار إلى ذاك
العلامة حسين بن غنام رحمه الله تعالى بقوله :

وجاءوا بأسباب من الكيد مزيج مدافعهم يزجي الوحوش رماها
فزلوا البلاد واجتمع من اجتمع من أهل نجد حتى قال من يدين الله من العلماء
وهو من أسل عنائهم وعقلائهم . لما سئل كيف أنكل عليكم أمر ربهم وفساد
وظلمه وأتم تعينونه ويقالون معه فقال لو أن الذى حاربكم ليس كنا معه
والمقصود أن الله تعالى رده بغيظهم لم نالوا خيراً وحى الله تلك القرية فلم يشربوا
من آبارها .

وأما وزير العراق فشى مرارا عديدة بما يقدر عليه من الجنود والكيد
الشديد وأجرى الله تعالى عليهم من الذل ما لا يخطر ببال قبل أن يقع بهم ما وقع
من ذلك أن ثوى فى مرة من المزار مشى بجنوده الى الاحساء بعد ما دخل أهلها
فى الاسلام فى حال حداثتهم بالشرك والضلال فلما قرب من تلك البلاد أناه
رجل مسكين لا يعرف من غير نملات أحد من المسلمين فقتله فمات فنصر الله
هذا الدين برجل لا يعرف وذلك مما به يعتبر فاقبلت تلك الجنود وتركوا
ما معهم من الموائى والاموال خوفاً من المسلمين ورعباً فغنمها من حضر وقد
قال الشيخ حسين بن غنام فى ذلك :

تقاسمت الاحساء قبل منالها فللروم شطر والبوادرى لهم شطر
فى آيات كثيرة

ثم جددوا أسباب الحرب المسلمين وساروا بدول عظيمة يتبع بعضها بعضاً

وكيد عظيم فنزارا الاحساء وقادهم على كيخيا فنحصن من ثبت على دينه في الكرت وثغر صاهود فزل بهم وصار يضربهم بالمدافع والقناير وحفر اللغوب ، فأعجزه الله ومن معه من ارتد عن الإسلام فولى مدبراً بجموده ، فاجتمع بسعود ابن عبد العزيز في اح وعروه الذين معه رحمه الله ، والذين معه من المسلمين أقل من المستنق أو آل ظفير الدين مع الكيخيا فألقى الله الرعب في قلوبهم على كترتهم وقوتهم فصارت عبرة عظيمة فطلبوا الصلح على أن يدعمهم سعود يرجعون إلى بلادهم فأعطاهم أماماً على الرجوع فذهبوا في دل عظيم ، فلما قدم كل منهم مكانه مات سليمان باشا وذلك من نصر الله لهذا الدين فأهلك الله من أنشأ هذه الدل تم قام على كيخيا فصار هو الباشا فأخذ يحدد آلة الحرب ، فجمع من الكيد والأسباب ما كان معه في تلك الكرة ، فلما كملت أسبابه وجمع الجموع فلم يبق إلا خروجه لحرب المسلمين لينتقم من أهل هذا الدين سلط الله صيدين بمالوكين عنده يبيتون معه ففتلوه آخر الليل ، فحمدت تلك النيران ، وتفرقت تلك الأعوان ، ثم قام لهم قائمة فيألفها عبرة ما أظهرها لمن له أدنى بصيرة فاعتبروا يا أولى الأبصار ، أين ذهب عقل من أسكر هذا الدين ، وحادل وكابر في دفع الأدلة على التوحيد وما حل .

وكذلك ما جرى في حرب أشراف مكة لهذه الدعوة الإسلامية والطريقة المحمدية ، وذلك أنهم من أول من بدأ المسلمين بالعداوة فحبسوا حاجتهم مات في الحبس منهم عدد كثير ومنعوا المسلمين من الحج أكثر من ستين سنة ، وفي أثناء هذه المدة سار اليهم الشريف غالب بعسكر كثيف وكيد عنيف ، وقدم أخاه عبد العزيز قبله في الخروج فنزل قصر بسام فأقام مدة يضرب بالمدافع والقناير وجر عليه الزخافات فأبطل الله كيده على هذا القصر الضعيف بناؤه ، القليل رجاله ، فرحل منه ووافى غالباً ومعه أكثر الجنود ، ومعه من الكيد مثل ما كان مع أخيه أو يزيد ، فنزلوا جميعاً الشعراء فجند في حربهم بكل كيد فأعجزه الله تعالى عن ذلك البناء الضعيف الذي لم يتأهب أهله لحرب البناء والسلاح فأبطل الله كيده ورده عنهم بعد الإياس ، فسلط الله المسلمين على من كان معه

من الأعراب خصوصاً مطير فأوقع الله بهم في العداوة ومعهم مطلق الحراب
فهمزهم الله تعالى ونعم المسلمون جميع ما كان معهم من الإبل والخيل وسائر
الموائم فصار ما ذكرناه من صر الله وبأيده لاهل هذا الدير عبرة عظيمة ،
وفي جملة قتلاهم حصان الميس . وبعد ما ذكرناه جد غالب في الحرب واحتمل .
لكن صار حربه للأعراب ، ولم يتعد النير فيغزو على من استضعفه ويغزو .
فأعطى الله أعراب المسلمين الذفر عليه في عدة وفعات من أعظمها وقعة الحرمة
على يد ربيع ونزرة من أهل الوادي وبعض قحطان فهرمه الله تعالى واستد
القل في عسكره فأخذوا جميع ما كان معه من الموائم وغيرها ، فصار بعد ذلك
في ذل وهوان ففتح الله "طائفة للمسلمين" ، وصار أميره عثمان بن عبد الرحمن
فاجتمع فيه دولة للمسلمين وساروا لحرب الشريفة ومعهم عبد ارهاب أنو نقطة
أمير عسير ، وسالم بن شكبان أمير أهل بسطة فتراروا دون الحرم ، نخرج اليهم
عسكر من مكة فقلوه ، فطالب الشريف المذكور بهم الامان فلم يهبلوا منه
إلا الدخول في الإسلام والبيعة للامام سعود فأعطاهم البيعة على بدرجال بعثهم
اليه ، هذا بعد وقعات تركنا ذكرها كراهة الإطالة لأن القصد بهذا الوضع
الاعتبار بما جرى لاهل هذه الدعوة من النصر والتأييد ، والظهور على فلة
أسبابهم ، وكثرة عدوهم وقوته ، وذلك من آيات الله وسنانه . على أن ما قام به
هذا الشيخ في حال فساد الزمان الذي بعث الله به المرسلين . وتبين أن
هذه "طائفة" في هذه الازمنة هي "طائفة المذكورة في قوله ﷺ « ولا تزال طائفة
من أتى على الحق منصور لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر
الله وهم على ذلك » ، وقد كانت هذه الطائفة قبل ظهور الشيخ فيما تقدم موجودة
في الشام ، والعراق ومصر وغيرها بوجود أهل السنة وأهل الحديث في القرون
المفضلة وبعدها ، فلما اشتدت غربة الاسلام ، وقل أهل السنة ، واشتد التكبر
عليهم ، وسعى أهل البدع في ايصال المكر اليهم ، آمن الله بهذه الدعوة ، فقامت
بها الحجة ، واستبانت المحجة .

والمقصود أن كل من ذكرنا ممن عاداهم من أهل نجد والاحساء وغيرهم

عن لبواذى أمسكهم الله ، ولحمهم اجمعوه حتى في الذراري والاموال ، فصارت
أموالهم فيها لاهل الاسلام ، وانسر ملكهم وصار كل من بقي في أ. ا. اكهم
ساجداً بغيرها لأمام المسلمين ، فأنهم بهذا الدين ، فانسر ملك أهل الاسلام حتى
وصل الى حدود الشام ، مع الحجار ، وتهامة ، وعمان ، فصاروا بحمد الله في أمن
وأمان ، يحفظهم كتل مبطل وشيطان ، ففي هذا مصير لاهل الاعتبار ، مع ما وقع
بمن حاربهم من الحراب والدمار ، واستيلاء المسلمين على ما كان لهم من العمار
والديار ، ولا يزال في هذا الدين بعد هذا البيان إلا من عجمت بصيرته ، وفسدت
علايته وسيرته ، انتهى من المقامات التي أنفها التسع الامام عبد الرحمن
ابن حسن مفتي الديار النبوية رحمه الله تعالى

وأما قوله : أما ولادته فقد كانت سنة الف ومائة واحدى عشرة سنة
فقد قدسنا أنه ولد رحمه الله سنة ١١١٥ خمس عشرة بعد المائة والالف من
الهجرة النبوية هذا هو الصحيح
وأما قوله وكان في ابتداء أمره من طلبه العلم ينردد الى مكة والمدينة لاحذه
عن علماءها ، ومن أخذ عنه في المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي والشيخ
محمد حياه السندى فأقول :

قد تقدم بيان رحلته وطلبه للعلم ، ومن من أخذ عنه من العلماء في المدينة
المنورة ، ومكة المشرفة ، والبصرة ، والاحساء ، وعن علماء نجد بما أننى من أئمة
وأما قوله وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من المشايخ الذين أخذ عنهم
يتفرسون فيه الغواية والالحاد ، ويقولون سيضل الله تعالى هذا ، ويضل به من
أشقاء الى آخر ما افترعه هذا العراقي الملحد وافراده

فالجواب أن هذا النقل كذب وافراء من غير شك ولا امتراء ، ثم او
فرضنا صحة هذا النقل لم يكن هذا القول عمن لا ينطق عن الهوى ، بل لا يعجز
الخصم الذي لا يخاف الله ولا يتقيه عن أكثر من هذا القول وأرغم وأفحش
منه وأعظم ، وقد قدمنا من حال الشيخ ودعوته الى الله وحسن سيرته ما يعتبر
به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

فذلك من آية حتى لو أنزلت من سريه حتى كن هواءيا
والكى على ملك لمركب ساد فبوت ران صحت سبانية يا
وأما قوله : وكذلك كان أبره عبادا ملك وهو من دعا الصالحين يتفرس
فيه الأخاء ، ويحذر الناس منه .

فالجواب أن نقول : وهذا أيضا من الكذب وتهيان . وأمرور و عدوان .
بل كان والده يعظمه ويحرف بالاسمائه منه ، ولم يذره عن والده هذا لنقل
من بعده بهتة ، وإنما يسميه بتمس هذا أبه ، ويسميه به من جس روره ودهجه
في أهل العلم والايان جسرا يتوصل منه . ويحبر الى ما اضرى عليه ، ورثه له
الشيخان من عبادة الصالحين والوسل بهم ، وعدم الدحول تحت أمر أولى العلم
وترك لقبول منهم ، والاستغناء بما فنى عليه أهل الضلال واعبادهم من المصد
الضالة ، والمذاهب الجائرة .

وأما نسبة ذلك الى أخيه سليمان فلا مانع من ذلك ولا وجوب رد جبر هذا
الفاسق وعدم قبوله الا بعد التبين . ثم لو فرغت بخته فن سليمان وما سليمان ،
وهذه دلالة السنة والقرآن تدفع في صدره ، وتدرأ في تحرره ، وفي اسنهر ضلاله
ومخالفته لأخيه مع جهله وعدم ادراكه لشيء من فنون العلم . قال شيخنا الشيخ
عبد المظيف رحمه الله وفي رأيت له رسالة يعترض على شئ ، وبأملتها فإذا هي
رسالة جاهل اعلم بالصناعة . مزج الحصول والبضاعة ، لا يدري ما طحاها ،
ولا يحسن الاسدلال بذلك على من فطرها وسواها ، هذا وقد من الله وقت
تسويد هذا الوقوف على رسالة سليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه
الأول ، وأنه في استبان له النوحيد والايان ، ويدم على ما فرط من الضلال
والغيان ، وهذا بصها .

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن عبد الوهاب الى الاخوان أحمد بن محمد التويجري ، وأحمد
ومحمد ابنا عثمان بن شباهه . سلام عايكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فأحمد اليكم الله

الذى لا اله الا هو ، وأذكركم ما منّ الله به علينا وعليكم من معرفة دينه ، ومعرفة ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده ، وبصرنا به من العمى ، وأنقذنا به من الضلالة . وأذكركم بعد أن جئتم في الدرعية من معرفتكم الحق على وجهه وابتهاجكم به ، وثنائكم على الله الذى أنقذكم ، وهذا دأبكم فى سائر مجالسكم عندما ، وكل من جاءنا بحمد الله يشنى عليكم والحمد لله على ذلك ، وكتبت لكم بعد ذلك كتابين غير هذا أذكركم وأعظكم ، ولكن يا اخوانى معلومكم ما جرى منا من مخالفة الحق وانباعنا سبيل الشيطان ، ومجاهدتنا فى الصد عن اتباع سبيل الهدى . والآن معلومكم لم يبق من أعمارنا الا اليسير ، والأيام معدودة ، والآن نفاس محسوبة ، والمأمول بنا أن نقوم لله ونفعل مع الهدى أكثر مما فعلنا مع الضلال ، وأن يكون ذلك لله وحده لا شريك له لا لما سواه ، لعل الله يحو عنا سيئات ما مضى ، وسيئات ما بقى ، ومعلومكم عظم الجهاد فى سبيل الله ، وما يكفر من الذنوب ، وأن الجهاد باليد ، واللسان ، والقلب ، والمال ، وتفهمون أجر من هدى الله به رجلاً واحداً ، والمطلوب منكم أكثر مما تفعلون الآن : وأن تقوموا لله قيام صدق ، وأن تبنوا للناس الحق على وجهه ، وأن تصرحوا لهم تصريحاً بيناً بما أتم عليه أولاً من الغى والضلال ، فيا اخوانى الله فالأمر أعظم من ذلك ، فلو خرجنا نجار الى الله فى الغلوات ، وعدنا الناس من السفهاء والمجائين فى ذلك ، لما كان ذلك بكثير منا وأتم رؤساء الدين والدنيا فى مكائهم أعز من الشيوخ والعوام كلهم تبع لكم فاحمدوا الله على ذلك ، ولا تعلقوا بشيء من الموانع ، وتفهمون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يرى ما يكره ولكن أرشدكم فى ذلك الى الصبر كما حكى عن العبد الصالح فى وصيته لابنه فلا أحق من أن تحبوا الله ، وتبغضوا الله ، وتوالوا الله ، وتعادوا الله ، وترى يعرض فى هذا أمور شيطانية ، وهى أن من الناس من ينتسب لهذا الدين ، وربما يلقي الشيطان لكم أن هذا ما هو بصادق وأن له ملحظ دنيوى ، وهذا أمر ما يصلح عليه الا الله ، فاذا أظهر أحد الخير فاقبلوا منه ووالوه ، فاذا ظهر من أحد شر وإدبار عن الدين فعادوه واكرهوه ولو أحب حبيب ، وجامع الأمر فى هذا أن الله خلقنا

عبادته وحده لا شريك له ، ومن رحمته بعث لنا رسولا أمرا بما خلقنا له ،
ويبين لنا طريقه ، وأعطى ما نهاها عنه الشرك بالله وعدارة أهلها ونقضهم .
الدين الحق ، وتبين الباطل ، فمن اتهم ما جاء به الرسول فهو أخوك وأبوك .
ومن سكب عن الصراط المستقيم فهو عدوك وأبوك . وهذا
شيء أذكرتموه مع اني بحمد الله تعلمون ما ذكرت لكم ، ومع هذا فلا تنذر لكم
عن التدين الكامل الذي لم يبق معه لبس ، وان تذاكروا دائما في محاسنكم ما جرى
منا ومنكم أولا . وان تقوموا مع الحق أكثر من قيامكم مع الباطل فلا تخاف من
ذلك ولا لكم عذر لأن اليوم الدين والدنيا والله الحمد محتسنة في ذلك فتذاكروا
ما أتم فيه أولا من أمور الدنيا من الخوف والاذى ، واتلاء الزينة والفسقة
عليكم ، ثم رفع الله ذلك كله بالدين وجعلكم السادة والقادة ، أمناء ما بين الله
به عليكم من الدين . اطروا الى مسألة واحدة فما نحن فيه من الجهالة كون البدوى
تجرى عليه أحكام الاسلام مع معرفتنا أن الصحابة قاتلوا أهل الردة وأكثروهم
متكلمين بالاسلام ، ومنهم من أتى بأركانهم ، ومع معرفتنا أنه من كذب بحرف
من القرآن كفر ولو كان عابداً . وأن من استهزأ بالدين أو بسوء منه فهو كافر ،
وأن من جحد حكماً مجمعاً عليه فهو كافر الى غير ذلك من الاحكام المكشورات ،
وهذا كله مجتمع في البدوى وأزيد ، ونجرب عليه أحكام الاسلام انبعاثاً لفيلد
من قبلنا بلا برهان . فيا اخواني تأملوا وتذكروا في هذا الاصل يدلكم على ما هو
أكبر من ذلك ، واما أكثرت عليكم الكلام لو ثوقى بكم انكم ما تشكون في شيء
فيما تحاذرون ، ونصيحتي لكم وانفسى والعسدة في هذا أن يصير دائماً في الليل
والنهار أن تجأروا الى الله تعالى أن يعيدكم من شرور أنفسكم وسنات أئمالكم
وأن يهديكم الى الصراط المستقيم الذي عليه رسله وأبداؤه ، وعباده الصالحون
وأن يعيدكم من مضلات الفتن ، والحق واضح والبلوغ ، وماذا بعد الحق الا
الضلال ، قاله الله ترى الناس الى في جهاتكم تبع لكم في الخير والشر ، فان
فعلتوا ما ذكرت لكم ما قدر أحد من الناس يريكم بشر ، وصرخوا كالاعلام هداية
للحيران ، فان الله سبحانه وتعالى هو المسؤول أن يهدينا واياكم سبل السلام ،

والتي ح وعباله وعيالنا طيبين والله احمد وبسببهم عليكم ، وسلموا لنا على من يعز
عليكم والسلام . وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، اللهم انظر لكتابها
ولو اذنيه . ولذريته ، ولأبصار فيه ودعا له بالمغفرة والمسلمين ، المسلمات أجمعين اه
وأما تأييده الرد على أخيه فندم وذلك في حال صلاته وبفوره عن دين
الاسلام . فلما هداه الله ونبين له صحة مادعا اليه الشيخ من توحيد الله وافراده
بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه تبين له سوء عمله وزيفه وضلاله ، فرجع عما كان
يعتقده من الضلال والعمى إلى طريقة أهل الحق والهدى كما صرح به في رسالته
المتقدم ذكرها والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

فصل

وأما قوله وكان محمد هذا باديء بدأته كما ذكره بعض المؤلفين مولعاً بمطالعة
أخبار من ادعى النبوة كاذباً كمسيلة الكذاب وسجاح والاسود النسي وطلحة
الاسدي وأضرابهم ، فكان يضم في نفسه دعوة النبوة الا أنه لم يتمكن
من اظهارها .

(فالجواب) أن يقول (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم
كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) فان هذا معلوم كذبه
بالاضرار لا يمتري فيه من له أدنى معرفة بمقادير الائمة الأخيار ومن طالع كتب
الشيخ ومصنفاته ورسائله ونأمل حال نشأته ودعوته الى الله تبين له أن هذا من
الكذب والافتراء وانه من وضع أعداء الله ورسوله الذين يصدون عن سبيل
الله ويغونها عوجا ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب الفساد (يريدون
ليصفثوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون)
وهذا العراقي الملحد لما لم يكن له حيلة في دفع ما آمن الله به من ظهور الاسلام
أخذ في رد ما جاء به من البينات والهدى بالكذب والافتراء وقبله أناس أتوا
بأعظم الأسباب ، وزجوا الخلق في لجة الضلال والارتباب ، وضجوا على دعوة
الحق بالتكذيب والا كذاب ، وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر أو مفتر أو

كذاب وذكروا بكفره را. حدث عنه وماله وجميع من به من الأهل وجادلوا
 بالباطل ليدحضوا به الحق فأنزلهم فكيف كان يفتك ويسمعوها في رد هذا الدين
 مصنفات وانفقوا من الأكاذيب على "سيح وأكذرا من السوءات ولم يكن لهم
 قصد ولا مرام إلا لتفريز الخواص والعوام ثارا بهذه السوءات واحترافات التي
 لا تروج إلا على من أمضى الله بصيرة قلبه من أشد مدح العرب المسلمين أن
 زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فذهب
 نفسك عنيهم همرا (وسيمت هو وإمام دين يات ذلك لا يسر ولا يهون
 فيجازي كلا بعمله يوم النشور وحسبنا الله و نعم الوكيل .

قال العراقي الملحد : وكان اسمى حاميته من أهل بلده الانصار ويسمى متابعيه
 من الخارج المهاجرين وكان أسر من حج حبة المسلمين قبل الجاهلية أن يحج ثاية
 قائلا أن حجبتك الأولى غير مقبولة لأمك حججها وادت مسرك ويقول لمن أراد
 أن يدخل في دينه أشهد على نفسك أنك كنت كافرا واسمك على والدك أمها
 ماتا كافرين واسمك على فلان وفلان ويسمى له جماعة من أكابر العلماء الماضين
 أنهم كذبا وكفرا فإنهم بدلت قبله والا أمر بقتله وكان يصرح بكفر الامه
 منذ سبائة سنة وبكفر كل من لا يتبعه وان كان من أتى المسلمين وبسمهم
 مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم وسدت الايمان لمن اتبعه وان كان من أفسق
 الناس وكان يابيه . يستحبه من الله ثم يخص النبي ﷺ كثيرا بحبائات مختلفة
 منها قوله أنه طارئ وهو في لغة العامة بمعنى الشخص الذي يرسله أحد الى غيره
 والعوام لا يستعملون هذه الكلمة فيمن له حرمة بتقديم ومنها قوله اني نظرت
 في قصة الحادية فوجدت فيهم كذا وكذا من الكذب الى غير ذلك من الالفاظ
 الاستخفافية حتى ان بعض أنبا به يقول بحضرته ان يصلى هذه خير من محمد
 لأنى أنزع بها . ومحمد قد مات فلم يبق فيه نفع وهو يرضى بكلامه وهذا كما تعلم
 كفر في المذاهب الاربعة .

فالجواب عن هذه المطاعن كلها أن نقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) بل
 هذا من افك الوضاعين الذين شرفوا بهذا الدين وأسكرته قلوبهم فهووا بهذه

الأوصاع على الجهال والطغام وصادفت قلوباً قد ملئت بالشرك وعداوة أهل الإسلام فكانوا لما بيديه هؤلاء يصدقون (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا برّ منون بالآخرة ولا يرصوه وليقتربوا ما هم مقتربون) .

(وأما قوله) ومنها أنه كان يكره الصلاة على النبي ﷺ وينهى عن ذكرها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر ويعاقب من يفعل ذلك عقاباً شديداً حتى إنه قتل رجلاً أعمى مذوناً لم ينته عما أمره بتركه من ذكر الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان ويلبس على اتباعه قاتلاً إن ذلك محافظة على التوحيد (فالجواب أن يقول) أما النهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأى لفظ كان فلم يفته عنه بل هو من الكذب والبهتان .

وأما الجهر بالصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان وعلى المنابر يوم الجمعة غير الإمام الذى يخطب فهو بدعة محدثة وإزالة المنكر والبدعة وتغييرها واجب بدلائل الأحاديث الصحيحة فان ذلك لم يكن على عهد الصحابة رضى الله عنهم ولا التابعين وقد قال ﷺ فى الحديث الصحيح « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وفى لفظ « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . (وأما قوله) وكان قد احرق كثيراً من كتب الصلاة على النبي ﷺ كدلائل الخيرات وغيرها .

(فالجواب أن نقول) أما مسألة منع الناس من قراءة دلائل الخيرات فقد أجاب عنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رسالته التى كتبها الى عبد الرحمن ابن عبد الله حيث قال : وأما دلائل الخيرات فله سبب وذلك انى أنرت على من قبل نصيحتى من اخوانى أن لا يصير فى قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن وأما احرافه والنهى عن الصلاة على النبي ﷺ بأى لفظ كان فهذا من البهتان اه .

(وأما قوله) وكذلك احرق كثيراً من كتب الفقه والتفسير والحديث مما هو مخالف لأباطيله وكان يأذن لكل من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه فأقول وهذا كله من الكذب والبهتان والزور والعدوان وقد قال الشيخ

ملا عمران نزيل لنجاة في رد مفتریات بعض هؤلاء الوصاعين فيما افتروه على
الشيخ من الأكاذيب فأجبت أن اذكرها لاشتغالها على بعض ما ذكره هذا
العراقي قال رحمه الله تعالى

جاءت قصيدتهم تروح وتغتدى	في سب دين الهاتمي محمد
قد زخر فوها للعوام بقدر لهم	ان الكتاب هو الهدى فيه اقتدى
لو أن ناظمها تمسك بالذي	قد قال فيها أولا اذ يبتدى
هدى ووفق ثم حاز سعادة	لا شك فيها عند كل موحد
لكنه قد زاغ عما قاله	متأولا فيه بتأويل رد
فأنت كشهد فيه سم نافع	من ذاق منه ففي الهلاك المبعد
اذ شبه الشيخ الامام المهدي	بأخي مسيلة الكفور المعتدى
فهو انذى ان مات معتقداً بذا	يارب له ماذا يلاقى في غد
ماذا يهيب وما يتول ومن له	يوم القيامة وهو خصم محمد
قد شبه التوحيد بـ"كفر" الذي	شهد الكتاب وسنة احمد
الشيخ شاهد بعض أهل جباله	يدعون أصحاب القبور الحمد
تاجاً وشمسان ومن ضامهما	من قبة أو تربة أو مشهد
برجون منهم قربة وشفاعة	ويؤملون كذاك أخذاً باليد
ورأوا الحساء للقبور نقرباً	بالنذر والنبح الشنيع المفسد
ما أسكر القراء والأشياخ ما	تهدوا من الفعل الذي لم يحمد
بل جوزوه وشاركوا في أكله	من كان يذبح للقبور ويفتدى
فأنهم الشيخ المشار اليه بالنصح	المبين وبالكلام الجيد
يدعوهمو لله أن لا نعبدوا	الا المهيمن ذا الجلال السرمد
لا تشركوا ملكاً ولا من مرسل	كلا ولا من صالح أو سيد
فتافروا عنه وقالوا : ليس ذا	الا عجيب عندما لم يعهد
ماقاله آباؤنا أيضاً ولا	أجدادنا أهل الحجى والسؤدد

١١ وجدنا جملة الآبا على
قالشيخ لما ان رأى ذا الشأن من
ناداهمو يا قوم كيف جعلتموا
قالوا له : بل ان قلبك مظلم
قد عيروه بأنه قد كان في
قلنا لهم ماضر مصر بأنها
ان الناردة الفراعنة الأولى
ذا قال : أما رب وذا مننبي-
يمنا وشاما والعراق ومصرها
فيموتهم طابت وطار غبارها
ان المواطن لم تشرف ساكنا
من كان لله الكريم موحدآ
وبعكسه من كان يشرك فهو لم
خرج النبي المصطفى من مكة
ان الاماكن لا تقديس أهلها
لو أنصفوا لرأوا له فضلا على
ودعوا له بالخير بعد مماته
لكنهم قد عاندوا وتكبروا
ورموه بالبهتان والافك الذي
كفألهم هو للتابع قاطع
حاشا وكلا ليس هذا شأنه
قالوا له : أشقى الورى مع كونه
قالوا له : يا سالك طرق الردى
وهو يرون الشمس ظاهرة لهم
قالوا له : يا كافرا يا فاجرا

هذا فتحن بما وجدنا فنسدى
أهل الزمان اشتد غير مقلد
لله ألدادآ بغبر تعدد
لم نعتقد فى صالح متعبد
وادی حنیفة دار من لم يسعد
كانت لفرعون الشرق الأطرد
كانوا بأرض الله أهل تمرد
هم فى بلاد الله أهل تردد
من كل طاغ فى البرية مفسد
وزهت بتوحيد الاله المفرد
فيها ولا تهديه ان لم يهتد
لومات فى جوف الكنيف المطرد
يفلح ولو قد مات وسط المسجد
وبنى أبو جهل الذى لم يهتد
ان لم يكونوا قائمين على الهد
اظهار ما قد ضيعوه من البد
ليكافئوه على وفاء المرشد
ومشوا على منهاج قوم حسد
هم يعملون به ومنهم يبتد
بدخول جنات وحوار خرد
بل انه يرجو بها لموحد
ينهى عن الانداد للتفرد
لم لا تسير على الطريق الارشد
لكن أعمى القلب ليس بمهتد
ما ضره قول العداة الحسد

قالت فريس فليهم البصني
قد أتهموه بأنه يغتال في
فادا أتوا قتلوا بغير حنائه
قالوا بعر المسلمين جميعهم
بل كل من جعل العديل لربه
فأواله : ششاش أمة أحمد
هل قال : الا وحدوا رب السما
وتمسكوا بالسنة البيضاء ولا
هذا الذي جعلوه غشا وهو قد
من عهد آدم ثم نوح هكذا
وكذلك الخلفاء بعد نبيهم
دهاجهم هذا عليه تمسكوا
عجبا لمن تتلوا الكتاب ويدعي
ويقول للتوحيد نبتا ان دا
ويحدد الاسلام والابمان معتمداً
ماذبه في الناس إلا أنه
ماصح عرثتيف لما عاهدوا
ما اللات إلا كان عبدا صالحا
لما توفي عظموا لضريحه
اذ كان حياً قادرا قاموا باطعام له
جعلوه ندا للاله السيد
ولقد رأى الفارونى يوما فبة
فأشار نحوها دعوه يظله
وحديث أبي الهياج فيه كفاية
في طمس تمثال وقبر مشرف

ذا ساحر ذا كاهن ذا معدن
نأذيه ابجيء أهل المسجد
الله هذا إفاك أفاك رد
الكفر . فانا : اس دا بمركد
وهي فصد فذاك كالمهرد
وهو النصيح بكل وجه بددي
ودروا عباد ما سوي المتفرد
تندطعوا بزادة وتدد
تصت بد الرسل الكراملس هدى
تترى إلى عهد انبي سخا
والتابعون وكل حبر مهتد
من كان مستنابهم فليعد
علم الحديث مسلسلا في المسند
خطر على من قال فلتسهد
ويحدد الاسلام والابمان معتمداً
نأن الشيخ خير مجاهد
هد القباب وذلك سيرة أحمد
إلا بهدم اللات لو لم يعبد
ات السوق لطائف متعبد
كصنيع عباد القبور النكد
اذ كان حياً قادرا قاموا باطعام له
وبكسوة وتفقد
جعلوه ندا للاله السيد
نصبت على قبر تشد بأعمد
عمل له ان لم يكن عمل ردى
لذوى البصائر والعقول النقد
جاء الحديث به الصحيح لمستند

لما نبي الاطراء منهم والعلو
لو كان حبك للنبي محققا
أما الدلائل فهو لم ينكر بها
إلا التظاهر بالغلو وجعلها
فترى لهم حرصاً على تجويدها
لا يعتنون بمصحف لهمو كما
فلو اعتنى رب الدلائل بالذي
لكفاه كل مؤونة ونكلف
سأل النبي من الصحابة سائل
فأجاب يرشده بما فد جاء في
لوحت فيه ولم أصرح حيث لم
هذا الكلام على الدلائل ليس ما
وكذاك في روض الرياحين الذي
والله قد ذم الغلو فقال يا
اذ قال لا تغلو بنهي لازم
وكذا الرسول نهى وأخبر أنه
عجبا لهم لو كان فيهم منصف
من حيث أن الاتباع مقارن
قالوا : صبا تم نحوه ، قلنا لهم :
ما ستنا نسب نميل به ولا
أيضاً ولا هو جارنا الاذنى الذي
لكنها شمس الطهيرة قد بدت
فالعالمون العاملون المنصفو
لكن قليل منهمو في عصرنا
والله قد ذم الكثير وقال في

قالوا أتيت بهذا الجفاء المبعد
لفعلك فعلتنا لعلك تهتدى
صلوات أزكى العالمين الأجد
درساً يكرر في كتاب مفرد
خطأ وتزويقاً وحسن مجلد
هم يعتنون بران وبمولد
يأتى عقيب تشهد المتشهد
ومشى على النهج القويم الارشد
كيف الصلاة عليك كالمسترشد
قول المصلى دبر كل تشهد
يدخل على وزن القريض المنشد
قد قاله من شذ عن ذا المقصد
فيها الغلو بصالح وبسيد
أهل الكتاب بغلطة وتهدد
في دينكم فالحكم لم يتردد
فيه الهلاك لراهب متعبد
لرأى المحب محمداً لمحمد
للحب في نص الكتاب الأئحد
الحق شمس البصير المهتدى
حسب يقرئنا له بتودد
نمتار بعمنه ولم نسترفد
لذوى البصائر فاهتدى من يهتدى
ن له أقروا بالفضائل واليد
كالشعرة البيضاء بجلد اسود
حق القليل مقالة لم تجحد

بسبب اوصر فالتها متديرا
فان اعتراكم في الذي قد قاله
فربوا بميزان الشريعة قوله
ولئن وجدتم فاسقا أو حافيا
قد زل بوما أو هفا لا نسبوا
فالآل والاصحاب ماذا ضرر
من بعد ذاك الاجتماع على الهدى
ماذا يصير "سحب نبح الكلب أم
ثم الصلاة على النبي محمد
والآل والاصحاب جمعاً كلها
تلق الصحيح بها خذه تهتد
سك وريب واحتلاف مبتدى
نجدوه حقاً ظاهراً المقتدى
أو جاهلاً في العلم كالمتردد
هفواه لجناح دك المرشد
من بعدهم تكدير صافي المورد
ظهروا ذوي فري وأمل تبدد
ماذا يضر الصحب سب الملحد
أزكى الوري أصلاً وأضيق محدد
قد ذب عن ذا الدين كل موحد

فصل

قال العراقي :

تمسك ابن عبد الوهاب في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين فحملها
على الموحدين

(الجواب أن يقال) هذا كذب محض فإنه لا يكفر رحمه الله أهل التوحيد
ولا يحمل الآيات النازلة في المشركين على الموحدين ، وإنما يكفر من أشرك
بالله في عبادته واتخذ معبوداً سواه ، مع أن هذا المعترض م يذكر الآيات التي
زعم أن الشيخ رحمه الله تمسك بها في تكفير الناس حتى ينظر هل كان محققاً في
ذلك القول أو مبطلاً ضالاً ؟ ويقال أيضاً : ان منع تنزيل القرآن وما دل عليه
من الأحكام على الانتخاب والحوادث التي تدخل تحت العموم اللفظي فهو من
أصل الخلق وأجهلهم بما عليه أهل الاسلام وعلمائهم قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد
جيل ، ومن أعظم الناس تعطيلاً للقرآن وهجراً له وعزلاً له عن الاستدلال به
في موارد النزاع ، وقد قال تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول)
الآية . والرد إلى هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول رد إلى سنته ، وقد

قال نعالى (وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله) وقد قال تعالى (لا نذكر
به ومن بلغ) فنصوصه وأحكامه عامة لا خاصة بخصوص السبب ، وما المانع
من تكفير من فعل كما فعلت اليهود من الصد عن سبيل الله والكفر به مع
معرفة هذا العراقى لا يبدى قولة فى اعتراضه وتلبسه الا هى أكبر من أختها
فى الجهالة والضلالة ولو كان يعرف الكتاب العزيز وما دل عليه من الأحكام
والاعتبار لأحجم عن هذه العبارات التى لا يقولها الا أفلس الخلق من العلم والايمان
(وأما قوله) وروى البخارى فى صحيحة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه
فى وصف الخوارج انهم اطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها فى المؤمنين
وفى رواية أخرى عن ابن عمر انه عليه السلام قال « أخوف ما أخاف على أمتى رجل
متأول للقرآن يضعه فى غير موضعه ، فهذا وما قبله صادق على ابن
عبد الوهاب وأتباعه

(فالجواب أن يقال) هذا الوصف هو المنطبق عليك وعلى من نحانحوك
من أهل الضلال حيث زعمت ان كتاب الله وسنة رسوله ظواهر ظنية لاتعارض
اليقينيات فتأول إما إجمالاً ويفوض أمرها الى الله وإما تفصيلاً كما هو رأى
الكثيرين فالذى يتأول القرآن ويضعه فى غير موضعه ويصرفه عن القول الراجح
الى القول المرجوح بالتحكم والهوى — لان كتاب الله وسنة رسوله عندك
أدلتها ظنية لاتعارض نتائج عقول الفلاسفة وورثة المجوس والصائبة وطواغيت
اليومان ومن أخذ بأقوالهم من المتكلمين بل قد صرحت أن العقل يقدم على
النقل — فمن قدم معقول هؤلاء على كتاب الله وسنة رسوله فقد خرج من
الدين وفارق جماعة المسلمين وأما ابن عبد الوهاب فهو وأتباعه لا يتأولون القرآن
ولا يضعونه فى غير موضعه بل يعملون بحكمه ويؤمنون بمشابهة ولا يتأولون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما تفعلون أنتم فى تأويل آيات الصفات
وأحاديثها وحاصل مقصود هذا العراقى ونقله تشبيه أهل الاسلام والتوحيد
بالخوارج فى تكفيرهم من عبد الانبياء والأولياء والصالحين ودعاهم مع الله —
لان عباد القبور عنده هم أهل التوحيد وأهل الاسلام — من جنس الخوارج

الذين يكفرون أهل القبلة ، هذا حاص كلامه ومضنون خطابه وهذا داء قديم في أهل الشرك والتعطيل ، ممن كفروهم بعبادة غير الله ونعطيل أوصافه وحقائق أسمائه قائلوا له أب مثل الخوارج يكفرون بالذنوب ويأخذون بطواهر الآيات ومعلوم أن الذنوب تتفاوت وتختلف بحسب منافاتها لأصل الحكمة المقصودة بايجاد العالم وخلق الجن والانس وبحسب ما يترتب عليها من هضم حقوق الربوبية وتنقص رتبة الالهية وقد كفر الله ورسوله ﷺ بكثير من جنس الذنوب كالشرك وعبادة الصالحين وأخبر انه أكبر الكبائر كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى الذنوب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، قال قلت ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، قال قلت ثم أى ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك ، فأرسل الله تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يفتنون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآية فمن أسكر التفكير جملة فهو محجوج بالكتاب والسنة ومن فرق بين ما فرق الله ورسوله من الذنوب ودان بحكم الكتاب والسنة وإجماع الأمة في "فرو بين الذنوب والكفر فقد أنصف ووافق أهل السنة والجماعة ونحن لم نكفر أحداً بدب دون الشرك الاكبر الذي اجمعت الأمة على كفر فاعله إذا قامت عليه الحجة وقد حكى الاحماع على ذلك عبر واحد كما حكاه في الاعلام لابن حجر الشافعي

وأما قوله وبطهم من أقواله وأفعاله أنه كان بدعي أن ما أتى به دين جديد فالجواب أن نقول بل الذي يظهر من أقواله وأفعاله خلاف ما يزعمه هؤلاء الضلال فانه كان رحمه الله على الدين العتيق الذي كان عليه السلف الصالح والصدر الأول من الدعوة الى دين الله كما قال رحمه الله في رسالته الى عبد الله بن محمد ابن عبد اللطف الاحسائي قال : واما ما ذكرتم عنى فاني لم آت به بجهالة بل أقول والله الحمد والمنة وبه القوة اننى هدى ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ولست والله الحمد ادعو الى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم أو امام من الأئمة الذين أعظمهم مثل

ابن القيم والذهبي او ابن كثير أو غيرهم بل ادعوا الى الله وحده لا شريك له
 وادعوا الى الله ستة رسول الله ﷺ التي وصى بها أول أمته وآخرهم وأرجو اني
 لا أرد الحق اذا أتاني بل أنهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتاني منكم كلمة
 من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ولأضربن الجدار بكل ماخالفها من أقوال
 أئمتي حاشا رسول الله ﷺ فانه لا يقول الا الحق اه فهذا نص كلامه رحمه الله
 كما ترى لم يقل فيه ولا في غيره من كلامه ان ما أدعوكم اليه دين جديد بل كان
 رحمه الله يحدد ما اندرس من معالم الدين العتيق ويوطد أساس الملة المحمدية
 التي اطمست أعلامها وأقوت رسومها كما قال الامير محمد بن اسمعيل الصنعاني
 رحمه الله في آيات له قال فيها :

قني واسألي عن عالم حل سوحها	به يهتدى من ضل عن منح الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد	فياحبذا الهادي وياحبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله	بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل	ولا كل قول واجب الرد والطرده
سوى ما أنى عن ربنا ورسوله	فذلك قول جلّ ياذا عن الرد
وأما أفويل الرجال فانها	تدور على قدر الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه	يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل	ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادما	مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
اعادوا بها معنى سواع ومثله	يغوث وود بثس ذلك من ود
وقد متفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة	أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل	ومستلم الأركان منهم باليد
وقال الشيخ الامام عالم الأحساء أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى في	
آيات له	

لقد رفع المولى به رتبة الهدى بوقت به يعلى الضلال ويرفع

سقاء نمر الفهم مولاه فارنوى
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها
وشمر في منهاج سنة أحمد
ينظر بالآيات والسنة التي
فاضحت به السمحاء ببسم ثغرها
وعاد به بهج الغواية طامسا
وحرث به نجد ذيول افتخارها
فآثاره فيها سوام سوافر
وعاد بتيار المعارف يقطع
وأوهى به من مطلع الشرك مهج
سواه ولا حاذى فهاها سميع
يشيد ويحيي ما تعفى ويرفع
أمرنا إليها في التنازع نرجع
وأسمى محياها بضئ ويلع
وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وحق لها بالالمعى ترفع
وأنواره فيها تضى وتستصح

وبهذا بظهر لكل ذى عقل سليم ، ودين مستقيم ، انه لم يكن يدعو الى دين
جديد كما يزعمه هؤلاء المارقون عن دين الاسلام

وأما قوله ولذلك لم يقبل من دين النبي ﷺ إلا القرآن وقبوله إياه إنما
كان ظاهراً

فالجواب أن يقول وهذا أيضاً من نمط ما قبله من المفريات ، ورعونات
الخزعبلات والخرافات

وأما قوله : والدليل على ذلك انه هو واتباعه كانوا يأولون القرآن بحسب
اهوائهم لا بحسب ما فسر به النبي ﷺ واصحابه ، والسلف الصالح ، وأئمة التفسير ،
وما كان يقول بأحاديث النبي ﷺ ، وأقاريل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ،
ولا بما استنبطه الأئمة من الكتاب والسنة ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس
الصحيح ، وكان يدعى الاتساب إلى مذهب الامام احمد كذباً وتسترأ ، وقد رد
عليه أضاليله كثير من علماء الحنابلة وألفوا في ذلك رسائل عديدة حتى اخوه
سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه كما ذكرناه . وكان يقول لعالمه
اجتهدوا بحسب نظركم واحكموا بما ترونه مناسباً للدين ، ولا تلتفتوا لهذه
الكتب المتداولة ، فان فيها الحق والباطل وقتل كثيراً من العلماء والصالحين
لأنهم لم يوافقوه على ما ابتدعه

فالجواب أن يقول : قد اجاب عن هذه الاكاذيب والمفتريات الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقال رحمه الله : وأما ما يكذب علينا سترأ للحق ، ونلبساً على الخلق بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ماوافق فهمنا من دون مراجعة شرح ، ولا نعول على شيخ ، وانا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا انفع منه ، وليس له شفاعة ، وان زيارته غير مندوبة ، وانه كان لا يعرف معنى لاإله الا الله حتى انزل عليه ، (فاعلم انه لا إله الا الله) مع كون الآية مدنية ، وانا لانعتمد أقواله ، وتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ، وانا مجسمة ، وانا نكفر الناس على الاطلاق من بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه . ومن فروع ذلك انا لانقبل بيعة احد حتى نقرر عليه بأنه كان مشركا ، وان ابويه ماتا على الاشرار بالله ، وانا نهى عن الصلاة على النبي ﷺ ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً ، وانا لا نرى حقاً لأهل البيت ، وانا نجبرهم على تزويج غير الكفاء لهم ، وانا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتسكح شابا اذا ترفعوا اليها ولا وجه لذلك ، فجميع هذه الخرافات واشباهها لما استفهمنا عنها من ذكرنا جوابنا عليه في كل مسألة سبحانه هذا بهتان عظيم . فمن روى عنا شيئاً من ذلك ونسبه الينا فقد كذب علينا وافترى ، ومن شاهد حالنا وحضر مجلسنا وتحقق ما عندنا علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه علينا ، وافتراه أعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله على انه لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

فهذا واشباهه مما تقدم ذكره عن هذا العراقي وأمثاله من الكذب على شيخ الاسلام وعلم الهداة الاعلام لايعتمد عليه ويصدق في ذلك إلا ضال مضل .

فصل

قال العراقي : قال العلامة السيد العلوي الحداد إن المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الإسلامية لما به استحل أموراً مجمعة على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ ، وهو مع ذلك ينتقص الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وامفاصهم عمداً كفر بالاجماع عند الأئمة الأربعة .

والجواب أن يقال هذا كله كذب وافتراء . وهذا الرجل المسمى بالحداد ليس هو من العلماء المشهورين بالعلم والدين والصلاح ، بل كان من الغالين في الأنبياء والمرسلين . والأولياء والصالحين ، لأنه زعم أن من أمر بتوحيد الله بالعبادة وإخلاصها لله وحده دون من سواه ، فقد تنقص الأنبياء والأولياء والصالحين ، وقد كان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن من صرف لغير الله شيئاً مهما كان مشركاً سواء كان ذلك الغير من الأنبياء والصالحين ، فلو كان هذا عالماً ، أركان يعرف قواعد الإسلام ومبانيه العظام مافاه بمثل هذه اورطات وبهرج بهذه الخرافات ، بل هذا يدل على جهله وعدم معرفته وعلمه . ومن كان هذا حاله وهذه أقواله فلا يعول عليه ، ولا يلتفت إليه ، ولا يعتمد على قوله ونقله إلا أشباه الأعمام السائمة ، فلو ذكر عدو الله شيئاً بما نسبته إلى الشيخ مما يوجب خروجه عن القواعد الإسلامية لبينا بطلان قوله ولكنه عدل إلى هذه المخزقة الساجدة ؟

فصل

قال العراقي : ثم انه صنف لابن سعود رسالة سماها كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة ، وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قریش على أتقياء الأمة ،



واتخذ ابن سعود ما يقوله وسيلة لاتساع الملك وابقاء الأعراب له ، فصار ابن عبد الوهاب يدعو الناس الى الدين ، ويثبت في قلوبهم أن جميع من هو تحت السماء مشرك بلا مرأى ، ومن قتل مشركاً فقد وجبت له الجنة ، وكان ابن سعود يمثل كل ما يأمر به ، فإذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك وكان ابن عبد الوهاب في فومه كالنبي في أمته لا يتركون شيئاً مما يقوله ، ولا يفعلون شيئاً الا بأمره ، ويعظمونه غاية التعظيم ، ويبجلونه غاية التبجيل ، وما زالت أحياء العرب وقبائلها تطيعه حتى اتسع بذلك ملك ابن سعود وملك أرلاده بعده ، وحارب الشريف غالباً رحمه الله خمس عشرة سنة حتى عجز عن حربه ، ولم يبق أحد الا صار من حزبه ، ودخل مكة بالصلح سنة ألف ومائتين وعشرين ، واستمر فيها سبع سنين الى أن جهزت الدولة العلية عساكرها المنصورة عليه ، ووجهت الأمر الى وزيرها المفخم محمد علي باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش بأسلة ، وطهر الأرض منه ومن أتباعه ، ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين فأقنى وأباد من بقي منهم .

والجواب أن نقول : نعم صنف الشيخ رحمه الله تعالى كشف الشبهات ، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلان ما أورده أعداء الله ورسوله من الشبهات فأدحض حججهم ، وبين تهاقضهم ، وكان كتاباً عظيماً النفع على صغر حجمه ، جليل القدر ، انقمع به أعداء الله ، واتفّع به أولياء الله ، فصار علماً يقتدى به الموحدون ، وسلسيلاً يردده المهتدون ، ومن كوثره يشربون ، وبه على أعداء الله يصولون ، فله ما أنفعه من كتاب ، وما أوضح حججه من خطاب ، لكن لمن كان ذا قلب سليم ، وعقل راجح مستقيم .

وأما قوله (عن خالق الأرض والسموات) فأقول لم أسمع بهذه الكلمة الا عن هذا العراقي ، وأما قوله كفر فيها جميع المسلمين .

فأقول حاشا وكلا ما كفر فيها مسلماً ، وانما كفر من أشرك بالله وعدل به أحداً سواه .

وأما قوله : وزعم أن الناس كفار منذ ستائة سنة فأقول هذا كذب لم يثبت عنه هذا اللفظ في هذه الرسالة ولا في غيرها ، بل قد أحاط عن هذه المسألة وغيرها في رسالته لعدو الله عبد الله بن سحيم حيث قال فالمسائل التي شنع بها منها ما هو من البهتان الظاهر وهي قوله أني مبطل كتب المذاهب ، وقوله : أني أقول ان الناس من ستائة سنة ليسوا على شيء ، وقوله أني أقول أن اختلاف العلماء بقمة ، وقوله أني أكفر من توسل بالصلحين ، وقوله أني أكفر الموصري نقوله يا أكرم الخلق الح .

وقوله أني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها وإني أقدر على الكعبة لاأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب وقوله أني أسكر زيارة قبر النبي ﷺ وقوله أني أسكر زيارة قبر اوالدين وغيرهم وإني أكفر من يحلف بغير الله فهذه اثنا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول سبحانه هذا بهتان عظيم ولكن قبله من بهت محمداً ﷺ أنه بسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين تشابهت قلوبهم وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزير في النار فأزل الله في ذلك (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) .

وأما قوله وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قريش على أحمياء الامة فقد تقدم الجواب على هذه الدعوى الباطلة فيما تقدم وأما قوله وبث في قلوبهم أن جميع من هو تحت السماء مشرك بلا مرأ ومن قتل مشركاً فقد وجبت له الجنة فأقول هذا كذب واقتراء كما تقدم بياه .

فصل

ثم ذكر العراقي محاربة آل سعود الشريف غالباً وعجزه عن مناوأتهم ودخولهم مكة بالصلح الى قوله ثم جهزت الدولة العلية الى آخره .
فأقول قد ذكرنا فيما تقدم ما أوقع الله بمن عادى المسلمين من العقوبات وإن أخر أمرهم صار الى تباب كما ذكره شيخنا رحمه الله في المقامات ثم قال شيخنا رحمه الله تعالى « وأما الدولة التركية المصرية فابتلى الله بهم جميع المسلمين لما

ردوا حاح الشامي عن الحاح بسبب أمور كانوا يفعلونها في المشاعر فطلبوا منهم أن يتركوها وأن يقيموا الصلاة جماعة فما حصل منهم ذلك فردهم سعود رحمه الله تدبناً فغضبت تلك الدولة التركية وجرى عندهم أمور يطول عددها ولا فائدة في ذكرها فأمروا محمد علي صاحب مصر أن يسير اليهم بعسكره وبكل ما يقدر عليه من القوة والكيد فبلغ سعود ذلك فأمر ابنه عبد الله أن يسير لقتالهم وأمره أن ينزل دون المدينة فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان بن عبد الرحمن المضايقي وأهل بيته وقحطان وجميع العربان فنزلوا بالجديدة فاختر عبد الله ابن سعود القسودم عليهم والاجتماع بهم وذلك أن العسكر المصري في ينبع، فاجتمع المسلمون في بلد حرب وحفروا في مضيق الوادي خندقاً وعبثوا الجموع وصار في الخندق من المسلمين أهل نجد وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز في الجبل فوق الخندق فحين نزل العسكر ارتدت خيولهم وعلوا أنه لا طريق لها إلى المسلمين فأخذوا يضربون بالقبوس فدفع الله شر تلك القبوس الهائلة عن المسلمين أن رفعوها مرت ولا ضرت وإن خفضوها اندفنت في التراب فهذه عبرة وذلك أن أعظم ما معهم من الكيد أبطله الله في الحال ثم مشوا على عثمان ومن معه في الجبل فتركهم حتى قربوا منه فرموهم بما احتسبوه به وما أعدوه لهم حين أقبلوا عليهم فما أخطأ لهم بندق فقتلوا العسكر قتلاً ذريعاً وهذه أيضاً من العبر لأن العسكر الذي جاءهم أكثر منهم باضعاف ومع كل واحد من الفرود والمزندات فما أصابوا رجلاً من المسلمين وصار القتل فيهم وهذه أيضاً عبرة عظيمة هذا كله وأما أشاهده ثم مالوا إلى الجباب الأيمن من الجبال بجميع عسكرهم من الرجال وأما الخيل فليس لها فيه مجال فانهزم كل من على الجبل من أهل بيته وقحطان وسائر العربان إلا ما كان من حرب فلم يحضروا واشتدوا على المسلمين لما صاروا في أعلى الجبل فصاروا يرامون المسلمين من فوقهم فحصى الوطيس آخر ذلك اليوم ثم من الغد فاستنصر أهل الاسلام ربههم الناصر لمن ينصره فلما قرب الزوال من اليوم الثاني نظرت فاذا برجلين قد أتيا فصعدا طرف ذلك الجبل فما سمعنا لهم بتدقات ثارت إلا أن الله كسر ذلك اليرق ونحن ننظر فتابعنا الهزيمة

على جميع العسكر فولوا مدبرين وحسبوا الخيل والمطرح وقصدوا ضيقهم الذي
جاءوا معه فتبعهم المسلمون يقاتلون وسلبون هذا ويحسبون إلى تلك الخيول
قد حارت وخارت وظهر عليهم عسكر من الفرسان من حاب الحديق ومعهم
بعض الرجال فولت تلك الخيول مدبرة فتسعتهم خيول المسلمين في أثرهم وليس
معهم زاد ولا مزاد فانظر إلى هذا النصر العظيم من إله الحق رب العباد لأن
الله هزم تلك العساكر العظيمة برجلين فهذه ثلاث عبرة لكن أين من يعتبر
فأخذوا بعد ذلك مدة من السنين

ثم بعد ذلك سار طوسون كبير ذلك العسكر الذي هزمه الله فقصد المدينة
فوراً وأمر سعود على عبد الله ومن معه من المسلمين أن ينهضوا لقتالهم
فوجدوهم قد هجموا على المدينة ودخلوها وأخرجوا من كان بها من أهل نجد
وعسير فح المسلمون تلك السنة فأقبل ذلك العسكر ونزل رابغ ونزل المسلمون
وادي فاطمة خان لهم شريف مكة وصمهم إليه وجاءوا مع الخبيث على غفلة من
المسلمين فعلم المسلمون أنهم لا مقام لهم مع ما جرى من الخيانة فرجعوا إلى
أوطانهم خاف عثمان وهو بالطائف أن يكون الحرب منهم ومن الشريف عليه
لما يعلم من شدة عداوتهم فخرج بأهله وترك لهم الصائف أيضاً مخافة أن يحتمعوا على
حربه وليس معه إلا القليل من عشيرته ولا يأمن أهل الطائف أيضاً فنزل المسلمون
ببربه بعد ذلك نحواً من شهر ثم رجعوا حين أكلوا ما معهم من الزاد فجري
بعد ذلك وقعات بينهم وبين المسلمين ولا فائدة في الإطالة بذكرها والمقصود
أن استيلائهم على المدينة ومكة والصائف كان بأسباب قدرها الملك الغلاب
فيريك عزته ويبدى لطفه والعبد في الغفلات عن ذا الشأن

وفيها من العبر أن الله أبطل كيد العدو وحمى الحوزة وعافى المسلمين من
شرهم وصار المسلمون يغزونهم فيما قرب من المدينة ومكة في نحو من ثلاث
سنين أو أربع فتوفي الله سعود رحمه الله وهم غزاة على من كان معينا لهذا
العسكر من البوادي فأخذوا وغنموا فبقى لهم من الولاية ما كانوا عليه أولاً إلا
ما كان من مكة والطائف وبعض الحجاز وبعد وفاة سعود رحمه الله تجهزوا

للجهاد على اختلاف كان من أولئك الأولاد فصار المسلمون جابيين حابياً مع عبد الله وجانباً مع فيصل أخيه فنزل الحناكية عبد الله ونزل فيصل تربة باختيار وأمر من أخيه له فوافق أن محمد على حح تلك السنة فواجه فيصل هناك فطلب منه أن يصلحه على الحرمين فأبى فيصل واغلاظ له الجواب وفيما قال :

لا اصلح الله منا من يصلحك حتى يصلح ذئب المعز راعيها
فأخذت محمد على العزة والالفة فصار الى بسل والطاهر أنه كان حريصاً على الصلح فاستعجل فيصل بمن معه فساروا اليه في بسل وقد استعد لحرهم خوفاً مما جرى منهم فاقبلوا وهم في منازلهم فصارت عليهم العساكر والخيل فوالوا مدبرين لكن الله أعز المسلمين فخبس عنهم تلك الدول والخيل حتى وقفوا على التلول فلم أكثر المسلمين من شرهم واستشهد منهم القليل ولا بد في القتال من أن ينال المسلم أن ينال منه قال الله تعالى : (وتلك الايام نداولها بين الناس) الآيات وقال تعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) الى قوله (والله يحب الصابرين) الآيات

وقد قال هرقل لاني سفيان فما الحرب بينكم وبينه قال : سجال ، ينال منا وننال منه فهذه سنة الله في العباد زيادة للمؤمنين في التواب وتغليظاً على الكافرين في العقاب . وأما عبد الله فرجع بمن معه فلم يلق كيداً دون المدينة فتفكر في حماية الله لهذه "طائفة مع كثرة من عاداهم ومارأهم ومع كثرة من أعان عليهم من ارتاب في هذا الدين وكرهه وقبل الباطل وأحبه فما أكثر هؤلاء لكن الله قهرهم بالاسلام ففي هذا المقام عبرة وهو أن الله أعزهم وحفظهم من شر من عاداهم فله الحمد والمنة

وبعد ذلك رجع محمد على الى مصر وبعث الشريف غالب الى اصطنبول وأمر ابنه طوسون أن ينزل الحناكية دون المدينة وأمر العطاس أن يسعى بالصلح بينهم وبين عبد الله بن سعود ويركب له من مكة وأراد الله أن أهل الرس يخافون لانهم صاروا في طرف العسكر فاستلحقوا لهم جماعة من المغاربة وطوسون على الحناكية وصار في أولاد سعود نوع من العجلة في الأمور

فمروا على الرعايا بالمسير الى الرس فنزلوا الرويضة فتحصى اهل الرس بمن
عدهم ثم ما رحبت لك العجلة ان استفرعوا اهل الرس اهل الحماكية فلبا حاء
اخبر باقبالهم نصرة لاهل الرس ارتحل المسلمون يلتمسون من أعائهم من
حرب ما بينهم وبين المدينة فصادفوا خزنة العسكر فقتلواهم وأخذوا ما معهم
فهذا مما يسره الله من النصر من غير قصد ولا دراية فرجع المسلمون الى
غنيرة والعسكر نزلوا السديية قريبا منهم ويسر الله للمسلمين سبياً آخر وذلك من
توفيق الله ونصره وحبروا جيشاً ونحيلوا فغاروا على جانب العسكر فخرجوا
عليهم فمهم الله وقتل المسلمون فيهم فلا كثيراً قال الله الرعب في قلوبهم على
كثرة من أعائهم وقوة اسبابهم وذلك من نصر الله لهذا الدين فرجعوا الى
الرس خوفاً من هجوم المسلمين عليهم فتبعهم المسلمون ونزلوا الحجاوى فقدم
العطاس على الامر الذى عمده عليه محمد على فوجسد الحال قد تغير ابتداء
فمنعوه مما جاء له ثم إنهم سعوا فى الصلح والمسلمون على الحجنارى وكل يوم
يجرى بين الخيل طراد فل اكثر المسلمين من الاقامة فلم يبق منهم الا شرذمة
قليلة جاء منهم اناس يطلبون الصلح فاصلحهم عبد الله رحمه الله تعالى وطلبوا
منه ان يعث معهم رجلا من اهل الله خوفاً أن يعرض لهم أحد من المسلمين
فى طريقهم فمشى معهم محمد بن حسن بن مشارى الى المدينة

والمقصود أن الله سبحانه أذلهم وألقى الرعب فى قلوبهم وحفظ المسلمين
من شرهم بل غنمهم بما بأيديهم من حيث بذلهم المال بشرائهم الهجن فاشتروا
من المسلمين الذلول بضعفى ثمنها - إلى أن قال رحمه الله - فلو ساعد القدر وتم
هذا الصلح لكان الحال غير الحال لكن ما أراد الله تعالى وقع على كل حال ،
لكن جرى من عبد الله بن سعود رحمه الله تعالى ما أوجب نقض ذلك الصلح
وهو أنه بعث عبد الله بن كثير لغامد وزهران بخطوط مضمونها أن يكونوا فى
طرفه وفى امره فبعثوا بها إلى محمد على فلم يرض بذلك وقال إنهم من جملة
ما وقع عليهم الصلح فهذا هو سبب النقض وإنشأ عسكراً مع ابراهيم باشا ونزل
الحماكية ثم ذكر وقعة الماوية ثم قدمه الى الدرعية واخذ فى حصارها قدر

ثمأية أنهر وهو يضربهم بالقنابر والقبوس ثم انتهى الامر الى الصلح فأعطاهم
العهد والميثاق على ما في البلد من رجل أو مال حتى الثرة التي على النخل لكن لم
يف لهم بما صالحهم عليه وغدر باماس منهم سليمان بن عبد الله وبعد هذا تشتت
أهل البلد عنها وقطع النخل وهدم المساكن إلا القليل وبعث بعبد الله بن سعود
لمصر واتبعه عياله واخوانه وكبار آل الشيخ وبعد ذلك حج فسلط الله على عسكره
الفنا ولم يصل الى مصر الا القليل فلما وصل مصر حل بهم عقوبات أهل الاسلام
فشى على السودان ولا اظفره الله فرجع مريضاً ، ثم ان محمد على بعث ابنه
اسماعيل وتمكن منهم بصلح فلما رأوا منه الخيانة بأخذ عبيد وجوارا حرقوه
بالنار في بنته ومن معه من العسكر ثم بعد ذلك بعث لهم دفتردار ولا حصل
منهم شئاً

، فأما عسكر الحجاز التي وصلت مصر قبل ابراهيم باشا حسين بك الذي
صار في مكة وعابدين بك الذي صار في اليمن فسيرهم محمد على قبل هذا الحرب
الى موره وجريد لما خرجوا على السلطان فاستمده السلطان على حربهم فأمدّه
بهذين العسكرين فهلكوا عن آخرهم ولم يفلت منهم عين تطرف وذلك أن
موره وجريد في الاصل ولاية للسلطان فخرجوا عليه فهلك من عسكر السلطان
والعساكر المصرية في حربهم ما لا يحصى وهذه عقوبة أجراها الله عليهم بسبب
ما جرى منهم على أهل الاسلام حتى العرناووط في جبلهم عصوا على السلطان
قبل حادثة موره وجريد . وبعد هذا الامر اشتد الامر على السلطان وبعث
يستنصر محمد على فبعث عسكراً كبيرهم قارىء على فهلكوا في البحر قبل أن
يصلوا ثم ان السلطان بعث نجيب أفندى لمحمد على يطلب منه أن يسير بنفسه
فبعث اليه يعتذر بالمرض وأن ابراهيم باشا يقوم مقامه وقبل ذلك بعث
حسين بك الذي سبا أهل نجد وقتل منهم البعض في ثرمدا وفرع للسلطان قبل
مسير ابراهيم باشا بعسكره الذي كان معه في نجد ونبعه ابراهيم باشا يمدّه ونزلوا
موره لحرب أهلها فأذلهم الله لهم فقتلوا فيهم قتلاً عظيماً

، فأما عسكر حسين بك فلم يقدم مصر منه الا صبي . وأما ابراهيم باشا

فاشتري نفسه منهم بالاموال فاطر الى هذه العقوبات العاجلة التي أوفعها الله على الأمر والمأمور واكثر الناس لا يدري بهذه الامور . وهذا الذي ذكرناه فيه عبرة عظيمة وشاهد لأهل هذا الدين أن الله لما سلط عليهم عدوهم وبال سهم ما بال صارت العاقبة السلامة والعاقبة لمن ثبث على دينه واستقام على دين الاسلام

ثم ان الله تعالى اوقع بعدوهم ما ذكرناه واعظم لكن ذكرنا الواقع على سبيل الاختصار لقصد الاعتبار (فاعتبروا يا اولي الابصار) . ثم ان الله اجري على من اعانهم من أهل نجد ممن شك منهم في هذا الدين واكثر الطعن على المسلمين أن الله تعالى أفنهم وهذه أيضا من العبر لم يبق أحد ممن اظهر شره وانكاره وعداوته للمسلمين الا وهو جل بالهلاك والذهاب هـ اهـ

ثم ذكر رحمه الله ظهور خالد واسماعيل وذلك بعد أن رد الله الكرة للمسلمين وجمعهم الله على تركي بن عبد الله ثم على ابنه فيصل وذكر رحمه الله ماجرى من تسلط العساكر المصرية على أهل هذه الدعوة المحمدية وما جرى من الملاحم "العظيمة" مما يطول عده وتمكنهم من فيصل وأخذهم له وارساله لمصر ثم صار في هذه العساكر من الزهاب والعذاب والفساد لما أوقع الله الحرب بين السلطان ومحمد علي وذلك من العقوبات ، ثم رد الله الكرة لأهل نجد وجمعهم الله بالامام فيصل فرجعوا كما كانوا أولا على ما كانوا عليه قبل حرب هـ ر ل ا ، الدويل

والمقصود مما ذكرناه الاعتبار بأن الله حفظ هذا الدين ومن تمسك به وأيدهم بالنصر على ضعفهم وقلتهم واوقع بأسه هذه الدول على قوتهم وكثرتهم واسباب كيدهم ثم ان الله تعالى اهلك تلك الدول بما اجري عليهم من حرب النصارى في بلاد الروم فكل دوله مضت على نجد والحجار لم يبق منهم اليوم عين نظرف وكانوا لا يحصى عددهم الا الله فهلكوا في حرب النصارى فصارت العاقبة العافية والظهور لمن جاهدهم في الله من الموحدين فجمع الله لهم بعد تلك الحوادث العظيمة من النعم والعز والنصر مالا يحظر بالبال ولا يدور في الخيال

ومن عجيب ما اتفق عليه لأهل الدعوة أن محمد بن سعود عفا الله عنه لما وفقه الله لقبول هذا الدين ابتداءً بعد تخلف الأسباب وعدم المناصر شمر في بصرته ولم يبال بمن خافه من قريب أو بعيد حتى أن بعض أناس ممن له قرابة به عدله عن هذا المقام الذي تميز إليه فلم يلتفت إلى عدل عاذل ولا لوم لائم ولا رأى مراتب بل جد في بصرة هذا الدين فملكه الله تعالى في حياته كل من استولى عليه من القرى ثم بعد وفاته صار الأمر في ذريته يسوسون الناس بهذا الدين ويجاهدون فيه كما جاهدوا في الابتداء فزادت دولتهم وعظمت صولتهم على الناس بهذا الدين الذي لا شك فيه ولا التباس فصار الأمر في ذريته لا ينازعهم فيه منازع ولا يدافعهم عنه مدافع وأعطاهم الله القبول والمهابة وجمع الله عليهم من أهل نجد وغيرهم ممن لا يمكن اجتماعهم على إمام واحد إلا بهذا الدين وظهرت آثار الإسلام في كثير من الأقاليم النجدية وغيرها مما تقدم ذكره وأصلح الله بهم ما أفسدت تلك الدول التي حاربتهم ودافعتهم عن هذا الدين ليطفئوه فأنى الله ذلك وجعل لهم العز والظهور ، انتهى ما ذكره الشيخ والمقصود أن هذا العراقي ذكر أن الدولة المصرية أفنت المسلمين وأبادتهم ولم يبق منهم أحد وقد أبقى الله وله الحمد والمئة من آل سعود من أقام هذا الدين وجاهد فيه وأحيا ما اندرس من معالمه بعد تلك الدول ونسأل الله أن يديم ذلك وأن يجعلهم أئمة هدى وأن يوفقهم لما وفق له الخلفاء الراشدين الذين لهم التقدم في نصرته هذا الدين والحمد لله رب العالمين .

فصل

قال العراقي : ومن قبائح ابن عبد الوهاب الشنيعة أنه منع الناس من زيارة قبر النبي ﷺ فبعد منعه خرج أناس من الأحساء وزاروه ﷺ فلما رجعوا مروا على ابن عبد الوهاب في الدرعية فأمر بحلق لحامهم واركبهم مقلوبين إلى الأحساء .

(والجواب) أن هذا كذب واقتراء فان الشيخ قال في جواب اثنتي عشرة

مسألة منها إكراهه بزيارة قبر النبي ﷺ ما صه .

فهذه اثنتا عشرة مسألة جاء في فيها أن أقول (سبحانك هذا بهتان عظيم)
وفى تقدم ذكرها . وأما كونه حائلاً لئلا من أهل الاحساء فهو من تصرف
هذا العراقي فإنه لم يذكرها إمام صدقاتهم أحمد بن حنبل في مفسراته وهم
إنما يمتسئون على ما اقترحه لهم واقترأه (فبعداً للقوم الظالمين)

وأما قوله قد أخبر النبي ﷺ عن هذا الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت
من أعلام بيوتته عليه الصلاة والسلام لأن فيها أخباراً بالغيب فمنها قوله عليه
الصلاة والسلام « الفتنة من ههنا » وأشار إلى المشرق وقوله ﷺ « يخرج الناس
من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى هوفه » يعنى موضع الوتر .
سيماهم التحليق ، وفي رواية زيادة على ذلك « هم تر الخليفة طوبى لمن قتلهم أو
قتلوه يدعون إلى كتاب الله وايسوا منه في شئ » وقوله ﷺ « اللهم بارك لنا في
شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : يا رسول الله وفى نجدنا ؟ قال « هناك
الريال وانتم وبها يطاع فرن السبعان » . وقوله ﷺ « يخرج الناس من المشرق
بقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نسا قرن حتى يكون آخرهم المسيح
الدجال سيماهم التحليق » وفي قوله ﷺ « سيماهم التحليق » تنصص عن هؤلاء
القوم الخارجين من المشرق الناجين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه .

فالجواب أن يقال لقد . والله . أمكن الرأى من سواء الثغرة ، وعلى نفسها
تحى برأى . فان قوله ﷺ الفتنة ههنا الفتنة ههنا « وأشار إلى المشرق مراده
مشرق المدينة وهو المشرق كما رأتى ذلك في الأحاديث من كلام أهل العلم .

فأما قوله : « ههنا ههنا » الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا ، وأشار إلى المشرق
أقول روى البخارى في كتاب الفتن من حديث ابن عمر وأفضله هكذا عن
سالم عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قام إلى جنب المنبر فقال « الفتنة ههنا الفتنة ههنا
من حيث يطلع قرن الشيطان » أو قال « قرن الشمس » وفى رواية عنه أنه سمع
رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول « الا ان الفتنة ههنا من حيث

يطلع قرن الشيطان، وفي رواية عنه قال ذكر النبي ﷺ « اللهم بارك لنا في شامنا
اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك
لنا في يمننا » قالوا وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة « هناك الزلازل والفتن وبها
بطلع قرن الشيطان » ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم سمعت ابن عمر
يقول سمعت رسول الله ﷺ يشير يده نحو المشرق ويقول « ها ان الفتنة
ها هنا - ثلاثاً - حيث يطلع قرن الشيطان » وله من طريق حنظلة عن سالم
مثله قال « ان الفتنة ها هنا ثلاثاً » وله من طريق فضيل بن غزوان سمعت سالم
ابن عبد الله بن عمر يقول « يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم
للكبيرة سمعت أني يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الفتنة تجيء من
ههنا وأومئ يده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان » كذا فيه بالثنية
فتبين من هذا الحديث الصحيح أن المراد بالمشرق العراف ولا بدع فهو منبع
كل فساد ومنشأ كل الحاد، قال الخطابي : نجد من جهة المشرق ومن كان
بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها فهي مشرق أهل المدينة ، واصل نجد
ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور فانه ما انخفض منها ، وقال الحافظ
في الفتح : وقال غيره « كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر ﷺ أن الفتنة
نكون من تلك الناحية فكان كما أخبر وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان
ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين ، وذلك مما يجبه الشيطان ويفرح به وكذلك
البدع نشأت من تلك الجهة ، انتهى ، وقال القسطلاني إنما أشار عليه الصلاة
والسلام الى المشرق لأن أهله يومئذ أهل كفر فأخبر أن الفتنة تكون من تلك
الناحية وكذا وقعت فكات وقعتة الجمل ووقعة صفين ثم ظهور الخوارج في
أرض نجد والعراق وما وراءها من المشرق وكان أصل ذلك وسببه قتل عثمان
ابن عفان رضي الله عنه وهذا من أعلام نبوته ﷺ انتهى .

فتبين مما ذكره الشراح أن المراد من قوله من قبل المشرق أنه العراق
ونواحيه لأن به كانت وقعتة الجمل ووقعة صفين وهي لم تكن إلا في ناحية العراق
وخروج الخوارج إنما كان من البصرة والكوفة فأين هذه الأماكن من

اجمالة او كانوا يعسبون ولكن الامر كذا قيل روى عنها راسا وقال
 الداودى : ان نجدا من ناحية العراق ذكر هذا الحافظ ابن حجر ، ويشهد له
 ما فى مسلم عن ابن خزيمة ان سمعت سالم بن عبد الله سمعت ابن عمر يقول يا أهل
 العراق ما أسألكم عن "الصغيرة وأركبكم تلك كبيرة سمعت رسول الله ﷺ يقول
 " إن كنتن تيجى من ههنا وأوى بيده الى المشرق " فظهر أن هذا الحديث خاص
 لأهل العراق لأن النبي ﷺ فسر المراد بالإشارة الحسية وقد جاء صريحا فى
 الكبير للذهبانى النص على أنها "العراق" وقول ابن عمر وأهل النخلة وشهادة الحال
 كل هذا يعين المراد ومن المعلوم بالضرورة أن وقعة الجمل وصفين لم تكن
 بأرض اليمامة ولا كان خروج الخوارج على على رضى الله عنه الا يجر وراء
 من جهة العراق ونواحيها .

وأما قوله فى الحديث الآخر يخرج ناس من قبل المشرق يقرءون القرآن اح
 فأقول الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد عن معبد بن سيرين عن
 أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال " يخرج ناس من قبل المشرق
 ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية
 لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوفه " قيل ما سيأثم قال "التحليق" أو قال
 "التسديد" وقد وقع مصداق ما أخبر به ﷺ من خروجه هؤلاء المارقين على هذه
 "صفة" أخبر بها قال الله ﷻ وكان خروجهم من جهة العراق كما ذكره
 الشراح ، قال الحافظ فى الفتوح فى آخر كتاب التوحيد تحت قوله ﷺ " يخرج ناس
 من قبل المشرق " تقدم فى كتاب الفتن أنهم الخوارج وبيان مبدأ أمرهم وما ورد فيهم
 وكان ابتداء خروجهم فى العراق وهى من جهة المشرق بالنسبة الى مكة المشرقة
 انتهى . وأخرج البخارى عن بشير بن عمرو قال : قلت لسهل بن حنيف هل
 سمعت النبي ﷺ يقول فى الخوارج شيئا ؟ قال : سمعته يقول : وأهوى بيده قبل
 العراق " يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام
 مروق السهم من الرمية ،

وأما قوله ﷺ " اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا " الحديث

فالجواب أن يقال وصفت أهل الأئمة بهذا كذب عن رسول الله ﷺ فإنه لم يصف أهل نجد وأهل أئمة بهذا ولا دخل في رصده من بشرن بالله ورسوله منهم ولا من غيرهم بل المصوف باجماع المسلمين هم الحرورية النخارجون على الدين قائلهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه من أصل الكوفة والبصرة وما لبها من بنى يسكر ومن طى وتميم وغيرهم من قبائل العرب ودارهم ومسكنهم بالعراق ولا يختلف في هذا ، ودواتهم وشوكتهم كانت هناك دين النهر ولذلك نسبوا إليه وقيل أهل النهروان وحروراء بلدة هناك نسبوا إليها قليل الحرورية وبعض ألفاظ الحديث في بعض الطرف دال على تلك الخصوصية كما وقع في رواية البخارى عن أبي سعيد « يخرجون على حين فرقة من الناس » قال أبو سعيد شهدت لسمعتة من النبي ﷺ وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه حين جىء بالرجل على التعت الذى نعتة النبي ﷺ وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد « تمرق مارقه عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » وكذلك الحديث الذى أورده العراقى (الزهاوى) من قوله ﷺ « يخرج من المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال » قال بعض المحققين من أهل العلم فى رده شبه دحلان : لم أوف على هذا اللفظ ولكن أخرج معناه النسائى من حديث أبي برزة وأخرج ابن ماجه معناه من حديث ابن عمر ولفظه أن رسول الله ﷺ قال « ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع » قال ابن عمر حتى يخرج فى عراضهم الدجال وفى مجمع الزوائد عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون مع بقيتهم الدجال » رواه الطبرانى واسناده حسن . انتهى

وأما قوله : وفى قوله ﷺ « سيامم التحليق » تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لأنهم كانوا يأمرؤن من انبعضهم أن يخلق رأسه ، ولا يتركونه اذا تبعهم حتى يخلقوا رأسه ، ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة التى مضت قبلهم ، وكان

أن عبد الوهاب أمر بخلق رؤوس النساء أخصاً من أتباعه . وفي مرة أمر امرأه
دخلك في دية أن تحلق رأسها فقالت له لو أشرت بحلق اللحية جال لساح أن
تأمر بخلق رؤوس النساء . فان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فله يحد
لها جواباً

فالجواب أن نقول : قد نقدم أن التحليق من صفة الخوارج الذين يخرجون
من العراق كما هو معروف مشهور في الأحاديث وكلام العلماء .

وأما قوله إن الشيخ وأتباعه يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه فهذا من
الكذب والبهتان ، والله والعذران

وأما حكايته عن المرأة التي زعم أن الشيخ أمرها بحلق رأسها بمن الخرافات
والجواب التي لا يستجيز صيدان المسكاتب حكايتها ، ولا يحكيها إلا هزل الذين
سلب الله عقولهم ، وأنطقتهم بما يضحك منه انجاذيب الذين لا يعملون

وأما قوله ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة التي مضت قباهم
فأقول هذا مما يبين شدة غباوة هذا العراقي وحيله ، وعدم إدراكه ومعرفة
وشدة كلب عذارته لأهل الاسلام ، فان التحليق من صفة الخوارج كما مر في
الاحاديث ، وهم خرجوا على علي رضي الله عنه وهم من أكبر الفرق الضالة في
القرن الاول ، وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى دين الله في القرن
الحادي عشر . أهلاً يستحق هذا العراقي ممن وقف على كلامه من سوء قصده
ومرامه حيث قال : ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة وهو قد وقع
للخوارج ، ومن شدة غباوته أنه يكتب هذا في صفة الخوارج ثم يقول : ولم
يقع مثل هذا منهم إلا أن يكون توهم أن الذين خرجوا على علي وقائهم في
النهر وان ليسوا بخوارج ، وإنما الخوارج عنده من أخصوا العبادة لله بجميع
أنواعها ، ودعوا الناس إلى ذلك ، ونهوا عن الاعتقاد في الانبياء ، والاولياء
والصالحين ، والاحجار ، والاشجار ، وترك التعلق بآلهم ، والاتجاه بهم في
الرغبات والطامبات ، وأنه لا يستغاث بهم في كشف الكربات والملمات إلى
غير ذلك من الفواحش والمنكرات

وأما قوله وكان ابن عبد الوهاب يأمر بحلق رؤوس النساء إلى آخره
فأقول هذا من الكذب الواضح الذي لا يمتري فيه عاقل ، بل هو تزوير
الذين يصدون عن سبيل الله وييغونها عوجا وقد خاب من افترى ، وشاهد الحال
يكفى في رده هذه الخرافات

وأما قوله ومن الأحاديث قوله ﷺ ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلة
رجل يغير دين الاسلام ،

فأقول هذه رواية بلا سند فلا اعتداد بها ، بل هذا من موضوعات هؤلاء
الغلاة ، ولو كان لها أصل لعزاها إلى كتاب من الكتب المعتمدة ، وقد قال امام
ضلالة هؤلاء الغلاة دحلان في شبهاته ومفترياته ما نصه : وفي بعض التواريخ
بعد ذكر قتال بنى حنيفة قال : ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلة رجل يغير
دين الاسلام ، فنسبها إلى بعض التواريخ غير مستدة إلى تاريخ معلوم ولا إلى
رسول الله ﷺ بسند يعتمد عليه ، وهذا الجاهل أسند هذه المقالة إلى رسول الله
ﷺ بغير سند لعظم شباوته وجراته ، وقد قال ﷺ « من كذب على متعمداً
فليتبوأ مقعده من النار »

فصل

فاذا وضح لك ما تقدم ذكره فاعلم أنه لا يكون من الخوارج وعلى مذهبهم
إلا من يستن بسنة هؤلاء الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وسلك مسلكهم
من قتل أهل الاسلام ، وترك أهل الاوثان ، وتكفير من لا يعتقد معتقدهم ،
وإباحة دمه ، وماله ، واهله ، وأن عثمانيين وعلياً وأصحاب الجمل وصفين وكل من
رضى بالتحكيم كفار ، وأن من أنى كبيرة فهو كافر مخلد في النار أبداً ، وأن من
لم يخرج ويحارب المسلمين فهو كافر ولو اعتقد معتقدهم ، وإبطال رجم المحسن ،
وقض يد السارق من الابط ، وإيجاب الصلاة على الحائض في حال حيضها ،
وكفر من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان كان قادراً وان لم يكن

قادراً فقد ارتكب كبيرة ، وحكم مرتكب "كبيرة عندهم حكم" كافر ، وسائر معتقداتهم الفاسدة ، وأعمالهم الرائقة

فاذا تبين لك هذا فالشيخ رحمه الله واتباعه لا يعتقدون شيئاً من عقائدهم . ولا يعملون بشيء من أعمالهم . بل مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الاسلامي ، بل والاعلم والاحكم ، وهم في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ، ومن روى عنهم من تلك الخرافات والافاضات ، أو نسيه اليهم فقد كذب عليهم وأفرى ، وهذا ظاهر لمن طالع كتابه المسمى كتاب التوحيد وسائر الرسائل المؤلفة للشيخ .

فصل

قال العراقي : ومن قبائح ابن عبد الوهاب احراقه كثيراً من كتب العلم ، وقتله كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم ، واستباحة دمائهم وأموالهم ، وتبشيع قبور الاولياء ، وقد أمر في الاحساء أن تجعل بعض قبورهم محلاً لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات . ومن الراتب والاذكار ، ومن قراءة المولد الشريف ومن الصلاة على النبي ﷺ في المنابر بعد الاذان ، وقتل من فعل ذلك ، ومنع الدعاء بعد الصلاة ، وكان يصرح بكفر المتوسل بالانبياء ، والملائكة ، والاولياء ، ويزعّم أن من قال لا إله إلا الله : مولانا وسيدنا فهو كافر . فالجواب أن يقول : قد تقدم الجواب عن هذه المفتريات وبيننا أنها كذب وزور ، وتعنّت وفجور إلا أنما لم نجب عن دعواه نبش قبور الاولياء وجعلها محلاً لقضاء الحاجة ومنع الناس من الروائب والاذكار ، وأن الشيخ يقول لمن قال لا إله إلا الله : مولانا وسيدنا فهو كافر .

فأما دعواه أن الشيخ نبش قبور الاولياء فهذا كذب والذي جرى من الشيخ رحمه الله واتباعه هدم البناء الذي على القبور والمسجد المجهول في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه وذلك كذب ظاهر فإن قبر زيد رضي الله عنه ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه ،

بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ قتلوا في أيام سيامة في هذا الوادي ، ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم ، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره ، وإنما كذب ذلك بعض الشياطين ، وقال الناس هذا قبر زيد فانتنوا به وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد بالزيارة ، ويجمعونه جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات ، وتفرج الكربات ، فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره ، وذلك المسجد ابدى على المقبرة انبعاثا أمر الله به ورسوله من تسوية القبور في الهوى والتغليظ في بناء المساجد عليها كما يعرف ذلك من له أدنى مسكة من المعرفة والعلم ، وأما كونه نبش القبر فكل هذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور وكذلك قوله : وقد أمر في الاحساء أن تجعل بعض قبورهم محلا لقضاء الحاجة كذب وافراء .

وأما قراءة مولد النبي ﷺ بوقت محدد وطريقة معلومة وكتب مخصوصة لها فلا شك في كونها بدعة محدثة ، فأى محذور في المنع منها ؟ وإما الدعاء بعد الصلاة فإن كان بالالفاظ الواردة في الاحاديث الصحيحة من الاذكار من غير رفع اليدين كما ورد في الصحيحين وغيرهما من الكتب فالشيخ لا يمنع منه ولا أحد من أتباعه بل ولا أحد من أهل الحديث ، وإن كان الدعاء بغير الالفاظ المأثورة وكما يفعله الناس اليوم فقال شيخ الإسلام لما سئل عن ذلك (الجواب) الحمد لله ، لم يكن النبي ﷺ يدعو هو ولا المأمومون عقيب الصلوات الخمس كما يفعله الناس عقيب الفجر والعصر ولا نقل ذلك عن أحد ولا استحباب ذلك أحد من الأئمة ، ومن نقل عن الشافعي أنه استحباب ذلك فقد خلط عليه ، ولفظه الموجود في كتبه ينافي ذلك ، لكن طائفة من أصحاب أحمد وأبي حنيفة وغيرهما استحبابوا الدعاء بعد الفجر والعصر ، قالوا : لأن هاتين الصلاتين لا صلاة بعدهما فتعوض بالدعاء بعد الصلاة ، واستحباب طائفة من أصحاب الشافعي وغيره الدعاء عقيب الصلوات الخمس وكلهم متفقون على أن من ترك الدعاء لم ينكر عليه ومن أنكر عليه فهو مخطئ باتفاق العلماء فإن هذا ليس مأمورا به لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب في هذا الموطن بل الفاعل أحق بالانكار فإن المداومة على ما لم يكن النبي ﷺ يداوم عليه في الصلوات الخمس ليس مشروعا بل مكروها

كما أو داوم على الدعاء عقيب "آخر" في "صلاة أو داوم" على "الصوت في الركعة الأولى في" صلوات الخمس أو داوم على "آخر" بالآلة "نداء" في كل صلاة. ونحو ذلك فإنه مكرره ، وإذا كانت "تقوي" في صلوات الخمس قد فعله النبي ﷺ أحيانا . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب في كل صلاة بنحو ذلك فأفرد عليه ، فليس كل ما شرع فعله أحيانا تشرع المداومة عليه ، وإبراهيم الإمام والمأوم أحيانا عقيب "صلاة لأمر عارض" لم بعد هذا مخالفة للسنة كالذي يداوم على ذلك ، والأحاديث "صحيحة" تدل على أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلوات قبل السلام وبأمر بذلك كما قد بسطنا الكلام على ذلك وذكرنا ما في ذلك من الأحاديث وما يظن أن فيه حجة للناس في خبر هذا الموضع . وذلك لأن الداعي يناجي ربه فإذا اصرف مسلما اصرف عن مناجاته ، ودعاه أن . والوسائل لربه حال مناجاته هو الذي يناسب دون سواه بعد انصرافه ، كما أن من يخاطب ملكا أو غيره فإن سواه له وهو مقبل على مخاطبته أدنى من سواه بعد انصرافه عنه . انتهى .

وأما مسألة قول القائل : مولانا وسيدنا فالشيخ لا يمنع من قال ذلك على أوجه الذي يعرفه الناس من لفظ السيد الشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم ، وكذلك لفظ المولى بالمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والخال وابن العم والخليف إلى غير ذلك ، وإنما نهى ومنع عن إطلاق لفظ السيد والمولى فيمن يعتقدون فيه نوعاً من الربوبية أو الألوهية كما يقول : يا سيدي أو يا مولاي فلان أنتمي أو أدركني أو أرزقي أو أما في حسبك ونحو هذا ، فمن قال هذا بهذا المعنى فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه إله آخر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الرسالة السنية : فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً

من الاسلام لاسباب منها الغلو في بعض المشايخ ، بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول : ياسيدي فلان انصرني ، أو أغثنى أو ارزقني أو أماناً في حسابك ، ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل إلى آخر كلامه رحمه الله

فصل

قال العراقي الزهاوي البغدادي :

الوهابية وعديت بغيرها

إن زعيم الوهابية اليوم هو عبد الرحمن بن فيصل من أولاد محمد بن سعود الباغي الذي حاد عن طاعة الخلافة العظمى الاسلامية سنة ١٢٠٥ واستمرت له وقائع مع الشريف غالب إلى ١٢٢٠ حتى عجز الشريف عن حربه جهزت الدولة العلية عليه عساكرها وناطت الأمر بوزيرها المرحوم محمد علي باشا صاحب مصر وولده المرحوم ابراهيم باشا فأبادهم سنة ١٢٣٣ كما ألعنا اليه في مقالاتنا السابقة بما هو مسطور في كتب التاريخ ، وعبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريباً أميراً على الرياض ، فلما استولى عليها المرحوم أمير نجد محمد بن رشيد هرب عبد الرحمن بن سعود إلى بعض السواحل البحرية ، وأخيراً التجأ إلى الكويت وبقي هناك يعيش في فقر مدقع لا يرحمه أحد إلى أن عطفت عليه الدولة العلية وأجرت له جناية أزال ما كان فيه من الفقر وصار يعيش في أرغد عيش على هفتها في تلك الديار .

(والجواب أن يقال) نعم قد كان زعيم الوهابية اليوم الامام المعظم والرئيس المنفخم عبد الرحمن بن فيصل وابنه عبد العزيز بن عبد الرحمن هو قائد الجيوش الاسلامية وكان عبد الرحمن من أولاد محمد بن سعود الذي رفع الله به أعلام الشريعة الحممدية والمة الابراهيمية ، بعد أقول شمسها ، واضناس معالمها

ودروسها ، فبغت عليه الدولة المصرية لما استولت له البلاد العربية ، وأظهر
دين الله الذي بعث الله به رسله ، وأوزن به كتبه ، وكان قد جرى من أولاد
سعود رحمه الله بعض التقصير في الأوامر الددية فسلط عليهم بسبب ما اقترفوه
من الذنوب هؤلاء الباغون المعتدون كما تقدم بيانه بما لا فائدة في إمامته ، ثم رد
الله الكرة للمسلمين وجمعهم الله بالامام فيصل بن تركي بعد ما بغت عليه العساكر
المصرية ، ونقلوه إلى مصر بعد محاربات عديدة ، وأمور هائلة شديدة ، ثم توفي
رحمه الله سنة ١٢٨٢ هـ .

(وأما قوله) وعبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريباً أميراً على الرياض
فأقول ليس الأمر كذلك وما آفة الأخبار إلا رواها بل كان الأمير على
أهل نجد بعد وفاة الامام فيصل ابنه الأكبر عبد الله بن فيصل واستمرت له
أولاية مدة سنين ثم كان بينه وبين أخيه سعود محاربات و منافسات على المملكة
يطول عدها وكان محمد بن رشيد من أمراء آل سعود على جهة الجبل وما يليه
من القرى والبادى فلما ضعفت الممالك النجدية وتضعضع أمرها باختلاف
آل سعود بينهم وخاب أولاد سعود على عمهم عبد الله بن فيصل استنجد عبد الله
بمحمد بن رشيد على أولاد أخيه سعود فسار إلى الرياض وحصرها أياماً قلائل
ثم وقعت المصالحة بينه وبين أهل الرياض وبينه وبين أولاد سعود على الخرج
من أعمال الرياض وارتحل ابن رشيد راجعاً إلى الجبل بعبد الله بن فيصل ثم بعد
ذلك غدر بأولاد سعود وقتلهم وصار الأمر في يده بالبغي والعدوان على أهل
تلك الأماكن والبلدان وكان الامام عبد الرحمن بن فيصل حال ولاية ابن رشيد
على الرياض ساكناً فيها والأمير عليها من جهة محمد بن رشيد أخوه محمد
ابن فيصل والمتصرف فيها بأوامر محمد بن رشيد أحد أمرائه المسمى سالم
ابن سبهان وكان رجلاً فاجراً لا يخاف الله ولا يتقيه فأراد الخديعة والمكر
بعبد الرحمن بن فيصل والغدر به كما غدر بأولاد سعود فلما تحقق الامام
عبد الرحمن خبره هجم عليه وأخذه قسراً وقهراً وحبسه ثم بعد ذلك قدم
ابن رشيد وحاصر الرياض نحواً من شهر ثم رجع غائباً حسيماً لم يدرك

مقصوده فلما لم يحصل على طائل بالمحاربة أخذ يخادع أهل الرياض ويعدم
ويعنيهم حتى انخس له بعض الثمرات لما يحصل لهم بعد ذلك منه بسبب غدرهم
من الانتقام والدمار فلما تحقق الامام عبد الرحمن ذلك انشأ ونفّر عنده
واشتهر خرج بأولاده وأهله إلى (قطر) ثم التحل إلى الكويت فسكن بها
واستقر ، هذا ملخص الأمر لا كما يزعمه هذا العراقي ثم توفي محمد بن رشيد
سنة ١٣١٥ الف وثلاثمائة وخمس عشرة ونولى بعده ابن أخيه عبد العزيز
ابن متعب وجرى بينه وبين مبارك بن صباح ما جرى من المحاربة وكانت الدائرة
لابن رشيد على ابن صباح غير أنه لم يقتل من قومه هذا العدد المذكور بل كان
القتلى قريباً من ثلاثمائة رجل أو أقل .

وأما قوله وبقي هناك يعيش في فقر مدقع لا يرجو أحد إلى أن عطف عليه
الدولة راجرت له جناية أزال ما كان فيه من الفقر إلى آخر كلامه .

فأقول لما كان لهذا العراقي الحظ الوافر من الكذب على الأموات ولم يكشف
بذلك أخذ يكذب على الأحياء بما هو معلوم كذبه بالاضطرار فان الامام
عبد الرحمن كان في بلد الكويت في أرغد عيش وأنعم بال وكان جميع من
يصل إلى تلك البلاد من أهل نجد في مضيفه حتى يرحلوا بالجواز والصلوات
الجزيلة من الامام . وإنما أخذ معاش الدولة ليسكن بذلك لكونه إذ ذاك في
طرفهم وأولايه لهم فيه ظهراً ولأن الكويت قريباً من بلاد نجد والأخبار
تصل إليه بسرعة وأيضاً كان فيه آمناً من تسلط الأعداء فليس لأحد عليه فيه
انصال بما يكره لا من جهة الدولة ولا من جهة ابن رشيد فلذلك استحب سكنى
الكويت على غيره من الأماكن .

وقد كان قائد الجيوش الإسلامية الهمام المقدم القمقام المفتخ والوزير
الغشمشم عبد العزيز بن عبد الرحمن إذ ذاك حديث السن لكنه مع ذلك يروم
من الأمور معاليها وينبئ بهمة إلى هاماتها وأعاليها وطلب من أبيه عبد الرحمن
ابن فيصل أن يأذن له في الاغارة على البوادي من أهل نجد ممن كان في ولاية
ابن رشيد ليتقوى بما يأخذه منهم على محاربة ذلك العدو المريد والفاجر العنيد

عبد العزيز ابن متعب بن رشيد فأذن له في الخروج والغزو وأعاد ابن صباح
بسلاح فأخذ يغير على البوادي "مجديته حتى أئحهم قسراً وأخذهم مبراً ولم يكن
ابن رشيد إذ ذاك كما يزعمه العراقي مشغولاً ببعض الغزوات لكنه قد مهت بها
فعل هذا الرئيس اهتمام والفراس المقدام فأعمل الفكرة والحيلة في حنط القرى
والامصار بأن جعل فيها بأمر الدرلة العثمانية من يمنع عشائر ابن سعود عن
الميرة منها والتقدم إليها فانه كان اذا فقل من غزوته نزل فيها من الاحسا، يمتار
منها ويتزود فتمتته الدرلة من التقدم إليها للبردة واستمع بعض فواد الاعراب
عن مساعدته لاجل ذلك فلما تحقق عبد العزيز ما عمله من الحيلة وتعذر الوصول
إلى بعض تلك الاقطار للاختيار اقتضى رأيه أن يسير الى الرياض فجهم عليها
ليلاً بشرذمة قليلة نحواً من ثلاثين رجلاً فقتل أمير ابن رشيد ودويه بعد أن
ألقى بنفسه ومن معه على ثغر الرياض من باب سبخر في عرض باب "تقصر
ووقاه الله شر رماة من فيه من الرجال فلما فرح من أمر ذلك لفهم أحكم سور
البلد في مدة يسيرة وحفظه بالرجال وأخذ يغير على البوادي من كل معاند له
ومعادى وكف الله أكف الضالين ولم يتهمزوا النرصاة بالمبادرة الى الرياض قبل
استحكام الأمر ثم جمع ابن رشيد جموعه من المخاطرة والبسادية وأقل بتلك
الجنود العاتية حتى نزل بقرية من قرى الوشم فكث بها قرباً من أربعين يوماً
يخادع أهل الرياض وبعدهم ويمنيهم بالآوعاد وههات دون ذلك خرط القتاد
ثم ارتحل ونزل بماء بمال الحسى فكث به قريباً من شهر وفي تلك الايام والامام
عبد العزيز في الرياض ثم افتضى رأيه الميمون أن يسير الى الخوطة من ديار
بنى تيم السكى لانهج أمر ابن رشيد وإلى ما بصير انه أمره بعد ارتحاله عن
أرض الرياض فارتحل ابن رشيد من الحسى زعي إلى الخرج لأجل حصارها
فاستنصر امته ثم مضى عبد العزيز حفظه الله بأهل الخوطة وما إليها من القرى ومن
معه من أهل الرياض حتى وصل إلى بلد الخرج فدخلها ليلاً ثم لما كان من الغد
برز له وجرت بنه وبين ابن رشيد مفاثلة في مدة ثلاثة أيام فهزم الله ابن رشيد
وجنوده وقتل منهم عبد العزيز خلقاً كثيراً ورجع ابن رشيد خاسئاً حسيراً .

وأما قول العراقي أنه حاصر الرياض سنة فتن الكذب الواضح فإنه لم يقدم إليها فضلاً عن أن يحاصرها لكنه بعد ذلك بمدة نحواً من خمسة أشهر قصد الرياض وكان عبد العزيز بن عبد الرحمن قد سار بجنوده إلى الكويت لظهور أهله منها وجد ابن رشيد في السير حتى وصل إلى الرياض ليلاً ولم يشعر به أحد حتى كان وقت السحر وهو قد أحرق بالبلاد وحفظ أطرافها بالخيول والجنود وأمر على بعض قومه أن يقتحموا في البلد فيسر الله أن رجلاً من أهل البادية أقبل قاصداً إلى الرياض فرآه وهو قد قرب منها فدخلها ليلاً وصاح بأهل البلد فنهض أهل البلد وقصدوا السور وأشعلوا النيران في البروج وهم قد أحرقوا بها لكن قذف الله في قلوبهم الرعب فاجتمعوا عن الاقتحام والزحام فلما علم أن أهل البلد قد شعروا به أرسل إلى قومه أن يكفوا وأن يرجعوا إلى معسكرهم وأمر البادية ومن معهم من المحاضرة المحدثين بالبلاد أن يأخذوا ما وجدوا في النخيل من الأدباش وقتلوا في النخيل عشرة انفار فلما كان من الغد بعد ارتفاع الشمس أقبل بجنوده ونزل على الرياض فظهر عليه بعض الأبطال من الرجال وصار بينهم قتال ثم لما كان من اليوم الثاني قذف الله في قلبه الرعب فارتحل من الرياض لم يحصل على طائل وقد قتل من قومه نحواً من خمسين رجلاً ثم سار إلى شقراء فحاصرها مدة نحواً من نصف شهر فلما علم أن عبد العزيز ابن عبد الرحمن قد وصل إلى الرياض راجعاً من الكويت ارتحل من الوشم ونزل القصيم ولما رأى ابن رشيد أن أمور ابن سعود قد استصعبت عليه وعشائر نجد التجأت إليه لم يجد مندوحة عن الالتجاء إلى الدولة العثمانية والاستنصار بها فلما عزم على ذلك الأمر جعل في القصيم جنوداً من قومه وأمر عليهم ماجد ابن حمود وحفظ الحصن الذي في (بريدة) بالرجال والأزواد وحفها بالاجناد وبعث سرية من قومه وأمر عليهم حسين ابن جرادة إلى بادية حرب وأمره أن يسير بهم إلى قرى الوشم وينزل بها هناك حتى يقدم اليهم بالعساكر العثمانية وأرسل رسلاً إلى باشا بغداد بعد أن قرب من تلك البلاد فاستجاشها وأثارها بالبخاشيش فأمده بالاجناد فعند ذلك انتهز الفرصة الإمام عبد الرحمن فأمر

ابنه عبد العزيز فأغار بالجيوش الإسلامية والجنود الخشنة على حسين بن جرادة ومن معه من تلك الاجناد من حرب ومن اجتمع عليهم من الآء راد فأخذهم الله وقتل منهم مقنلة عظيمة ثم رجع تلك الغنائم الجسيمة هذا وماجد بن حمود الرشدي مع جنوده قريبا من عنيزة فليجأ إليها ونزل قريبا منها لأجل حماية أهلها فسار اليهم عبد العزيز فدخل عنيزة عنوة ليلا وقتل أمير ابن رشيد الذي كان فيها ثم سار بجنوده آخر الليل فهجم على ماجد بن حمود ومن معه من الجنود فأخذهم الله تعالى وهرب ماجد بمن نحا معه الى الجبل وسار عبد العزيز الى بريدة فدخلها عنوة وحاصر الحصن الذي فيها نحواً من شهر ثم فتحه الله صلحاً . هذا ملخص ما جرى في تلك الوقعات .

فصل

قال العراقي : ولما رأت الدولة العلية اعتداء عبد الرحمن هذا وبغية ونطاولة على صادقها ومخلصها الأمير ابن رشيد ونزع عبد الرحمن الى الاجانب أرسلت كتبة من عساكرها المنصورة صحبة الأمير ابن رشيد لقطع دابر أولئك المارقين وقع بغيتهم واعتدائهم واطفاء شرر فتنهم المستطير فصادمت العساكر المنصورة الجماعة الباغية حزب ابن سعود قرب بلدة البكيرية من بلاد القصيم . ف وقعت بين الاثنين ملحمة كبرى انجلت عن هزيمة الفتنة الباغية جماعة ابن سعود وامتلاك العساكر أحد عشر راية من راياتهم . وقد كان والحق يقال الحضرة الأمير ابن رشيد وجيشه في هذه الملحمة خدمة في قمع الأعداء تشكر وبسالة يخلد ذكرها ولا ننكر وأما المنهزمون فهم اليوم متحصنون ببعض تلك البلاد والعساكر المنصورة مع جيوش الأمير ابن رشيد محققون بهم ومجدون في تنكيلهم وكبح جماحهم . وفقهم الله تعالى لذلك .

والجواب أن يقال ليس الأمر كما زعم هذا العراقي بل حقيقة الحالة أنه لما رأت الدولة العثمانية أنه قد وقع بين العرب حروب عديدة وملاحم شديدة طمعت في بلاد العرب بواسطة الانتصار لابن رشيد كما أخذت الأحساء والقطيف

بعيداً وعدوا بأواسعة الانتصار لرب الله بن فيصل على أخته سعود : وقد كان
من اليوم أنها لا تمس مع أحد لحظ نفسه وانما تمشى لحظ نفسها ولكن لا يشعر
تأده عصابه لأنه ما دخل الأمر من بابه :

خاء - بأسباب من الكيد مزعج مدافعهم يزجي الوحوش رنينها

وظنوا أنهم لمن عاداهم من الناس سيقهرون وأنهم لمن حاربهم سيغلبون
(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فأقبل بتلك العساكر
والعربان يقودهم البغي والردان والاشيروالبطروالطغيان (يريدون ليطفثوا نور الله
بأموالهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) حتى نزل بأذن قرى
القصيم وأنزل الله عليهم بها من رجزه عقاصاً عظيماً ووباء وخيماً فقتل بعض
أولئك السخام وبين منهم خلق كثير وجم غفير ولم يعتبروا بما حل بهم ودها ،
وما نزل بهم من النوى ، فنهض اليهم الامام عبد العزيز بمن معه من المسلمين وهم
لا يبلغون معشار أولئك المعتدين ونزل البصر فارتحل ابن رشيد ونزل
بالشيخيات وسار عبد العزيز بالمسلمين فنزل البكيرية فلما كان من الغد واتصف
النهار ، ولم يبق كيداً من أولئك الاشرار ، وظن المسلمون انه لا يكون في ذلك
الوقت مقاتلة من الأغيار ، فتفرقوا في النخيل والاشجار ، فانهز ابن رشيد
هذه الفرصة وعبا عساكره وجنوده ، ونشر راياته وبنوده ، وجاؤوا كما قال
الله تعالى : (بطرا ورياء الناس ويصدون عن سبيل الله) ف وقعت بين الطائفتين
وقعة عظيمة ، وملحمة كبيرة جسيمة ، وكان المسلمون قد نهضوا اليهم على غير
تعبئة وكانت العساكر والجنود الطاغية قد نهضوا بأجمعهم في نحر أهل الرياض
ومن معهم من أهل النواحي غير أهل القصيم فاكشف المسلمون بعد أن جاءتهم
الخلال من خلفهم (وايمص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) قال الله تعالى :
(وبذلك الايام نداولها بين الناس) الآية . ولم يقتل من المسلمين على التحقيق إلا
نحواً من ثمانين رجلاً وقد قتل من العسكر وجند ابن رشيد خلق كثير ولما
كان في آخر النهار قبل غروب الشمس ظهرت جموع أهل القصيم وهم لا يعلمون
بانكشاف أهل العارض لانهم في خبة منخفضة فحملوا على العساكر العثمانية

وأما دعوى هذا العراق نزوع الامام عبد الرحمن الى الأجانب ويعنى
بالاجانب طائفة النصارى الاسكيز فمعاذ الله من ذلك وبأبي الله والمؤمنون
إلا منا بذتهم ومعاداتهم ومحاربتهم وكيف يكون ذلك وقد قال تعالى : (يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار أولياء وانقوا الله إن كنتم مؤمنين ، وإذا ناديتكم إلى الصلاة
اتخذوها هزواً ولعباً) الآية . وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم)
الآية . وقال تعالى : (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت
لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون) الآية . وإنما ينزع
اليهم ويتخذهم أولياء من حكم قوا بينهم والتزمها على نفسه ونفذها في رعيته وجعل
وزرائه ووكلاءه منهم ، وجعل لهم قناصل في أما كنه ودياره ، فنعوذ بالله من
رين الذنوب ، واتتكاس القلوب ، وإذا تحقق المنصف ما ذكرناه ، واتضح له
ما بناه ، مما كان وجري وما حصل من الامور بعد تلك الوقعات ، والدواهي
المعضلات ، بقدوم المشير أحمد فيضي باشا بجنوده وعساكره وعسكر المدينة
إلى القصيم مما لو ذكره العراقي لأوضحناه على جليلة عرف أن البسالة كل البسالة
التي يجب أن تشكر وتذكر ، وإن ينشر ذكرها في الخافقين ولا ينكر ، مقامات
الرئيس المفخم ، والمقدام المعظم ، والوزير الغشمشم ، عبد العزيز بن الامام
المكرم ، عبد الرحمن بن فيصل لا من نعتوه بها عن ليس لها بأهل .

لقد منّ مولانا وأفضل وارضى	أنا ملكا منا سمي المناقب
فشام المعالي وارضاءها وأمتها	بهمته العليا وجرد شواذب
ويض قواض يختلي الهام حدها	وقود الهجان اليعملات النجائب
فتي همه العليا وشاؤ مرامها	فأم إلى هاماتها والغوارب
فتي ليس يثنى همه ومرامه	طوال العوالي أو طول السباب
يخوض عباب الموت والموت ناقع	

وكتب هـول الخيل والخيل محفل
يرد لهام الجبس وهو عرمه
لقد فات أبناء الزمان وفاقهم
وجود وإقدام إذا احتك الفضاء
وأحجم أهلها يوم عصب
هناك لا تلقاء الا كضيغم
ترى جثث الابطال صرعى بغابه
كذا الملك "شهم الهام فاما
ترى عافيات الطير يعصبن فوقه
وتتبعه غرث السباع لعلها
وقد وثقت ان لا تعود خوامصاً
فلنا المني من بعد ان كادت العدى
بعبد العزيز بن الامام ابن فيصل
فلا من ندب عماد مذهب
ومن المعنى أحوذى ومصقع
بقود أسوداً في الحروب ضياعاً
خفيفة في دينها خفية
سما بهمو نحو المعالي سميدع
إذا هو أعطى ذمة لم يخس بها
فان رمت أخباراً له ووقائعاً
وحرباً وسل عنها مطيراً وغبرم
فزعهم أيدي سبا ففرقوا
وما بين منكوب وقد خال أنه
فما نال الا الخزي والعار والردى
بلطف من المولى له وإعانة

وقد هابه نوس المراك المصاعب
ويحطه بالمرهقات "سواب
فيل المعالي الساميات المرائب
وضاق بحال الصافات "سلاهب
به النقع يسمو كارتكام السحاب
هزبر أبي شبلين حجن الخالب
نراوحها الاشبال من كل ساغب
كفاة العدى جزرا له بالقوانسب
لتحظى باشلاء العندو المشاغب
تروح بظانا من لحوم المحارب
وان لها جزراً كفاة الكتائب
تحيط بنا من كل قطر وجانب
حليف العلى نسل الكرام الاطايب
أغاظ العدى من عجسها والاعارب
بيع بما قد شاءه في المقانب
تغير على الاعداء كأسد سواغب
ولبس لهم الا العلى من مارب
أبي وفي فاضل ذو مناقب
وما كان ذا غدر وليس بكاذب
فسل شمرا عنها بصدق المضارب
من العجم والاعراب من كل ناكب
فما بين مقتول وما بين هارب
بقوته قد حاز كل المارب
وآب حسيراً خاسئاً غير راغب
على كثرة الاعداء له والمحارب

وعز واسعاف على كل من بغى
ونصر له بالرعب في كل مأزف
إذا أم أمرا واعتلى متسامياً
وما ذاك إلا أنه لا ترده
ولا غرو من هذا ولا بدع إنما
ومن والد سامى الدرى ذى مآثر
له فبكات بالاعادى شهرة
أدام لنا رضى هم كل بهية
وسنة خير العالمين محمد
عليه صلاه الله ثم سلامه
وأصحابه وآل ما حن راعده

عليه وتسديد لدى كل نائب
من الملك العلام مولى المواهب
تمزقت الاعداء من كل جانب
طوال العوالى أو طوال السباب
حواها من الشوس الكرام الاطايب
حسان وأحلاف يفاع المراتب
يقصر عن تعدادها كل كاتب
على السفن الحاوى لكل المطالب
بى الهدى السامى لأعلى المناقب
بعدد وسيض البرق جنح الغياهب
وما اهل وبل من خلال السحائب

فصل

قال العراقي :

عقيرة الوهابية

لما رأى أبو عبد الوهاب ان قاطنى بلاد نجد يريسون عن عالم الحضارة لم
يزالوا على البساطة والسذاجة فى النظرة ، قد ساد عابهم الجهل حتى لم يبق للعلوم
العقلية عندهم مكانة ولا رواح رجاء هائل من قلوبهم ، هو صالح لأن يزرع
فيه بذور التمسك كما كانت له ، من رتبة رتبة به من تبيين الزمان ، وهو
الشمس والسن دراسة عقلية بنهايات الدين ، إذ كان لحاد الله يعتقد ان النوات
م تكن لإريامة وتمل اليه سادها البسر حتى ساعدتهم الظرف عليها بين
ظهر انى قوم جاهلين لبس لهم من العلم نصيب ، وحيث ان الله تعالى قد أرمح
باب النبوة بعد شاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ لم يجد للوصول الى أمينه طريقا
بين أولئك الانعام إلا أن يدعى انه مجدد فى الدين مجتهد فى أحكامه فخله هذا

الامر أن كثر جميع طوائف المسلمين وجعاهم مشركين ، بل أسوء من ذلك ،
وأشد كفراً وضلالاً ، فوصل إلى الآيات القرآنية الدالة في المتركين بجرمها عامة
شاملة لجميع المسلمين الذين يزعمون قدر بغيرهم ^{ببرئتهم} وبه تستدعون به إلى ربهم
فإن آراءهم كل مخالف أمارية "بإزالة" وسولته له نفسه بالسوء من الحاديات
سبب المرسلين ، وأقوال أئمة الدين والمجاهدين حتى إنه لما رأى الإجماع مصادماً
لما ابتدعه أسكره من أصله وقال لا أرى للناس بعد كتاب الله الذي جمع
قوله كل رطب ويابس وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى : (ومن
يتبع غير سبيل المدينين نوله ما تولى ونفصله جهنم وساءت مصيراً) .

(والجواب أن يقال) : ما أعظم جراءة هذا العراقي على الكذب وتعمد
الفرجور ، وقول الزور وهذه حال كل متمرّد كفور ، وقد قدسنا من حال نشأة
الشيخ ودعوته إلى الله ما يبين أفك هذا العراقي وتمرده وفسوره ، وأنه إنما أخذ
هذه المجونات والخرقة والأكاذيب والزندقة من كتب قوم قد ضلوا من قبل
وأضلوا كثيراً وحنأوا عن سواء السبيل ، وأثربت قلوبهم عداوة هذا الدين
وأهله ومن دعا إليه وكرهته وكرهته من دان به ، فأخذوا يضعون هذه الأوضاع
ليصدوا عن سبيل الله من آمن به ويغونها عوجاً ، ومن أعظم مفرجات هؤلاء
الكفرة أعداء الله ورسوله حيث أباحت أشقاها ، وتنفوّه بما لفقوه أغواها ،
حيث زعم أن الشيخ يزرع في قلوب أهل نجد بذور الفساد ، مما كانت نفسه
تنزع إليه وتمنيه به من قديم الزمان وهو الحصول على رئاسة عظيمة ينالها باسم
الدين ، إذ كان يعتقد أن "نبيرات" لم تكن إلا رئاسة وصل إليها دهاة البشر حين
ساعدتهم الظروف عليها بين ظهراني قوم جاهلين .

وهذا القول لا يقوله ويحكمه من الشيخ من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم
أنه موقوف بين يدي الله تعالى وقد كان من المعلوم أن هذا الاعتقاد من عقائد
الملاحدة الذين يقوون أن الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على
النفس المستورة الفاضلة الزكية فتصورت تلك المعاني وتشكلت في النفس بحيث
يتوهمها أصواتاً تخاطبه وربما قوى ذلك ببعض الحاضرين فيرونها ويسمعون

خطاياها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج وهذا يكون عندهم بنجرذ النفوس عن العلائق واتصالها بالمفارقات من العقول والنفوس المجردة وهذه الخصائص تحصل عندهم بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء ، وهؤلاء عندما وعند الشيخ رحمه الله اكفر من اليهود والنصارى وابتعد عن الاسلام من غيرهم من طوائف الكفر .

ولما توهم هذا الملاحد أن الشيخ ينتحل هذا المذهب الملعون قال : وحيث ان الله قد ارتجى باب النبوة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ لم يجد للحصول على امنيته طريقا بين أولئك الانعام الا أن يدعى أنه محدد في الدين مجتهد في أحكامه .

فيقال لهذا الملاحد قد كان من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام وبما ورد في الكتاب والسنة أن النبي ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده فمن توهم حصولها لأحد بعده فهو كافر ولكن قد اخبر صلى الله عليه وسلم « ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل قرن من يحدد لها أمر دينها ، وفي الحديث : « ما جعل الله من نبوة الا كانت بعدها فترة ، وهذا معلوم معروف عند أهل العلم كما قال الامام أحمد في خطبته « الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون منهم على الاذى يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، ومن ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح أثر الناس عليهم ، الى آخر كلامه ، وقد شهد أهل العلم والفضل من أهل عصره أنه أظهر توحيد الله وجدد دينه ، ودعا اليه كما تقدم ذكره عن الامام حسين ابن غنام ومحمد بن اسماعيل الصنعاني ومحمد بن أحمد الحفظي وغيرهم من علماء أهل الامصار ، وقد كان من المعلوم عند كل عاقل خبير الناس وعرف أحوالهم وسمع شيئا من أخبارهم وتواريخهم أن أهل نجد وغيرهم ممن تبع دعوة الشيخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانوا على غاية من الجهالة والضلالة ، والفقر والعالة ، لا يستريب في ذلك عاقل ، ولا يجادل فيه عارف ، كانوا من

أمر دينهم في حذوبة ، يدعون صرحين ، ويمقدون في السحر والاحجار ،
 واغيران ينوفون تقدير الاولياء ، ويثنون احرير وانصر من جبهتهم ، وفيهم
 من كفر الاتحادية والحوالية ، وجهالة "صوفية" ما روى أنه من لسع الايانية
 والطريقة المحمدية ، وفيهم من اسعده اعدوات ، ومنع الزكاة ، وسرب المسكرات
 ما هو معروف مشهور ، فحيا الله بدعوة شيخ سعار 'سرك' رمد هذه . وهدم
 بيوت الكفر والشرك ومعابده ، وكبرت الضواييت والمجدين ، وألزم من ظهر
 عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والهدى ،
 وكفر من أسكر البعت واسراب فيه من أهل الجبهة واجنفا . وأمر باقامة
 الصلاة وإبناء الزكاة ، وترك المنكرات ، ونهى عن الابتداع في الدين ، وأمر
 بتابعة "سلف الماضين في الاصول والفروع من مسائل الدين حتى ظهر دين الله
 واستعلن وان اذيان بدعوته مهاج الشريعة رأس ، وفام قائم الامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر ، وحدت الحدود الشرعية ، وعمرت العاريز الدينية ،
 واتصب علم الجهاد ، وقائل لاعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد حتى سارت
 دعوته ، وثبت نصحه لله . ولكتابته . ولرسوله ، ولائمة المسلمين وعامتهم ،
 وجمع الله به القلوب بعد شتاتها ، وتألفت بعد عداوتها ، وصاروا بنعمه الله
 اخوياً فاعصاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور ما لا يعرف مثله لسكان
 تلك الفياقي والصخور ، وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر ، ومن
 اليمن إلى العراق والشام ، ودانت لهم عربها فأصبحت نجد تضرب اليها أكباد
 الابل في طلب الدنيا والدين . وتفتخر بما مالها من العز والنصر والاقبال .
 وبالجملة فلا يقول مثل هذا في الشيخ رحمه الله الا رجل مكابر لا يتحاشى من
 البهت والافراء ، وإلى الله ترجع الامور ، وعنده تنكشف السرائر .

ولما كان هذا العراقي الملحد من جملة من نشأ على عقائد الملاحدة أعداء
 الله ورسوله ومن نحانحهم من المتكلمين الذين يزعمون أن العقل مقدم على
 النقل وأن نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية ، وأن معقولاتهم التي هي
 نخانة الافكار ، وزبالة الأذهان ، ويرجى المقاعد هي البراهين اليقينية ، واعتقد

أن من لم يكن على هذا المذهب الملاحون أنه قد خرج عن عالم الحضارة ، ولم يزل على البساطة والسذاجة في الفطرة ، وقد كان من المعلوم أن جفأة العرب أسلم فطرة وأصبح عقولا من هزلاء الملاحدة ، وإدراك لما دخلوا في دين الله وعرفوا هذا الدين كانوا على طريقة السلف في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته ، وفي باب العمل والعبادة ، وتقديم كتاب الله وسنة رسوله على قول كل أحد كائناً من كان ، وجمع الله لمن طلب العلم منهم من العلوم والمعارف ما لا يعرفه هزلاء من سائر العلوم والفنون مع أن كثيراً من علوم هزلاء الخارجين عن طريقة أهل الإسلام من العلوم التي لا ينتفع بها في معرفة ما جاءت به الرسل وأنزلات به الكتب ، إنما هي أوضاع اليونان والفلاسفة ، والمجوس والصابئين ، ولذلك كان الغالب على من دخل في هذه العلوم الحيرة والشك نعوذ بالله من الخروح عن الصراط المستقيم .

وأما قوله فحمله هذا الأمر أن كفر جميع طوائف المسلمين وجعلهم مشركين بل أسوأ حالا ، وأشد كفراً وضلالاً - يعني - أن الشيخ ادعى أنه مجدد لدين الله مجتهد في أحكامه فحمله على أن كفر جميع طوائف المسلمين .

فأقول : أما كونه مجددًا لدين الله فهو من المعلوم بالضرورة ولا ينكره إلا مكابر في الحسيات ، مباحث في الضروريات ، وأما كونه كفر جميع طوائف المسلمين فجعلهم مشركين ، فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب ووقاحة تامة وفي الحديث : ه ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت . وصرح هذه العبارة أن الشيخ كفر جميع هذه الأمة من المبعث النبوي إلى قيام الساعة ، وهل يتصور هذا عاقل قد عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا إليه ، بل كان من المعلوم أن هذا العراقي كان لا يعرف ما جاء به الرسول ﷺ من دين الإسلام ، ولو كان يعرف دين الإسلام لما تجاوز به هذه المجازفة ، ومخرق بهذه المخارقة المارجة ، والشيخ رحمه الله لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة ، بل ولا عن أهل السنة والجماعة منهم ، وجميع أقواله في هذا الباب أعني ما دعا إليه توحيد الاسماء والصفات ، وتوحيد العمل والعبادات مجمع عليه

عند المسلمين لا يخالف فيه الا من خرج عن سبيلهم ، وعمل عن منهاجهم
 كالجهمية والمعتزلة ، وغلاة شيعة القبور ، بل قوله مما أحرمت عليه الرسل ،
 وانفقت عليه الكذب كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ما جاوزوا به ونصوره ،
 ولا يكفر الا على هذا الاصل بعد قيام الحجة والمعتبرة فهو في ذلك على
 صراط مستقيم متبع لا مبتدع ، وهذا كتاب الله وسنة رسوله ، وكلام أصحاب
 رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى معروف مشهور مقرر في
 محله في حكم من عدل بالله وأترك به ، وتقسيمهم الشرك الى أكبر وأصغر ،
 والحكم على المشرك الشرك الأكبر ، بالكفر مشهور عند الامة ، لا يكابر
 فيه الا جاهل لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل وقد
 أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم وحكى الاجماع عليها رأيا
 من ضروريات الاسلام كما ذكره تقي الدين بن تيسية وابن قيم الجوزية
 وابن عقيل وصاحب الفتاوى البرازية وصنع الله الخافي والمقرئ الشافعي
 ومحمد بن حسن التميمي الزبيدي ومحمد بن اسماعيل الصنعاني ومحمد بن علي
 الشوكاني وغيرهم من أهل العلم . والشيع رحمة الله لم يكفر طوائف المسلمين
 وانما كفر طوائف المشركين والخارجين المارقين من دين الاسلام . فان
 الأحداث لا تزال موجودة في الامة تقل وتكثر من عهد الصحابة الى أن
 تقوم الساعة . فقد كفر الصحابة رضي الله عنهم من كفروا من أهل الردة على
 اختلافهم ، وكفر على الغلاة . وكفر من بعدهم من العلماء القدرية ونحوهم
 كتكفيرهم للجهمية ، وقتلهم لجمدة بن درهم وجهم بن صفوان ، ومن على رأيهم
 وقتلهم للزنادقة ، وهكذا في كل قرن وعصر من أهل العلم والفقه والحديث
 طائفة قائمة تكفر من كفره الله وسوله وقام الدليل على كفره لا يتحاشون
 عن ذلك ، بل يروونه من واجبات الدين وقواعد الاسلام وفي الحديث
 « من بدل دينه فاقتلوه » ، وبعض العلماء يرى أن هذا والجهاد عليه ركن
 لا يتم الاسلام بدونه ، وقد سلك سبيلهم الائمة الأربعة المقلدون وأتباعهم
 في كل عصر ومصر . وكفروا طوائف أهل الأحداث كالقراطة والباطنية ،

وكفروا العبيدين ملوك مصر وقتلوهم وهم يبنون المساجد ، ويصلون ، ويؤذنون ويدعون نصر أهل البيت . وصنف ابن الجوزي كتاباً سماه « النصر على مصر » ذكر فيه وجوب قتالهم وردتهم ، وأن دارهم دار حرب ، وقد عقد الفقهاء في كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهم باباً مستقلاً في حكم أهل الاحداث التي توجب الردة وسماه أكثرهم باب الردة وعرفوا المرتد بأنه الذي يكفر بعد اسلامه . وذكروا أشياء دون مانحن فيه من المكفرات حكموا فيه بكفر فاعلمها ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم فما المانع تكفير من أشرك بالله وعدل به سواء ، واتخذ معه الآلهة والانداد ، وإنما يهمل هذا من لم يؤمن بالله ورسوله ، ولم يعظم أمره ، ومن لم يسلك صراطه ، ولم يقدر الله ورسوله حق قدره . بل ولا قدر علماء الأمة وأئمتها حق قدرهم .

وأما قوله فعمد إلى الآيات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم صلى الله عليه وسلم ويستشفعون به إلى ربهم نابذاً وراء ظهره كل ما خالف أمانيه الباطلة ، وسولت له نفسه الامارة بالسوء من أحاديث سيد المرسلين ، وأقوال أئمة الدين والمجاهدين .

فالجواب أن يقال هذا كذب على الشيخ فانه ما عمد الى الآيات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين ، وإنما استدل بالآيات القرآنية النازلة في المشركين وجعلها عامة شاملة لمن أشرك بالله وعدل به سواء وبذل دينه ، وفعل كما فعل المشركون من صرف خالص حق الله لمن أشركوا به واتخذوه شفعاء من دونه ، وسيأتى الكلام على هذا في محله إن شاء الله تعالى وقوله نابذاً وراء ظهره الى آخره .

أقول إنما نبذ وراء ظهره كل ما خالف كتاب الله وسنة رسوله وخالف أقوال أئمة الدين المجتهدين وهو - والله الحمد - متبع لا مبتدع ، وإنما أمانيه القيام بأوامر الله وشرعه ، ودينه ، ودعوة الناس الى ذلك ، والجهاد على ذلك ، ولم تسول له نفسه ما يخالف الكتاب والسنة ، وإنما قام أسند القيام في اتباع الكتاب والسنة ورد ما خالفهما ، وترك ما ألفه أعداء الله ورسوله الزنادقة من

الأحادية المكنوبة امرسوعة . وإدعاء يجد في كتاب السنة رسوله سيئاً
اعتمد على أقوال أنه الذين و"جده ، المحرمين ، وذات معروف في رسائله
ومصنفاته ولا ينكره إلا مكابر .

وأما قوله حتى أنه لما رأى الاجماع مصدداً لما يسمعه ذكره من السنة .
فأقول ما أسكر "الشيخ إلا اجماع أهل الكفر بالله والاعتصام به على عبادة
غير الله وجعلهم معه آمة وأدأ استغيثون بهم ويلجئون إليهم في الرعبات
والرهبات و"صلبات ويطلبون منهم غريج "كربات وأعاة أنهذت ويعصفون
لهم خافس حق الله من اللدعاء والحب و"تعصيم والخوف والرجاء والتوكل والاباء
والاستغاثة والذبح والنذر والالتجاء وسائر أنواع "عبادة التي صرفها المشركون
لغير الله . وخرق هذا الاجماع واجب على كل مسلم ولبس هذا هو الاجماع
الذي يشير إليه العلماء الذي من خالفه فقد ضل وإنما هذا هو اجماع من ضل عن
الصراط المستقيم وهم الأكثرون كما قال الله تعالى : (وما أكرئأس ولو
حرصت بمؤمنين) . وقال تعالى : (وإن بطع أكر من في الأرض يضلوك
عن سبيل الله) . وقال تعالى : (وما وجدما لأكرهم من عهد وإن وجدما
أكرهم لفاسقين) ، وقال تعالى : (ولقد صدق عليهم ابليس ظله فاتبعوه
إلا فريقاً من المؤمنين)

وأما قوله : ولا أرى للناس بعد كتاب الله الذي جمع فأوعى كل
رطب ويابس ومغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى : (ومن يتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) .

فأقول هذا الكلام هذا اللفظ لا يثبت عن الشيخ ولم يره في شيء من كتبه
ولا في كلامه ولا في رسائله بل الذي في كتبه ومصنفاته الأمر بالاعتصام بالكتاب
والسنة . قال رحمه الله تعالى في مصنفه (أصول الايمان) باب الوصية بكتاب
الله عز وجل . وأقول الله تعالى : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا
من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه : أن
رسول الله ﷺ خطب فحمد الله وأثنى ثم قال : دأما بعد أيها الناس إنما أنا بشر

يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب واني تارك فكم ثواب أهلها كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به ، فحت على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : « وأهل بيتي ، وفي لفظ » كتاب الله هو جبل الله من أنبئه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة » رواه مسلم وله في حديث جابر الصويل أنه عليه السلام قال في خطبته يوم عرفة : « وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله رأيتم نساء من عني ما أتم فائلون ؟ » قالوا نشهد أنك قد بلغت وأدب وصحت . قال فأعقبه السبابة يرفعه إلى السماء وينسكبها إلى الأرض ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات . وعن عليه السلام رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أما ستكرن مرة فقام ما المخرج بها رسول الله » قال : « كتاب الله فيه ما ما قبلكم وحر ما بعدكم ورحمكم ما يسكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن أتى الهدى من غيره أصله الله هو جبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزعج به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجايبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » رواه الترمذي وقال غريب . وعن أبي الدرداء مرفوعا قال : « ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن ينسى شيئا » وما كان ربك نسيا ، رواه البزار وابن أبي حاتم والطبراني إلى آخر الباب . ثم قال باب تحريضه صلى الله عليه وسلم على لزوم السنة والترغيب في ذلك وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك ، عن العرابض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة فقال رجل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » صححه الترمذي ، ولمسلم عن جابر رضي الله

وكانت المسألة مما يحصل به شعار ظاهر كإمام الصلاة فنأمر الحنفى والمالكي مثلاً بالمحافظة على نحو الطمأنينة فى الاعتدال والجلوس بين السجدين لوضوح دليل ذلك بخلاف جهر الإمام الشافعى بالبسملة وشتان بين المسألتين فإذا قوى الدليل أمرناهم للنصر وأن خالف المذهب وذلك إما يكون نادراً جداً ولا مانع من الاجتهاد فى بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم فى المسائل المخالفة للمذهب ملتزمين تقليد صاحبه ، انتهى .

وأما قوله على أنه لم يأخذ من كتاب الله إلا ما نزل فى المشركين من الآيات فأولها ظلماً منه وتجاسراً على الله تأويلاً يسهل له الحصول على أمنيته وذلك بأن حملها على المسلمين فكفرهم منذ ستائة عام وهدر دماءهم ، وأباح أموالهم ، وجعل بلادهم بلاد حرب .

(والجواب أن يقول) قد تقدم الجواب عن هذا فلا فائدة فى الجواب عنه وما يعلم أن له أمنية فى دعوته الخلق إلى الله بتمنى حصولها إلا أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأن يخلعوا الانداد التى اتخذها المشركون أولياء من دونه (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم وانبعوا أهواءهم بغير علم ومن أضل ممن انبع هواه بغير هدى من الله ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين) والله الهادى إلى صراط مستقيم .

(وأما قوله) وقد قال النبي ﷺ فى حديث جبريل كما فى الصحيحين : «الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله» الحديث . وفى الصحيحين من حديث عمر : «بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله . وأن محمداً عبده ورسوله ، الحديث . وقوله ﷺ لو فد عبد القيس ، أمركم بالإيمان بالله وحده ؟ اتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله» الحديث كما فى الصحيحين وقوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، الحديث . وقوله ﷺ «كفوا عن أهل لا إله إلا الله ، انتهى .

مراده بإيراد هذه الأحاديث أن من أتى ما اقتضى من ما اقتضى من الإله كدعاء الغالبين والاموات والنذر لهم بإدراج أنه لا كافر (كمنهك طبعه) على قلوب الذين لا يعلمون (وسيرتي لكلام عاين في محلها فيما بعد ان شاء الله تعالى .

فصل

قال "عراقى الملحد ومن عجيب أمره أنه يموه على الناس بدعوى توحيد الله وتنزيهه قائلاً إن التوسل بغير الله شرك مع أنه نفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه وينبت له اليد وأوجه والجهة ويقول بصحة الإشارة إليه في السماء ويدعى أن نزوله إلى السماء الدنيا حقيقة فيجسمه (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) . فإين تنزيه الله تعالى بعد جعله جسماً يشرك معه حتى احسن احتمادات وفي ذلك من التنقص والازراء بألوهيته سبحانه ما هو منزله عنه . فالجواب أن يقال لهذا الجهى المشرك بالله في عبادته النافى لصفاته ويعوب حلاله قد بينا فيما تقدم أن الشيخ لا يكفر بمجرد التوسل الذى يعرفه أهل العلم من لفظ التوسل . وأما التوسل باصطلاح هؤلاء الغلاة فسأتى الكلام عليه في محله ان شاء الله تعالى .

وأما فواه مع أنه نفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه (فالجواب أن يقول) قد جاء الخبر بذلك عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى ضرب الله الحق على لسانه كما رواه الامام عبدالله بن الامام أحمد بن حنبل في كتاب السنة له الرد على الجهمية قال : حدثني أبي وعبد الأعلى ابن حماد النمرسى قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر قال : « اذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرجل الجديد » ، وهذا الحديث حدث به أبو اسحاق السبيعي مقررأ له كغيره من أحاديث الصفات وحدث به كذلك سفيان الثوري وحدث به أبو أحمد الزيرى وكشد بن أبي بكر ووکیع عن اسرائيل

ورواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل أيضاً عن أبيه حدثنا وكيع
 بحديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خافضة عن عمر رضى الله عنه :
 إذا حذر الرب على الكريمي فافسح رجل سماه أنى عند وكيع فغضب وكيع
 وقال أنكره الأعمس وسفيان يحدثون بهذا الحديث ولا ينكروه ، قلت وهذا
 الحديث صحيح عند جماعة من الحديثين أخرجه الحافظ سياء الدين المقدسي ،
 وإذا كان هؤلاء الأئمة أبو إسحاق السبيعي والثوري والأعمس وإسرائيل
 وعبد الرحمن مهيدي وأبو أحمد الزيري ووكيع وأحمد بن حنبل وغيرهم ممن
 يصرحون بذكرهم وعددهم الذين هم سرح الهدى ومصابيح الدجى قد تلقوا هذا
 الحديث باقبريل وحدثوا به ولم ينكروه ولم يطعنوا في إسناده فمن نحن حتى
 ننكره ، قالوا عليهم بل ومن به . قال الإمام أحمد : لا نزيل عن ربا صفة
 من صفاته بساعة تنعت وإن ثبت عنه الإسماع فاطر إلى وكيع بن الجراح
 الذي خلب سفيان الثوري في علمه وفضله وكان يشبه به في سمته وهدية كيف
 أسكر على ذاك الرجل وعصب لما رآه قد تلون لهذا الحديث وقال ابن القيم
 رحمه الله تعالى في الكافية الشافية :

وأذكر كلام محاهد في قوله	أقم الصلاة وتلك في سبحان
في ذكر تفسير المقام لأحمد	ما قيل ذا بالرائى والحسين
إن كان تفسيرا فان مجاهدا	هو تسيحهم بل تسيحه الفرقاني
وله آية ذكر الجاوس وهو في	أثر رواد جمع الربابي
أمنى ابن عم بينا وبغيره	أرضاً أتى والحق ذر تبيان
والأرضى الأسام يشبه الـ	آثار في ذا الباب غير جبان
وله فصيحة سمعت هذا وفي	ها لست للبردى ذا مكران
وجرت لذلك فتنه في وقته	من فرقه التحليل والعدوان
والله ناصر دينه وكتابه	ذا حكمه مذ كانت الفشان

وهذا نص الآيات التي أسرار إليها ابن القيم رحمه الله تعالى من كلام
 الدارقطني رحمه الله تعالى :

ولا ينفون ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلون أسماء وصفاته العليا
ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته، فاذا عرفت هذا فإنا
ثبت لله اليد كما أثبتنا لنفسه، كما قال تعالى: (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلظت
أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقال تعالى:
(يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال تعالى (يد الله فارق أيديهم)
وقال تعالى (والسماوات مطويات بيمينه) إلى غير ذلك من الآيات وثبت أن
الله وجهها كما قال تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وقوله (ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والإكرام) وقوله (فأينما تولوا فثم وجه الله) إلى غير ذلك من الآيات
وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه: أنت موسى الذي أصفاك الله بكلامه وخط
لك الألواح بيده، وفي لفظ «وكتب لك التوراة بيده»، وقال ﷺ كما في صحيح
مسلم: وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده، وقوله ﷺ «تكون الأرض
يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفي أحدم خبزته في سفره
نزلا لأهل الجنة»، ومثل أحاديث أخر «بيده الأمر» والخير في يدك - والذي
نفس محمد بيده - وإن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار
ليتوب مسيء الليل، وقوله «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين
الرحمن» وكلتا يديه يمين، وقوله «يطوى الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن
بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الأرضين
بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون»، وقوله «يمين الله ملأى
لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض
فإنه لم يغيض ما في يمينه، وعرشه على الماء ويده الأخرى القسط يخفض ويرفع،
وكل هذه الأحاديث في الصحاح

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ
بخمس كلمات فقال «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط
ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور
لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه،

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
جنتان من ذهب آتتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم
إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن . رواه البخاري ، والاحاديث في
هذا المعنى كثيرة .

وقال الامام عثمان بن سعيد الداري في الرد على الجهمية : لما فرغ المريسي
من انكار اليمين ونفيهما عن الله عز وجل أقبل قبل وجهه الله ذي الجلال
والاكرام ينفيه عنه الى أن قال : واستمر الجحود به حتى ادعى أن وجه الله
الذي وصفه بأنه ذو الجلال والاكرام مخلوق لأنه ادعى انه أعمال مخلوقة
يتوجه بها اليه وثواب وانعام مخلوق يثيب به العامل وزعم أنه قبلة الله وقبلة الله
لاشك مخلوقة ثم ساق الكلام في الرد عليه وأن القول بأن لفظ الوجه مجاز
باطل . انتهى .

(وأما الجهة) فقال شيخ الاسلام في المنهاج : فان مسمى لفظ الجهة يراد
به أمر وجودي كالفلك الأعلى ويراد به أمر عدمي كما وراء العالم . فان أريد
الثاني أن يقال كل جسم في جهة ، واذا أريد الأول امتنع أن يكون كل جسم
في جسم آخر ، فمن قال الباري في جهة وأراد بالجهة أمراً موجوداً فكل ما سواه
مخلوق له في جهة بهذا التفسير فهو مخطيء . وان أراد بالجهة أمراً عدمياً وهو
ما فوق العالم وقال ان الله فوق العالم فقد أصاب ، وليس فوق العالم موجود
غيره فلا يكون سبحانه في شيء من الموجودات ، وأما إذا فسرت الجهة بالامر
العدمي فالعدم لا شيء وهذا ونحوه من الاستفسار وبيان ما يراد به اللفظ من
معنى صحيح وباطل يزيل عامة الشبه ، فاذا قال نافي الرؤية لورؤى لكان في جهة
وهذا ممتنع ، فالرؤية ممتنعة ، قيل له : ان أردت بالجهة أمراً وجودياً فالمقدمة
الأولى ممنوعة ، وان أردت بالجهة أمراً عدمياً فالثانية ممنوعة ، فيلزم بطلان
أحد المقدمتين على كل تقدير ، فتكون الحجة باطلة ، وذلك أنه ان أراد بالجهة
أمراً وجودياً لم يلزم أن كل مرتى في جهة وجودية ، فان سطح العالم الذي هو
أعلاه ليس في جهة وجودية ومع هذا تجوز رؤيته فانه جسم من الاجسام

فبطل قولهم كل مرتى لا بد أن يكون في جهة أن أراء بالجهة أمراً وجودياً
 وإن أراء بالجهة أمراً عدمياً منع المقدمة الثانية ، فانه اذا قال البارى لبس في
 جهة عدمية وقد علم أن المدعى ليس بشيء كان حقيقة قوله أن البارى لا يكون
 موجوداً قائماً بنفسه حيث لا موجود إلا هو وهذا باطل ، وإن قال أحد
 يستلزم أن يكون جسماً أو متحيزاً عاد الكلام معه في مسمى الجسم المتحيز ،
 فإن قال هذا يستلزم أن يكون مركباً من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة
 وغير ذلك من المعاني الممتعة على الرب لم يسلم له هذا التلازم ، وإن قال يستلزم
 أن يكون الرب يشار اليه برفع الأيدي في الدعاء ، وتخرج الملائكة والروح
 اليه ، ويعرج محمد ﷺ اليه ، وتنزل الملائكة من عنده ، وينزل منه القرآن
 ونحو ذلك من اللوازم التي نطق بها الكتاب والسنة وما كان في معناها ، قيل
 له لا نسلم انتفاء هذه اللوازم ، فإن قال : ما استلزم هذه اللوازم فهو جسم ،
 قيل ان أردت أنه يسمى جسماً في اللنة والشرع فهذا باطل ، وإن أردت أن
 يكون جسماً مركباً من المادة والصورة أو من الجواهر المركبة ، فهذا أيضاً ممنوع
 في العقل قائماً هو جسم باتفاق العقلاء كالأجسام لانسلم أنه مركب بهذا الاعتبار
 كما قد بسط في موضعه وتسام ذلك بمعرفة البحث العقلي في تركيب الجسم
 الاصطلاحي من هذا وهذا ، وقد بسط في غير هذا الموضع وتبين به أن قول
 هؤلاء وهؤلاء باطل مخالف للأدلة العقلية القطعية . انتهى ، وقال في كتابه
 (موافقة العقل الصحيح للنقل الصحيح) وكذلك اذا قالوا ان الله منزّه عن
 الحدود والأحياء والجهات أو هموا الناس بأن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره
 المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات وهذا المعنى صحيح ومقصودهم أنه ليس ميبأنا
 للخلق ، ولا منفصلاً عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله
 وأن محمداً لم يعرج به اليه ولم ينزل شيئاً ولا يصعد اليه شيء ولا يتقرب اليه
 بشيء ولا الأيدي اليه في الدعاء ولا غيره وغير ذلك من معاني الجهة ، واذا
 قالوا أنه ليس بجسم أو هموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات ولا مثل أبدان
 الخلق وهذا المعنى صحيح ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يرى ولا يتكلم بنفسه

ولا تقوم به صفة ولا هو مبائن للخلق وأشال ذلك . انتهى

فإننا تبين لك هذا وتحققته فهذه الألفاظ لم يرد بها نص عن رسول الله ﷺ ولا من أصحابه ولا عن السلف الصالح ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الحديث فإذا اتضح لك هذا فلفظ الجهة لا شبهة مطلقاً ولا تنفيه مطلقاً ، لأنه محتمل لمعنيين باطل وصحيح ، فمن أطلقه نفياً أو اثباتاً سئل عما أراد به ، فإن قال أردت بالجهة أنه منزّه عن جهة وجودية تحيط به وتحويه إحاطة الظرف بالظروف ، قيل له نعم هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى ، ولكن لا يلزم من كونه على مرشده هذا المعنى ، وأن أراد بالجهة أمراً يوجب مباينة الخالق للخلق وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه ، فنفيه هذا المعنى باطل ، وتسميته جهة أصلاً لا يحى منه توصل به إلى نفي ما دل عليه العقل والنقل فسمى ما فوق العالم جهة وقال منزّه عن الجهة اه وهذا يندفع عنا ما ألزمتنا به من لم يعرف حقيقة ما عندنا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما قوله : ويقول بصحة الإشارة إليه في السماء .

(فالجواب أن نقول) نعم نقول به ونعتقد وندين الله به ونشهد الله وملائكته وجميع خلقه على انتقاد ذلك ، عليه نحي وعليه نموت وعليه نبعث إن شاء الله تعالى لأنه ليس في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لانصاً ولا ظاهراً ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه بذاته في كل مكان ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا منفصل عنه ولا متصل ، ولا أنه لا تجوز الإشارة إليه بالأصابع ونحوها ، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول : « ألا هل بلغت ؟ » فيقولون : نعم ، فيرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول : اللهم أشهد ، غير مرة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في اعلام الموقعين في بيان رد الجهمية للنصوص
الحكمة : الثالث عشر الاشارة اليه حسا الى العلوكا أشار اليه من هو أعلم به وما
يجب له ويمتنع عليه من افراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة في أعظم مجمع على
وجه الأرض برفعه أصبحه الى السماء ويقول « اللهم اشهد » ليشهد الجمع ان الرب
الذي أرسله ودعا اليه واستشهده هو الذي فوق سمواته على عرشه . انتهى

فتبين من هذا ان هذا المذهب الملعون — أعني انكار الاشارة اليه بالاصبع
الى السماء — مذهب افراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وقد استدل الملحد
بكلام شيخ الإسلام وابن القيم على عدم تكفير أهل الاهواء ورآى أنهما من
العلماء المجتهدين الذين يعمل بأقوالهم ، فاذا لم يكن ما قالاه هنا حقا انتقض عليه
الاستدلال بكلامهما هنالك .

وقوله : ويدعى ان نزوله الى السماء الدنيا حقيقة فيجسمه تعالى الله عما يقول
الظالمون علواً كبيراً . فآين تنزيه الله تعالى بعد جملة جسمها يشترك فيه معه
أخس الخادات وفي ذلك من النقص والازراء بألوهيته سبحانه ما هو منزّه عنه .
فالجواب أن نقول : نعم قد ثبت ذلك بالكتاب والسنة وأجمع على ذلك
أهل السنة والجماعة ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أحاديث النزول في
الصواعق المرسلّة وذكر من كلام الأئمة ومن الأجوبة العقلية والنقلية ما يكفي ،
وذكر في حادى الأرواح الاحاديث الواردة في ذلك ، فمن أراد الوقوف عليها
فليراجعها و يذكر هنا شيئاً يسيراً من كلام الأئمة ليتبين لهذا الجاهل أنه قد اتبع
سبيل افراخ الجهمية والفلاسفة والمعتزلة وأنه قد حاد عن سبيل المؤمنين .

قال شيخ الإسلام قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الدمينى الامام المشهور
من أئمة المالكية في كتابه الذى صنفه في أصول السنة في باب الايمان بالنزول
قال : ومن قول أهل السنة ان الله ينزل إلى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير
أن يحدوا فيه حداً ، وذكر الحديث من طريق مالك وغيره الى أن قال : وأخبرني
وهب عن ابن وضاح عن الزهرى ابن عباد قال : ومن أدركت من المشايخ مالك
وسفيان وفضيل بن عياض وعيسى بن المبارك ووکیع كانوا يقولون أن النزول

من ، انما : وصح : ومما ثبت ، وسند : عن عن الرسول : ان رسول الله صلى الله عليه وآله
ولا احرفه حراً . وسند : عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من آمن به وصدق به وحده
اه وقال أبو عثمان الصابوني فما صح حذر النزول عن رسول الله صلى الله عليه وآله
به أهل السنة وقبولوا الخبر وأثبتوا النزول عن ما فله رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعتقدوا
تشبيها له بنزول خلقه وعلووا وعرفوا وتمسكوا واعتقدوا أن صفات الرب
تبارك وتعالى لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله
عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً ، ولعنهم الله لعنا كذيراً ، وقال الامام
العارف معمر بن أحمد الاصبهاني سُبْح الصوفية في حدود المائة الرابعة قال :
أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة ، وموعظة من الحكمة ، وأجمع
ما كان عليه أهل الحديث والاثار بلا كذب ، وأهل المعرفة والتصوف من
المقدمين والمتأخرين قال فيها : وان الله اسنوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه
ولا تأويل ، والاستواء معقولي والكيف فيه محمول ، وأله عز وجل بائن عن
خلقه والخلق منه بائنون بلا حلول ولا تمازجة ، ولا اختلاط ولا ملاصقة ،
لأنه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق ان الله عز وجل سميع بصير
عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة
ضاحكاً ونزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فأستجيب له ؟
هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأنوب عليه حتى يطلع الفجر ، ونزول
الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، فمن أسكر النزول أو تأول
فهو مبتدع ضال وسائر الصوفية على هذا . اهـ

وقال الشيخ الامام أبو بكر أحمد بن هارون الخلال في كتاب السنة حدثنا أبو بكر الأثرم حدثنا ابراهيم بن الحارث يعني العبادي حدثنا الليث بن يحيى قال سمعت ابراهيم ابن الأشعث قال أبو بكر — هو صاحب الفضيل — قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ فقال (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول

والضحك ، وهذه المباهات ، وهذا الاطلاع كما يشاء أن ينزل ، وكما يشاء أن يباهى ، وكما يشاء أن يضحك ، وكما يشاء أن يطلع . فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف ، فاذا قال الجهمي أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل ، بل أو من برب يفعل ما يشاء ونقل هذا عن الفضيل جماعة منهم البخاري في كتاب خلق أفعال العباد . انتهى .

وقال الامام أبو عبد محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه اعتقاد التوحيد في اثبات الاسماء والصفات قال : وما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيبسط يده فيقول هل من سائل ، الحديث . وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه الابانة في أصول الديانة ، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه . فقال فصل في ابانة قول أهل الحق والستة ، فان قال فائر قد أسكر ، ثم قول المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والحرورية ، والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها اتمسك بكلام ربنا . وسنة نبينا ، وما روى عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتمدون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مشوبته قائلون وما خالف قوله ، مخالفون لأنه الامام العاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ، ورفع به الضلالة ، وأوضح به المهاج ، وقع به بدعة المبتدعين ، وزين الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحة الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم ، الى أن قال : وانه مستو على عرشه كما قال : (الرحمن على العرش استوى) ، وان له وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ، وأن له يدين بلا كيف كما قال خلقت يدي ، وقال بل يدها مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء ، الى أن قال ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول الى سماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : هل من سائل ، هل من مستغفر ، وسائر

ما يملوه وأثبتوه بخلاف لما قال : أهل الزيع والتضليل . انتهى .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المعروف بنقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي النريد فيما أفرى على الله في التوحيد . قال : وادعى المعارض أيضاً أن قول النبي ﷺ : « أن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول هل من مستغفر ، هل من تائب ، هل من داع ، قال فادعى أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته وهو على العرش . وبكل مكان من غير زوال لأنه الحى القيوم . والقيوم بزعمه من لا يزل ، قال : فقال لهذا المعارض ، وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ، وهن لس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبي ﷺ يحد لنزوله الذي لا دين الهار ، ويوقت من الميل شطره أو الأسفار ، فأمره ورحمته يدعوان إلى الابدان إلى الاستغفار ، أو بقدر الأمر والرحمة أن يتسكبا دونه فيقولوا : هل من داع فأجبه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فعطيه ، فان قررت ، فذهبك لزمك أن تدعى أن الرحمة والأمر هما المذان يدعوان إلى الإحابة والاستغفار كلامه دون الله وهذا محال عند السلفاء ، فكيف عند النقيض ، قد علم ذلك ولكن تكابرون ، وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل ، ثم يمكنان إلى طلوع الفجر ، ثم يرفعان لأن رفاعة راوه يقول في حديثه حتى ينفجر الفجر ، قد علمتم ان شاء الله أن هذا التأويل باطل ولا يقبله إلا جاهل ، وأما دعواك أن تفسير القيوم الذي لا يزل عن مكانه ولا يتحرك ، فلا يقبل منك هذا التفسير إلا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه ، أو التابعين لأن الحى القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك إذا شاء ، ويهبط ويرتفع إذا شاء ، ويقبض ، ويبسط ، ويقوم ، ويجلس إذا شاء ، لأن اشارة ما بين الحى والميت والمتحرك كل حى متحرك لا محالة ، وكل ميت غير متحرك لا محالة ، ومن يلتفت إلى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة ، إذ فسر نزوله مشروعا منصوصا ، ووقت لنزوله وقتاً

مخصوصاً لم يدع لك ولا لأصحابك فيه لعباً ولا عويصاً انتهى . ولو ذهبنا ننقل
أقوال العلما . أهل السنة والجماعة المتفق على امامتهم ودرأيتهم لطال الكلام ،
وبما ذكرناه يتدفع الخصام ، وينجلي تلبيس هؤلاء الجبهة الطغام ، فنفتصر على
ما ذكر من كلام أئمة الاسلام .

وأما قوله فيجسمه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً
فيقال في جوابه انك أيها الضال المضل لاتفهم من كون الله على العرش
إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان ، وهذا الكلام اللازم بعينه تابع
لهذا المفهوم ، وأما استواء يليق بجلال الله ، ونزول ، وهبوط ، وارتفاع يليق
بجلال الله ويختص به ، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم
سائر الاجسام ، وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع ، فاما أن يكون
جوهرأ أو عرضاً ، وكلاهما محال إذ لا يعقل موجود إلا هذان .

وقوله اذا كان مستورياً على العرش فهو بمائل لاستواء الانسان على السرير ،
والفلك إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا ، فان كليهما مثل ، وكلاهما عطل حقيقة
ما وصف الله به نفسه ، وامتاز الأول بتعطيل كل اسم لا استواء الحقيقة .
وامتاز الثاني باثبات استواء هو من خصائص المخلوقين ، والقول الفاصل هو
ماعليه الأئمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به ،
ونزول وارتفاع يليق به ويختص به ، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم
وعلى كل شيء قدير ، وأنه سميع بصير ونحو ذلك — ولا يجوز أن يثبت للعلم
والقدرة خصائص الاعراض التي كعلم المخلوقين وقدرتهم — فكذلك هو سبحانه
فوق العرش وينزل منه كل آخر ليلة إلى سماء الدنيا ولا يثبت لفوقيته ، ونزوله
وصعوده خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ، ونزوله وصعوده وملزوماتها .

وأما زعمه أنا نجسمه اذا اثبتنا ما اثبتته الله لنفسه فهذا ليس بيدع من ألقاب
أهل الضلال ثم اعلم أنه ليس أحد منا يقول ان الله جسم فان هذا اللفظ عندنا
مبتدع محدث في الاسلام لم يقل به أحد من السلف الصالح والصدر الأول وأول
ما ظهر اطلاق لفظ الجسم من متكلمة الشيعة كهشام بن الحكم كذا نقل ابن حزم

وغیره ، قال أبو الحسن الأشعري في كتاب «معالقات الأئمة» لا ينفرد خذاف المصدين
اختلاف الروافض أصحاب الأئمة في التجسيم ونعم ست فرق (فالفرقة الأولى)
الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضي يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية
وحد طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يوفي بعضه
عن بعض وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأفراد في مكان دون مكان
كالسيكة الصافية يتألق كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ذو لون وطعم
ورائحة ومجسة وذكر كلاما طويلا . (والفرقة الثانية) من الرافضة يزعمون أن
ربهم ليس بصورة ولا كالأجسام وإنما يذهبون في قولهم أنه جسم الى أنه
موجود ولا يشبنون الباري ذا اجزاء متلفة وأبعض متلاصقة يزعمون أن
الله على العرش مستو بلا عماسة ولا كيف (والفرقة الثالثة) من الروافض
يزعمون أن ربهم على صورة الانسان ويمنعون أن يكون جسما (والفرقة الرابعة)
من الرافضة الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجرجاني يزعمون أن ربهم على صورة
الإنسان وينكرون أن يكون لحما ودما ويقولون إنه نور ساطع يتألقا بياضاً
وإنه ذو حواس كحواس الانسان له يد ورجل وأنف واذن وفم وعين واه
يسمع بغير ما به يبصر وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم قال وحكى أبو عيسى
الورافق أن هشام بن سالم كان يزعم أن لربه وفرة متغايرة سوداء وأن ذلك نور
اسود (والفرقة الخامسة) يزعمون أن لرب العالمين ضياء خالصاً ونوراً بحتاً وهو
كالصباح الذي من حيث ما جثته يلقاك بنور وليس بندى صورة ولا أعضاء
ولا اختلاف في الاجزاء وانكروا أن يكون على صورة الانسان أو على صورة
شيء من الحيوان قال (والفرقة السادسة) من الرافضة يزعمون أن ربهم ليس
بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس وقاؤوا في
التوحيد بقول المعتزلة والخوارج قال أبو الحسن الأشعري وهؤلاء قوم من
متأخريهم فأما أوائلهم فأنهم كانوا يقولون بما حكينا عنهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن
قدماء الشيعة من القول بالتجسيم قد اتفق على نقله عنهم أرباب المقالات حتى

نفس الشيعة كابن النوبختي ذكر ذلك عن هؤلاء الشيعة ثم ذكر من قال بالتجسيم من المتكلمين وغيرهم ممن يزعم أنه من أهل السنة الى أن قال وأئمة النفاة يعنى نفاة التجسيم هم الجهمية من المعتزلة ونحوهم يجعلون من أثبت الصفات مجسماً بناء عندهم على أن الصفات عندهم لا تقوم إلا بجسم ويقولون إن الجسم مركب من الجواهر المنفردة ومن المادة والصور فقال لهم أهل الاثبات قولكم منقوض بآثبات الأسماء الحسنى فان الله تعالى حي عليم قدير وإن أمكن اثبات حي عليم قدير وليس بجسم أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم وإن لم يمكن ذلك فما كان جوابكم عن آثبات الأسماء كان جوابنا عن آثبات الصفات ، انتهى المقصود منه . فاذا تبين لك أن هذا المذهب اعنى القول بالتجسيم هو مذهب هؤلاء المبتدعة الضلال ومن وافقهم من أتباع الأئمة فذهب الوهاية هو مذهب أهل السنة المحضة كالامام أحمد وذويه فلا يطلقون لفظ التجسيم لانفياً ولا اثباتاً لوجهين أحدهما أنه ليس مأثوراً لافي كتاب ولا سنة ولا أثر عن أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا غيرهم من أئمة المسلمين فصار من البدع المذمومة (الثاني) أن معناه يدخل فيه حق وباطل ، انتهى من المنهاج لشيخ الاسلام رحمه الله وتام الكلام فيه فمن أراد الوقوف عليه فابرجعه .

فصل

قال العراقي ومن عظيم سفهه أنه لما رأى العقل مخالفاً لجميع ما يدعيه خلع الحياء فطل العقل ولم يحكمه في شيء وتصدى الى جعل الناس كالبهائم الى آخر ما هذى به .

(والجواب أن نقول) لما رأى الشيخ رحمه الله أن هؤلاء الذين هم أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثه المجوس والمشركون وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم فيما يعتقدونه أنهم في معرفة ذلك اعتمدوا على مجرد عقولهم ودفعوا بما اقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ولم يحكموا كتاب الله وسنة رسوله ولم يلتفتوا الى أقوال

الصحابة ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان ولم يسلكوا طريق الأئمة في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وفي باب العمل والعبادة وأنهم خالفوا صحيح العقل الموافق لصريح النقل مما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها عطل عقول هؤلاء ولم يحكمها في شيء فان البهائم التي لا تعقل شيئا اهتدى سييلا من عقول هؤلاء كما قال تعالى (إن عم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا) لأنها قد تهتدى إلى بعض منافها وقد كان من المعلوم بالضرورة أن أصح الناس عقولا وأكملهم آراء أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان ومن بعدهم من السلف الصالح والصدر الاول وأئمة الدين والحديث ومن على طريقهم فمن خالفهم فعقله فاسد ورأيه كاسد . ومن المعلوم أيضا أن الشيخ رحمه الله لم ينف معقول هؤلاء الأئمة بل حكم ما وافق المتقول من معتزلهم واعتزله في ردأباطيل هؤلاء الملاحدة واشباههم وكذلك ما أصاوه من الاصول وبنوا عليه من الفروع الموافق لقواعد الشريعة الملائمة يعمل به ويحكم به فمن نسب اليه غير ذلك فقد أنصأ وظلم نفسه واغترى عليه وقد خاب من اغترى .

فصل

قال العراقي قد أن لنا أن نذكر هنا ثلاثة سائمت به الشريعة المارقة والوهابية من الاباطيل ثم نتكلم عليها في المباحث الآتية بما يرد لها ريدحض حجتها فنقول قد اشتملت عقيدتهم الباطلة على أمور (الاول) اثبات الوجه واليد والجهة للبارى سبحانه وجعله جسما ينزل ويصعد (الثاني) تقديم النقل على العقل وعدم جواز الرجوع اليه في الامور الدينية (الثالث) نفي الاجماع وانكاره (الرابع) نفي القياس (الخامس) عدم جواز التقليد للجهتدين من أئمة الدين وتكفير من قلدهم (السادس) تكفيرهم لكل من خالفهم من المسلمين (السابع) النهى عن التوسل إلى الله تعالى بالرسول أو بغيره من الاولياء والصالحين (الثامن) تحريم زيارة قبور الانبياء والصالحين (التاسع) تكفير من حلف بغير الله وعده مشركا (العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مرأقد الانبياء والصالحين

(فالجواب أن نقول) نعم قد اشتملت عقيدة الوهابية على اثبات الوجه واليد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف كما هو معروف مشهور في عقائدهم وفيما صنفوه من الرد على الجهمية وغيرهم من أهل البدع وذكرنا من ذلك طرفا فيما تقدم .

وأما لفظ الجهة وجعله سبحانه وتعالى جسما فهذا من الكذب على الوهابية وقد تقدم الكلام على ذلك قريبا وفيه بحث وتفصيل .

وأما كونه تعالى ينزل ويصعد فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة أحاديث النزول وقد تقدم الكلام على ذلك وهو مما نعتقده وندين الله به على ما يليق بجلاله وعظمته ولو كره الكافرون .

(وأما قوله الثاني) تقديم النقل على العقل .

(فأقول) وهذا أيضا مما ندين الله به ونعتقده ومن لم يقدم النقل على العقل فما آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومع ذلك نقول : إن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصحيح فان اختلفا فالعقل إما فاسد أو النقل غير صحيح ولا صريح .

وأما عدم جواز الرجوع إليه في الأمور الدينية فما ذاك إلا لمخالفة النقل الصحيح الصحيح . وأما إذا وافق النقل فلا مانع من جوازه عندما بل نعتقد بذلك ونعتمده .

(وقوله الثالث) نفي الإجماع وانكاره .

(فأقول) هذا كذب فانا نعتقد أنه الأصل الثالث وأن الأئمة لا تجمع على ضلالة لكن تنكر اجماع عباد القبور وأفراخ المنفلسة وانباط الفرس والروم ومن نحنا نحوم ، وحذا حذوم . وأيضا تنكر دعوى الإجماع على أن الاجتهاد قد انقطع ، وأن التقليد واجب .

(وقوله الرابع) نفي القياس .

(فأقول) أما نفي القياس مطلقا فن الكذب فان فيه ما هو صحيح وفيه ما هو باطل .

(وقوله الخامس) عدم جواز التقليد للمجتهدين من أئمة الدين وتكفير من قلدهم .

(فأقول) وهذا أيضاً من الكذب على الوهاية فانهم كانوا على مذهب أحمد بن حنبل ولكن ربما يوجد ذلك في كتب بعض من نسبوه هؤلاء اليهم لا اعتقاده أنهم على الحق وأنهم مخالفون لعباد القبور ولأهل الأهواء من أهل البدع كما قد يوجد ذلك في كتب صديق الهندي وغيره .

(وقوله السادس) تكفيرهم كل من خالفهم من المسلمين .

(فأقول) وهذا أيضاً كذب على الوهاية فانهم لا كفرون المسلمين وإنما يكفرون من كفر الله ورسوله وأهل العلم من غلاة عباد القبور وغلاة الجهمية وغلاة القدرية والمجبرة وغلاة الروافض وغلاة المعتزلة وغيرهم ممن كفره السلف الصالح بعد قيام الحجة .

(وقوله السابع) النهي عن التوسل الى الله تعالى بالرسول وبغيره من الأولياء والصالحين .

(فأقول) نعم كانوا ينهون عن التوسل بالرسول وبغيره من الأولياء والصالحين بعد مماتهم وفي حال غيبتهم اذا كان التوسل على ما يعرف في لغة الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين . وأما في حال حياتهم بهذا العرف فلا ينهون عنه ولا ينكروه . وأما على عرف غلاة عباد القبور واصطلاحهم الحادث فهم ينهون عنه ويكفرون من دعا أهل القبور واستغاث بهم والنجا اليهم بعد قيام الحجة عليهم .

(وقوله الثامن) تحريم زيارة قبور الأنبياء والصالحين .

(فأقول) وهذا أيضاً من الكذب على الوهاية فانه يجوز عندهم زيارة القبور على الوجه الشرعي . وأما شد الرحال اليها فيمنعون من ذلك وينكروه لقوله ﷺ لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد ، الحديث .

(وقوله التاسع) تكفير من حلف بغير الله وعده مشركا .

(فأقول) هذا كذب على الوهاية فانهم لا يكفرون بمجرد الحلف بغير الله وفيه بحث .

(وقوله العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مراقب الأنبياء والصالحين .

(فأقول) ذم يكفرون من نذر الخير الله وذبح لغيره فان النذر والذبح
خصائص الإلهية فمن أشرك بالله أحداً من المخلوقين في خصائص الخالق فلام
من تكفيره بعد قيام الحجة عليه وسيأتي الكلام على كلامه عليها ان
الله تعالى .

فصل

قال العراقي : تجسيم الوهاية

إن الوهاية التي كفرت من زار قبر رسول الله ﷺ متوسلاً إلى الله تعالى
وعدت ذلك شركاً في الوهية وقالت بوجوب تنزيهه تعالى قد خبطت كل الحجة
في تنزيهه تعالى حيث أثبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه
واستقراراً وعلواً فوقه وأثبت له الوجه واليد وبعضته سبحانه فجعلته ماسكاً
بالسموات على اصبع ، والأرضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والملك
على اصبع ثم أثبت له الجهة فقالت هو فوق السموات ثابت على العرش يشار إليه
بالأصابع إلى فوق إشارة حسية وينزل إلى السماء الدنيا ويصعد قال بعضهم :

لئن كان تجسماً ثبوت استوائه على عرشه إني إذاً لمجسم
وان كان تشبيهاً ثبوت صفاته فعن ذلك التشبيه لا اتلعم
وان كان تنزيهاً جحد استوائه وأوصافه أو كونه يتكلم
فن ذلك التنزيه نزهت ربنا بتوفيقه والله أعلى وأعظم

(والجواب أن نقول) بل الذي خبط كل الخط ، وهام في مهامه الخوط
والهمط ، وكشف جلاب الحياء ، ومالك مسائل أهل النقي والردى ، هذا العراقي
الملحد حيث جعل اثبات صفات الله ذي الجلال والإكرام تجسماً وتشبيهاً ومن
وصفه بها فقد بعضه وصرح بعدم علوه على عرشه وارتفاعه عليه عناداً وجحوداً ،
وتمرداً وتكبراً وسموداً فتعالى الله عما يقول هذا الجاحد علواً كبيراً فاما كون
الوهاية أثبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه واستقراراً وعلواً
فوقه فنعم وبذلك أنزل الله كتبه وأرسل رسله واجمع على ذلك سلف الأمة

وأئنها . قال هاية يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ، ولا تمثيل فيثبتون لله ما أثبتته لنفسه من استوائه على عرشه وعلمه عليه وأمه برئن من خلقه ويثبتون ما أثبتته لنفسه من الاسماء والصفات وينفون عنه النقص والعيوب ومشابهة المخوقات اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلفه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيها .

إذا تبين لك هذا وتحققته فتذكر من كلام الأئمة ما يبين غلط هذا الملحد وخروجه عن الصراط المستقيم ، وسلوكه طريق أصحاب الجحيم ، ممن نكب عن الدين القويم ، واتبع غير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين .

قال شيخ الاسلام رحمه الله ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم الى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع ما يعلم به مذهبهم . روى أبو بكر البيهقي في الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الازاعي قال : كنا والتابعون سرائرون نقول : ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت فيه السنة من الصفات . قال الشيخ : وفي كتاب الفقه الاكبر المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رووه بالاسناد عن أبي مطيع ابن عبد الله البلخي قال سألت أبا حنيفة عن الفقه الاكبر فقال : لا تكفرن أحداً بذنب ولا تنفي أحداً به من الايمان ، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ونعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . الى أن قال : قال أبو حنيفة عمن قال لا أعرف ربى في السماء أم في الارض فقد كفر لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سموات . قلت : فإن قال انه على العرش استوى ولكنه يقول : لا أدرى العرش في السماء أم في الارض قال هو كافر لأنه انكر ان يكون في السماء لأنه تعالى في أعلى عليين وانه يدعى من أعلى لا من أسفل . وفي لفظ : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربى في السماء أم في الارض قال : قد كفر

قال لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) لكن لا يدري العرش في الأرض أم في السماء قال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر . ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفر الواقف الذي يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فكيف يكون النافي الجاحد الذي يقول ليس في السماء ولا في الأرض ، واحتج على كفره بقوله (الرحمن على العرش استوى) قال وعرشه على سبع سموات وبين بهذا أن قوله (الرحمن على العرش استوى) دال على أن الله نفسه فوق العرش ، ثم أنه أردف ذلك بتكفير من قال أنه على العرش استوى ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض قال لأنه أنكر أنه في السماء لأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء ، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فإن للقلوب مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك فقال : إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر . وروى هذا اللفظ بالاسناد عنه شيخ الإسلام أبو اسماعيل الأنصاري المروى في كتاب الفاروق . وروى أيضاً ابن أبي حاتم أن هشام بن عبد الله الرازي صاحب محمد بن الحسن قاضي الري الذي حبس رجلاً في التجهيم فتاب فجاء به إلى هشام ليطلقه فقال : الحمد لله على التوبة فامتنحنه هشام فقال : أشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه ، فقال : أشهد أنه على عرشه ولا أدري ما بائن من خلقه ، فقال : ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب .

وروى أيضاً عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال : إن الله على العرش بائن من الخلق وقد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ، لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل وهالك مرتاب يمزج الله تعالى بخلقه ويخطئ منه الذات بالاقذار والانتان .

وروى أيضاً عن ابن المديني لما سئل : ما قول أهل الجماعة ، قال : يؤمنون

بالأثرية والكلام . ران الله فوق السموات على الأرض استوى ، فسمي عن قوله
(ما يكن من نجرى ثلاثة الا هو رابهم) فقال : إقرأ سابقاها (ألم تر أن الله
يعلم ما فى السموات وما فى الأرض) .

وروى أيضاً عن أبى عيسى الترمذى قال : هو على العرش كما وصف فى
كتابه وعلمه وقدرته وسأطانه فى كل مكان .

وروى عن أبى زرعة الرازى انه لما سئل عن تفسير قوله (الرحمن على
العرش استوى) فقال تفسيره كما نقرأ هو على العرش وعلمه فى كل مكان ومن
قال غير هذا فعليه لعنة الله إلى ان قال : وروى عبد الله بن أحمد وغيره بإسناد
صحيح عن ابن المبارك أنه قيل له بماذا نعرف ربنا فقال بأنه فوق السموات على
عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما تقول الجهمية أنه ههنا فى الأرض وهكذا
قال الامام احمد وغيره .

وروى بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر
هؤلاء الجهمية فقال : إنما يحاولون أن يقولوا : ليس فى السماء شئ . .

وروى ابن أبى حاتم فى كتاب الرد على الجهمية عن سعيد بن عامر الضبعى
امام أهل البصرة علماً ودينياً من شيوخ الامام أحمد أنه ذكر عنده الجهمية فقال :
هم شر قولاً من اليهود والنصارى ، وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان
مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس على شئ .

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الأئمة : من لم يقر أن الله فوق سمواته
على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فإن تاب والا ضربت عنقه ثم
ألقي على مزبلة لثلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، ذكره عنه الحاكم
باسناد صحيح وذكر كلاماً طويلاً ثم قال : وقال الحافظ أبو نعيم فى كتاب
محجة الواثقين ومدرجة الواثقين تأليفه : وأجمعوا ان الله فوق سمواته عال
على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقوله الجهمية انه بكل مكان . ثم ذكر
الشيخ كلاماً الى أن ذكر عن الشيخ الامام أبى محمد عبد القادر بن أبى صالح

الجيلاني قال في كتاب الغنية أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد ، إلى أن قال : وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط عليه بالآشياء ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال أنه في السماء على العرش استوى كما قال (الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال : وينبغي إطلاق الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش قال : وكونه على العرش المذكور في كل كتاب أنزله على كل نبي أرسله بلا كيف وذكر كلاماً طويلاً لا يحتمله هذا الموضع . وقال أبو الحسن الأشعري في الإبانة :

باب ذكر الاستواء على العرش

فإن قال قائل ما تقولون في الاستواء ؟ قيل له نقول : إن الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات ثم قال فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات (قال أأستم من في السماء) لأنه مستو على العرش الذي هو فوق السموات وكل ما علا فوق فهو سماء فالعرش أعلى السموات إلى أن قال

فصل

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) أنه استولى وقهر وملك وأن الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى أنه القدرة فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة لأن الله قادر على كل شيء والأرض ، فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم

فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على
 الاشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش
 والاقذار لانه قادر على الاشياء كلها ولم يحز عند أحد من المسلمين أن يقال إن
 الله مستول على الحشوش والاخلية ولم يحز أن يكون الاستواء على العرش
 الاستيلاء الذي هو عام في الاشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص
 بالعرش دون الاشياء كلها وذكر دلالات من القرآن والا حاديث والإجماع
 والعقل ، انتهى . وقال شيخ الإسلام أيضاً في الكتاب المسمى بيان موافقة صريح
 المعقول لصحيح المنقول قال اسحق بن راهوية حدثنا بشر بن عمر سمعت غير
 واحد من المفسرين يقول الرحمن على العرش استوى أى ارتفع وقال البخارى
 فى صحيحه قال أبو العالية استوى الى السماء ارتفع ؟ قال وقال مجاهد استوى على
 العرش وقال الحسين ابن مسعود البغوى فى تفسيره المشهور قال ابن عباس
 وأكثر مفسرى السلف استوى الى السماء ارتفع الى السماء وكذلك قال الخليل
 ابن أحمد وروى البيهقى فى كتاب الصفات قال الفراء ثم استوى أى صعد قاله
 ابن عباس وهو كقولك للرجل كان قاعداً فاستوى قائماً وروى الشافعى فى
 مسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال عن يوم الجمعة وهو اليوم الذى
 استوى فيه ربكم على العرش والتفاسير المأثورة عن النبى ﷺ والصحابة والتابعين
 مثل تفسير محمد بن جرير الطبرى وتفسير عبد الرحمن بن ابراهيم المعروف
 بدحيم وتفسير عبد الرحمن بن أبى حاتم وتفسير ابن المنذر وتفسير أبى بكر
 عبد العزيز وتفسير أبى الشيخ الاصبهانى وتفسير أبى بكر بن مردويه وما قبل
 هؤلاء من التفاسير مثل تفسير أحمد ابن حنبل واسحق بن ابراهيم وبق بن مخلد
 وغيرهم ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد وتفسير عبد الرزاق ووكيع
 ابن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يحصى وكذلك
 الكتب المصنفة فى السنة التى فيها آثار النبى ﷺ والصحابة والتابعين وقال أبو محمد
 حرب بن اسمعيل الكرماني فى مسائله المعروفة التى نقلها عن أحمد واسحق
 وغيرهما وذكر معها من الآثار عن النبى ﷺ والصحابة وغيرهم ما ذكر وهو

كتاب كبير صنمه على طريقة الموطأ ونحوه من المصنفات قال في آخره في
الجامع باب القول في المذهب هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر وأهل السنة
المعروفين المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز
والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب
قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منح السنة وسبيل الحق وهو
مذهب أحمد واسحاق بن إبراهيم وبقي بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي
وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا منهم العلم وذكر الكلام في
الإيمان والتدبر والوعيد والاماعة وما أخبر به الرسول من اشراط الساعة وأمر
البرزخ والقيامة وغير ذلك الى أن قال وهو سبحانه بآئن من خلقه لا يخلو من
عليه مكان والله عرش وللعرش حمة يحملونه وله حد الله أعلم بحده والله على
عرشه عن ذكره وتعالى جده ولا إله غيره والله تعالى سميع لا يشك بصير
لا يرتاب عليم لا يجهل جواد لا يخل حليم لا يعجل حفيظ لا ينسى يقنطن
لا يسهو ورقيب لا يغفل ، يتكلم ، ويتحرك ، ويسمع ، ويصر ، وينظر ،
ويقبض ، ويبسط ، ويفرح ، ويحب ، ويكره ، ويغض ، ويرضى ، ويسخط ،
ويغضب ، ويرحم ، ويغفر ، ويعفو ، ويعطي ، ويمنع ، وينزل كل ليلة الى سماء
الدنيا كيف شاء وكما شاء ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ولم يزل الله متكلساً عالماً
فتبارك الله أحسن الخالقين ، انتهى . ولو ذهبنا نذكر أقوال أهل العلم من
الائمة لا حتمل مجلدأ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد
أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ومن لم يجعل الله له
نوراً فإله من نور .

وأما تفسير الاستواء بالاستقرار فهو من تفاسير أهل السنة والجماعة قال
ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية .

فصل

هذا وسادس عشرها اجماع أهل العلم أعني حجة الا زمان
من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن

لا عبرة بمخالف لهمو ولو كانوا عبيد الاشياء والبحر ان
ان الذى فوق السموات العلى والعرس وهو ديباس الاكوان
هو ربنا سبحانه وبحسده حفا على العرس استوا الرحمن

ثم ذكر أفعال الأئمة الى أن قال :

ولهم عبارات عليها أربع قد حصلت للفارس الطعان
وهى استقروا وقد علا وكذلك ار تفح الذى ما فيه من مكران
وكذلك قد صعد الذى هو رابع وأبو عبيدة صاحب السبائى
يختار هذا القول فى تفسيره ادرى من الجهمى بالقرآن

وأما قوله واثبت له الوجه واليدين

فأقول قد تقدم الكلام على ذلك وبه الكفايه

وأما قوله وبعضه سبحانه فجعله ماسكا بالسموات على أصبع والارضين

على أصبع والشجر على أصبع والملك على أصبع الخ

فالجواب أن يقال لمن وقف على هذا الجواب عليك أولا أن تعلم أن هذا
الكلام أعنى قوله وبعضه سبحانه ليس هو من كلام أهل السنة المحضة الذين
لم يشوبوا عقائدهم بدم التشبيه وعذرة التحريف ونحاسة التعطيل بل هو من
مقدرات الافكار وتناجح قياسات عقول أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان
وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصائبين وأشكالهم
واشباههم الذين يزعمون أنهم ينزهون الله تعالى عن الابعاض والحدود والجهات
فيسمع الغر المخدوع هذه الالفاظ يتوهم منها أنهم ينزهون الله عما يفهم من
معانيها عند الاطلاق من العيوب والنمائص والحاجة فلا يشك أنهم يمجّدونه
ويعظمونه ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الالفاظ فيرى تحتها الالحاد
وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله .

فأما الابعاض فرادهم تنزيهه عنها أنه ليس له وجه ولا يدان ولا يمسك
السموات على أصبع ، والارض على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء على
أصبع ، فان ذلك كله ابعاض والله منزّه عن الابعاض كما ذكره ابن القيم رحمه الله

عنهم في الصواعق المرسلة فاذا عرفت هذا من قلوبهم وعقائد قلوبهم وانما
 نزوه عما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه وإحاطته بجميع مخلوقاته وأنهم ما عرفوا
 الله حق معرفته ولا قدروه حق قدره ولا عظموه حق عظمتهم فخرجوا عن
 المعقول ونبذوا المنقول وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون فجاء هؤلاء الضلال
 الغلاة والملاحدة الجهال فتوهموا أن هذا من قول الوهاية وأنهم خرجوا بهذا
 القول عن جماعة أهل السنة المحضة وما علم هؤلاء الجهلة أن هذا صريح الكتاب
 والسنة قال الله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره أولارض جميعاً قبضته يوم
 القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) . قال العباد
 ابن كثير رحمه الله ، يقول الله تعالى : ما قدر المشركون الله حق قدره حتى
 عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل
 شيء وكل شيء تحت قهره وقدرته ، قال السدي ما عظموه حق عظمتهم ، وقال
 محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه ، وقال علي بن أبي طلحة ، عن
 ابن عباس هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل
 شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن به فلم يقدر الله حق قدره ، وقد
 وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف
 وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تحريف وذكر حديث ابن مسعود
 الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء خبر من
 الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أنا نجد أن الله يجعل السموات على
 أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والماء على أصبع والثرى على
 أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت
 نواجذه تصديقا لقول الخبر . قرأ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً
 قبضته يوم القيامة) الآية . وفي رواية لمسلم والجبال والشجر على أصبع ثم يهزهن
 فيقول أنا الملك أنا الله . وفي رواية البخاري يجعل السموات على أصبع والماء
 والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع . قال ابن كثير رحمه الله ، ورواه
 البخاري في صحيحه في غير موضع ومسلم والامام أحمد والترمذي والنسائي

كلهم من حديث سليمان بن مهران وهو الاعمش عن ابراهيم بن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه قال جاء رجل من أهل الكتاب الى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على أصبع والسماوات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والنرى على أصبع فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله (وما قدروا الله حق قدره) الآية . وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى من طريق عن الاعمش به ، وقال الامام أحمد حدثنا الحسين بن حسن الاشقر حدثنا أبو كدینه عن عطاء عن أبي الضحاح عن ابن عباس قال : مر يهودى برسول الله ﷺ وهو جالس فقال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماوات على ذه وأشار بالسبابة والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير بأصبعه فأنزل الله : (وما قدروا الله حق قدره) . وكذا رواه الترمذى فى التفسير بسنده عن أنى الضحى مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ثم قال : قال البخارى حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثنى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلة بن عبد الرحمن ان أبا هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقبض الله الارض ويطوى السماء يمينه فيقول أبا الملك أين ملوك الارض ، تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر . وقال البخارى فى موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنى عمى القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السماء يمينه ثم يقول أبا الملك ، تفرد به أيضاً من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقد رواه الامام أحمد من طريق آخر بلفظ أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلة حدثنا اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها ويقبل بها ويدبر

يمجد الرب تعالى نفسه أما الجبار أما المتكبر أما الملك أنا العزيز أنا الكريم
فرجى برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به ، انتهى . وهذه الاحاديث
تدل على عظمتة سبحانه وتعالى وتبين أن الله تعالى على عرشه ولم يقل النبي ﷺ
في شيء منها أن ظاهرها غير مراد وأنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات
خلقه ولو كان هذا حقاً لبلغه أمته فإن الله أكن به الدين وأتم به النعمة فبلغ
البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن يتبعهم الى يوم
الدين وتلقى الصحابة رضى الله عنهم عن نبيهم ﷺ ما وصف به ربه من صفات
كأله ونعوت جلاله فأمنوا به وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربه
جل وعلا وهذا الملحد الجاهل جعل ما تضمن كتاب الله وسنة رسوله اباعاً
وسمى اثبات علو الله على عرشه وفوقيته ونزوله وصعوده تجسماً ومن تمسك
بكتاب الله وسنة رسوله وكلام الأئمة مجسماً .

وأما قوله حتى قال بعضهم :

لئن كان تجسماً ثبوت استوائه	على عرشه أنى إذا لمجسم
وان كان تشبيهاً ثبوت صفاته	فمن ذلك التشبه لا أنلعم
وان كان تنزيهاً جحد استوائه	وأوصافه أو كونه يتكلم
فمن ذلك التنزيه نزعت ربنا	بتوفيقه والله أعلى وأعظم

فالجواب انا نعتقد هذا وندين الله به وأزيد ذلك تقريراً له بقولى :

أقول نعم هذا هو الحق والهدى	وعن وصفه بالحق لا أنلعم
ومن حاد عن هذا وقال سفاهة	طريقة جهنم والمريسى أسلم
فقد حاد عن نهج الشريعة واعتدى	وضل عن الحق الذى هو أحكم
وأشهد أن الله جل ثناؤه	على عرشه والله أعلى وأعظم
وأشهد أن الله ليس كمثل	شبيه ولا مثل ولا كفو يعلم
فمن جحد الاوصاف لله ربنا	ونزهه عن كونه يتكلم
وعن كونه فوق السموات قد علا	على عرشه فهو الكفور المذم
فليس يتجسم ثبوت استوائه	على عرشه لكننا الفوق يفهم

ويعلم من نص الكتاب وسنة
أنيس على هذا صحابة أحمد
وان لم يكن ما بلغوه هو الهدى
أولئك هم أهدي سبيلا ومنهجاً
أجهم بن صفوان اللامين وحزبه
أم الحق ما قال الفلاسفة الأولى
أولئك في بحر الضلالة قد هودوا
فسار على منهاجهم في ضلالهم
بتزييه فيما يرون وقصدهم
بالزام أهل الحق بالبغي والهوى
والزامهم ما ألزموه تعنت
وما ذاك إلا أنه ليس عندهم
وما هذه الأوصاف إلا لمن له
فان كان تجسماً ثبوت صفاته
فسبحانه عن أفكهم وضلالهم
قله وجه بل يدان حقيقة
ويضحك ربى من قنوط عباده
وكلم فيما قد مضى من عباده
سميع بصير ذو اقتدار ورفعة
وينزل شطر الليل نحو سمائه
كما شاءه سبحانه وبمحمد
وفصل بين الخلق يوم معادهم
ونؤمن أن الله جل ثناؤه
إلى غير ذلك من كل أوصافه التي
وصحت بها الأخبارون سيد الورى

لأفضل خلق الله من هو اعلم
وأهل الحجا لو كنت ويحك تفهم
فن ذا الذى منه الهدى يتعلم
وان لم يكونوا المهتدين فن هم
وأنباعه من هم أضل وأظلم
ومن صار فيما أصلوا يتكلم
وهم فى موائى الغى والبغي هو
زنادقة من بعدهم حين اوهموا
هو الكفر والتعطيل والقوم قد عموا
لوازم لا ترضى ولا هى تلزم
وبغى والحاد وإفك ومائم
إله بهذا الوصف حقاً يعظم
صفات وجسم وهو عنها يفخم
لديكم فأنى اليوم عبد مجسم
وطغيانهم فالله أعلى وأعظم
ويغضب بل يرضى ويعطى ويرحم
ويفرح ان تابوا ويولى وينعم
لمن شاء منهم قائلاً ويكلم
ويعلم ما نبدى جهراً ونكتم
ويصعد والرحمن أعلى وأعظم
وسوف يحى يوم القيامة يحكم
يوم به تبدو عياناً جهنم
يرى ويرى يوم المزيد وينعم
بها نطق القرآن والكل محكم
نقول بها جهراً ولا تتلثم

فصل

قال العراقي نحن ننقل لك هنا بعض عباراتهم التي وردت في هذا الشأن مسطورة في كتاب الدين الخالص قال صاحبه ان أردتم بالجسم المركب من المادة والصورة أو المركب من الجواهر الفردة فهذا منفي عن الله تعالى قطعاً والصواب نفيه عن الممكنات أيضاً فليس الجسم المخلوق مركباً من هذه ولا هذه .

قال العراقي فأقول فانظر الى ما في هذه العبارة من الخبط فانه انكر فيها وجود جسم بالمعنى الذي ذكره سواء كان واجباً أو ممكناً والظاهر أن غرضه من هذا الانكار هو التوصل الى نفي الجسمية التي تلزم من معتقده في الله تعالى فلتلا يقال إنه شبه الخالق بمخلوقة نفي الجسمية بالمعنى المذكور عن مخلوقه أيضاً وأنت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركباً من الجواهر الفردة .

(والجواب أن يقال) هذا الكلام ليس هو من كلام صاحب الدين الخالص بل هو كلام شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى نقله صديق من الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة وهو في الصواعق أبسط من هذا بأدلته العقلية والنقلية فنسبة هذا الكلام إلى الوهاية وإن كانوا يعتقدون صحته جهل عرض وعدم معرفة بالرجال ومقالاتهم فان ابن القيم رحمه الله تعالى في القرن السابع وشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر فصار من المعلوم عند هؤلاء أن من تكلم بالحق وبما نطق به الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وأئمتها وإن كان ممن تقدم زمانه فهو وهابي فصار هذا الاسم علماً على أهل الحق في كل زمان ومكان (فضلاً من الله ونعمة ، والله ذو الفضل العظيم)

(وأما قوله) فانه انكر فيها وجود جسم بالمعنى الذي ذكره الى آخره (فقول) نعم ما ذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك لم ينطبق به في صفات الله لا كتاب ولا سنة لا نفي ولا اثباتاً ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم .

وقوله والظاهر أن غرضه من هذا الإنكار هو النوصل الى نفي الجسمية
التي تلزم من معتقده في الله تعالى الى آخره .

(فأقول) نعم ولا يلزم من اثبات الصفات التي أثبتها الله ورسوله هذه
اللوازم التي سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إنما هي نخاعة أفكار
وزبالة أذهان لا حقيقة لها في التحقيق ولا تنبت على قدم الحق والنصديق

فهذه اللوازم منفية عن الله قطعاً وعن الممكنات أيضاً كما يأتي بيانه وتفصيله
ثم انه من المعلوم أن أصل الكلام في المادة والصورة والهيولى والجواهر الفردة
وغيرها من التراكيب المحدثه في الاسلام ليس هو من كلام أهل السنة العادة فضلاً
عن أن يكون من كلام محققى أهل السنة المحضة وإنما أصله من كلام الفلاسفة
واليونان الخارجين عن شريعة الاسلام فالاحتجاج به والاستدلال به ممن يدعى
انه من أهل السنة على أهل السنة المحضة خروج من الدين والعقل وإنما تكلم فيه
أئمة الاسلام لما دخل فيه بعض أهل السنة العامة وبعض أهل السنة المحضة
واعتمدوا عليه في العقليات فاحتاج أئمة الاسلام الى الكلام فيه لرد معقولاتهم
الفاسدة بالنقل والعقل واذ كان أصله ومادته كذلك فبطلانه معلوم بالاضطرار
من دين الاسلام عقلاً ونقلاً .

قال شيخ الاسلام رحمه الله في تفسير سورة الاخلاص (قل هو الله أحد)
بعد كلام له سبق وكان الذين امتحنوا احمد رحمه الله وغيره من هؤلاء الجاهلين
فابتدعوا كلاماً متشابهاً نفوا به الحق فأجابهم احمد لما ناظروه في المحنة ونحو ذلك
وذكروا الجسم فأجابهم بأني أقول كما قال الله تعالى (الله أحد) الله الصمد
وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ليس على أحد أن يتكلم به البتة والمعنى
الذي يراد به مجمل ولم تبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح فقال ما أدري
ما تقولون لكن أقول (الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له
كفواً أحد) يقول ما أدري ما تعنون بلفظ الجسم فأنا لا أوافقكم على اثبات
لفظ ونفيه اذا لم يرد الكتاب والسنة باثباته ولا نفيه ان لم يدر معناه المتكلم به
فان عني في النفي والاثبات ما يوافق الكتاب والسنة في النفي والاثبات لم نوافق

ولفظ الجسم والجواهر لم يأت في كتاب ولا سنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين وسائر أئمة الدين التكلم بها في حق الله تعالى لا بنفى ولا بإثبات . ولهذا قال أحمد في رسالته الى المتوكل لا أحب التكلم في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة والتابعين .

وأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود . وذكر أيضاً فيما حكاه عن الجهمية أنهم يقولون ليس فيه كذا وكذا وهو كما قال فان لفظ الجسم في اللغة التي نزل بها القرآن معنى كما قال تعالى : (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم) . وقال تعالى : (وزاده بسطة في العلم والجسم) قال ابن عباس كان طالوت اعلم بنى اسرائيل بالحرب وكان يفوق الناس بمنكبه وعنته ورأسه والبسطة السعة قال ابن قتيبة هو من قولك بسطت الشيء اذا كان مجموعاً ففتحته ووسعته قال بعضهم والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة إذ العادة أن من كان أعظم جسماً كان أكثر قوة فهذا لفظ الجسم في لغة العرب التي نزل بها القرآن . قال الجوهري . قال أبو زيد الانصاري الجسم الجسد وكذلك الجثمان والجثمان . وقال الاصمعي الجسم والجثمان والجسد والجثمان . قال وجماعة جسم الإنسان يقال له الجثمان وقد جسم الشيء أى عظم فهو جسيم وجسام والجسام بالكسر جمع جسم . قال أبو عبيدة تجسمت فلانا من بين القوم أى اخترته كأبك قصدت جسمه كما تقول نائبته أى قصدت ابنه وشخصه وأنشد أبو عبيدة :

« تجسمته من ينهن بمرفف »

وتجسمت الارض اذا أخذت نحوها تريدها وتجسم من الجسم . وقال ابن السكيت تجسمت الأمر أى ركبت اجسمه وجسيمه أى معظمه . قال وكذلك يجسمت الرمل والجبل أى ركبت أعظمه والأجسم الأضخم . قال عامر بن الطفيل

لقد علم الحى من عامر بأن لنا الذروة والأجسما

فهذا الجسم في لغة العرب وعلى هذا فلا يقال للهوى جسم ولا للنفس الخارج من الانسان جسم ولا لروحه المنفوخة جسم ومعلوم أن الله سبحانه

لا يماثل شيئاً من ذلك لا بدن الإنسان ولا غيره فلا يرصف الله بشيء من خصائص المخلوقين ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين فلا يجوز أن يقال هو جسم ولا جسد ، انتهى .

وإذا كان هذا الجسم في لغة العرب كان متفياً عن الله بهذا المعنى لأن الله أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد فلا يماثله شيء من مخلوقاته ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين فإن من شبه الله بمخلوقه فقد كفر لأنه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .

(وأما قوله) وانت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا يحصى أن يكون مركباً من الجواهر الفردة .

فالجواب أن نقول هذا على اصطلاح أهل الكلام وقد عرفت بما في كلامهم من الاختلاف والنزاع بينهم والواجب على كل مسلم أن ينظر في هذا الباب فما أثبتته الله ورسوله أثبتته وما نفاه الله ورسوله نفاه والالفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الاثبات والنفي فتثبت ما أثبتته النصوص من الالفاظ والمعاني وتنفي ما نفتته النصوص من الالفاظ والمعاني . وأما هذه الالفاظ الذي تنازع فيها من ابتدئها فقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وأما أهل الكلام فالجسم عندهم اعم من هذا وهم يختلفون في معناه اختلافاً كثيراً عقلياً واختلافاً لفظياً اصطلاحياً فهم يقولون كل ما يشار اليه إشارة حسية فهو جسم ثم اختلفوا بعد هذا فقال كثير منهم كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر المنفردة ثم منهم من قال الجسم أقل ما يكون جوهرأ بشرط أن ينضم اليه غيره وقيل بل هو الجوهران والجواهر فصاعداً وقيل بل أربعة فصاعداً وقيل بل ستة وقيل بل ثمانية وقيل بل ستة عشر وقيل بل اثنان وثلاثون وهذا قول من يقول أن الاجسام كلها مركبة من الجواهر التي لا تنقسم وقال آخرون من أهل الفلسفة كل الاجسام مركبة من الهيولى والصورة لا من الجواهر المنفردة وقال كثير من أهل الكلام وغير أهل الكلام ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا وهذا قول المشامية والكلاية والضرارية وغيرهم من الطوائف الكبار

لا يقولون بالجواهر الفردية ولا بالمادة والصورة وآخرون يدعون اجماع المسلمين على اثبات الجوهر الفرد كما قال أبو المعالي وغيره اتفق المسلمون على ان الاجسام تنناهى في تجزئتها وانقسامها حتى تصير أفراداً ومع هذا فقد شك فيه وكذلك شك فيه أبو الحسين البصرى وأبو عبد الله الرازى ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين لا من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد من أئمة العلم المشهورين بين المسلمين وأول من قال ذلك في الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة وهذا من الكلام الذى ذمه السلف وعابوه ولكن حاكى هذا الاجماع لما لم يعرف أصول الدين إلا ما فى كتب الكلام ولم يجد إلا من يقول بذلك اعتقد هذا اجماع المسلمين والقول بالجواهر الفرد باطل والقول بالهيولى والصورة باطل وقد بسط الكلام على هذه المقالات فى مواضع أخر . وقال آخرون الجسم هو القائم بنفسه وكل قائم بنفسه جسم وكل جسم فهو قائم بنفسه وهو مشار اليه واختالفوا فى الاجسام هل هى متماثلة أم لا على قولين مشهورين وإذا عرف ذلك فن قال أنه جسم وأراد أنه مركب من الاجزاء فهذا قوله باطل وكذلك إن أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل ان الله ليس كمثل شئ فى شئ من صفاته فن أثبت لله مثلاً فى شئ من صفاته فهو مبطل ومن قال انه جسم بهذا المعنى فهو مبطل ومن قال ليس بجسم بمعنى انه لا يرى فى الآخرة ولا يتكلم بالقرآن وغيره من الكلام ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ولا ترفع الأيدى اليه فى الدعاء ولا عرج بالرسول اليه فهذا قول باطل وكذلك من نفى ما أثبت الله ورسوله وقال ان هذا تجسيم فتفيه باطل وتسميته ذلك تجسماً تلبس منه فان أراد ان هذا يقتضى أن يكون جسماً مركباً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة أو أن هذا يقتضى أن يكون جسماً والاجسام متماثلة قيل له أكثر العقلاء يخالفونك فى تماثل الاجسام المخلوقة وفى انها مركبة فلا يقولون إن الهوى مثل الماء وأبدان الحيوان مثل الحديد والجبال فكيف يوافقونك على ان الرب تعالى يكون مماثلاً لخلقه اذا أثبتوا له ما أثبتته الكتاب والسنة والله تعالى

قد بنى المماتة فى بعض المحلوقات وكلاهما جسم كقوله (وإن تتولوا يستبدل
 قوماً غيركم ثم لا يكمنوا أمتالكم) مع أن كليهما بشر فكيف يجوز أن يقال
 إذا كان رب السموات علم وقدره أنه يكون ممثلاً لخلق الله تعالى ليس كمثل
 شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله وسكته الأمر أن الجسم فى اعتقاد
 هذا لا فى يستلزم مماثلة سائر الأجسام ويستلزم أن يكون مركباً من الجواهر
 الفردية أو من المادة والصورة قلت وهذا هو تقريبه فى هذا العراقى ومرامه
 حيث قال وأنت تعرف أن الجسم إن لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا
 محيص أن يكون مركباً من الجواهر الفردية ثم قال شيع الإسلام وأكثر العقلاء
 يحالفونه فالتلازم متمم بانفاق الفريقين وهو المصلوب فإذا انفجوا على اتفاء
 القص المنفى عن الله شرعاً وعقلاً بنى بحجهم فى الجسم الاصطلاحى هل هو
 مستلزم لهذا المحذور وهو بحث عقلى كبحت الناس فى الاعراض هل تبقى أو
 لا تبقى وهذا البحث العقلى لم يرتبط به دين المسلمين بل لم ينطق كتاب ولا سنة
 ولا أثر عن السلف بلفظ الجسم فى حق الله تعالى لا نفياً ولا اثباتاً فليس لأحد
 أن يبتدع اسماً جملًا يحتمل معانى مختلفة لم ينطق بها الشرع ويعلق به دين المسلمين
 ولو كان قد نطق بالسنة العربية فكيف إذا أحدث المسلمون آخر والمعنى الذى
 يقصده إذا كان حقاً عبر عنه بالعبارة التى لا لبس فيها فإذا كان معتقده أن
 الأجسام متماثلة فإن الله ليس كمثل شيء وهو سبحانه لا سمي له ولا كقوله
 ولا ندله فهذه عبارة القرآن تؤدى هذا المعنى بلا تلبس ولا نزاع وإن كان
 معتقده أن الأجسام غير متماثلة وإن كان يرى ما يقوم به من الصفات فهو
 جسم فإن عليه أن يثبت ما أثبتته الله ورسوله من علمه وقدرته وسائر صفاته
 كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وقوله (إن الله هو الرزاق
 ذو القوة المتين) وقوله فى حديث الاستخارة اللهم انى أستخيرك بعلمك
 وأستقدرك بقدرتك على الخلق ، ويقول كما قال رسول الله ﷺ اسكنكم ترون
 ربكم يوم القيامة عياناً كما ترون الشمس والقمر لا تضامون فى رؤيته فشبّه الرؤية
 بالرؤية وإن لم يكن المرئى كالمرئى فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعنى

الصحيح بلا تلبس ولا نزاع بين أهل السنة المتبعين للكتاب والسنة وأقوال الصحابة ثم بعد هذا من كان نبين له معنى من جهة العقل أنه لازم للحق لم يدفعه عن عقله فلازم الحق حق لكن ذلك المعنى لا بد أن يدل الشرع عليه فيشبهه بالالفاظ الشرعية وإن قدر أن الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده وحيث أن يدعى الناس إليه وإن قدر أنه في نفسه حق ومسئلة تماثل الأجسام وتركيبها من الجواهر المنفردة قد اضطرب فيها جماهير أهل الكلام وكثير منهم يقول بهذا تارة وبهذا تارة وأكثر ذلك لأجل الألفاظ الجملة والمعاني المتشابهة وقد أبسط الكلام عليه في غير هذا الموضع لكن المقصود هنا أنه لو قدر أن الإنسان تبين له أن الأجسام ليست متماثلة ولا مركبة لامن هذا ولا من هذا لم يكن له أن يبتدع في دين الإسلام قوله أن الله جسم وينظر على المعنى الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة بل يكفيه اثبات ذلك المعنى بالعبادات الشرعية ولو قدر أنه نبين له أن الأجسام متماثلة وأن الجسم مركب لم يكن له أن يبتدع النفي بهذا الاسم وينظر على معناه الذي اعتقده بعقله بل ذلك المعلوم بالشرع والعقل يمكن إظهاره بعبارة لا إجماع فيها ولا تلبس والذين يقولون الجسم مركب من الجواهر يدعى كثير منهم أنه كذلك في لغة العرب لأن العرب يقولون هذا أجسم من هذا يريدون به أنه أكثر أجزاء منه ويقولون هذا جسم أى كثير الأجزاء قال والتفضيل بصيغة أفعل إنما يكون لما يدل عليه الاسم فإذا قيل هذا أعلم أو أسلم كان ذلك دالا على الفضيلة فيما دل عليه لفظ العلم والحلم فلما قالوا أجسم لما كان أكثر أجزاء دل على أن لفظ الجسم عندهم المراد به المركب فن قال جسم وليس مركب فقد خرج من لغة العرب قالوا وهذه تخطئة في اللفظ وإن كنا لا نكفره إذا لم يثبت خصائص الجسم من التركيب والتأليف وقد نازعهم بعضهم في قولهم هذا أجسم من هذا وقالوا ليس هذا اللفظ من لغة العرب كما يحكى عن ابن زيد فيقال له لا ريب أن العرب تقول هذا جسم أى عظيم الجثة وهذا أجسم من هذا أى أعظم جثة لكن كون العرب تعتقد أن ذلك لكثرة الأجزاء التي هي الجواهر

المفردة انما يكون اذا كان أهل اللغة قاطبة يعتقدون أن الجسم مركب من الجواهر المنفردة والجوهر الفرد هو شيء قد بلغ من الصغر والحقارة الى أنه لا يتميز يمينه من يساره ومعلوم أن أكثر العقلاء من بني آدم لا تتصور الجوهر الفرد والذين يتصورونه أكثرهم لا يثبتونه والذين أثبتوه اما اثبتوه بطريقة خفية ، طويلة بعيدة ، فيمتنع أن يكون لفظ الشائع في اللغة التي ينطق بها خواصها وعوامها أرادوا به هذا ، وقد علم بالاضطرار أن أحداً من الصحابة والتابعين لهم باحسان لم ينطق باثبات الجوهر الفرد ، ولا بما يدل على ثبوته عنده ، بل ولا العرب قبلهم ، ولا سائر الأمم الباقين على العطرة ولا اتباع الرسل فكيف يدعى عليهم أنهم لم يقولوا لفظ الجسم الا لما كان مركباً مؤلفاً ، ولو قلت لمن شئت من العرب الشمس والقمر والسماء مركب عندك من أجزاء صغار كل منها لا يقبل التجزى ، أو الجبال ، أو الهوى ، أو الحيوان والنبات لم يتصور هذا المعنى الا بكلفة ، ثم اذا تصور قد يكذب بفطرته ويقول كيف يمكن أن يكون شيء لا يتميز منه جاب عن جاب وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد والفقهاء قاطبة تنكره ، وكذلك أهل الحديث والتصوف ، ثم ذكر كلاماً في استحالة بعض الاجسام الى بعض ، ثم ذكر بعد ذلك ما يراد بالجسم في لغة العرب ، وأنهم انما يريدون بقولهم هذا أجسم من هذا ، أى اغلظ واعظم منه وفى ان يكون ذلك لزيادة الاجزاء ، ثم قال فقد تبين ان من قال الجسم هو المؤلف والمركب ، واعتقد ان الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة فقد ادعى معنى عقلياً ينازعه فيه أكثر العقلاء من بني آدم ولم ينقل عن احد من السلف انه وافقه عليه ، وانه جعل لفظ الجسم في اصطلاحه يدل على معنى لا يدل عليه اللفظ في اللغة فقد غير معنى اللفظ في اللغة وادعى معنى عقلياً فيه نزاع طويل وليس معه من الشرع ما يوافق ما ادعاه من معنى اللفظ ولا ما ادعاه من المعنى العقلي فاللغة ما تدل على ما قال والشرع لا يدل على ما قال والعقل لم يدل على مسميات الالفاظ وانما يدل على المعنى المجرد وذلك فيه نزاع طويل ونحن نعلم بالاضطرار ان ذلك المعنى الذى وجب نفيه عن الله لا يحتاج نفيه الى ما أحدثه هذا من دلالة اللفظ ولا ما ادعاه من المعنى العقلي بل

الذى جعلوه عمدتهم في تنزيه الرب على نفى مسمى الجسم لا يمكنهم أن ينزهوه عن شيء من النقائص البتة فانهم إذا قالوا هذا من صفات الأجسام فكل ما يثبتونه هو أيضاً من صفات الأجسام مثل كونه حياً عالماً قادراً بل كونه موجوداً قائماً بنفسه فانهم لا يعرفون هذا في الشاهد إلا جسماً فإذا قال المنازع أما أقول فيما يفيتموه نظير قولكم فيما أثبتموه انقطعوا، انتهى .

والمقصود أن الأجسام المحدثه المخلوقة ليست مركبة لامن المادة والصورة ولا من الجواهر المنفردة فلو كان فوق العرش جسم مخلوق ومحدث لم يلزم أن يكون مركباً بهذا الاعتبار فكيف ذلك في حق خالق الفرد والمركب الذى يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويؤلف بين الاشياء فيركبها كما يشاء؟ والعقل إنما دل على اثبات إله واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه له لم يلد ولم يولد، ولم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ولا صفة ولا وجه ولا يدين ولا هو فوق خلقه ولا يصعد إليه شيء ولا ينزل منه شيء، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب صريح على الوحي .

فصل

قال العراقي : ثم قال - يعنى صاحب الدين الخالص - وان اردتم بالجسم ما يوصف بالصفات، ويرى بالابصار، ويتكلم ويكلم، ويسمع ويصير، ويرضى ويغضب، فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى، وهو موصوف بها فلا تنفيها عنه بتسميتكم الموصوف بها جسماً إلى آخر ما قال، قال فأقول : لم نعرف أحد أعرف الجسم بأنه المتكلم الحكيم، السميع البصير، الذى يرضى ويغضب، وانما هذه صفات تقوم بالحى العاقل، نعم أن الجسم يرى بالابصار كما قال ولكن اثبات الجسم له تعالى بهذه المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافي الألوهية، فان كون الله تعالى جسماً بهذا المعنى نقص يجب تنزيهه عنه .

والجواب : أن يقال : ومن أنت يا كعب بن كعب حتى يلتفت إلى قولك وتعريفك وتعليقك وإثباتك وتأصيلك وتفصيلك لأنك إنما أخذت هذه المباحث الملعونة عن

قوم قد ضلوا من قبل ، واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل فان احداً من أئمة الإسلام ومن على طريقهم ومنهاجهم لا يقول إن الله جسم بل لا يطلقون هذا اللفظ نفياً ولا إثباتاً حتى يستصلوه عما أراد به ، ومن أعظم الناس شمس الدين بن القيم الذي تصديت لرد كلامه نفياً لهذه الأشياء ، وله بحوث في هذا المقام يطول ذكرها ، وقد ذكرها في الصواعق وفي غيرها من كتبه ، كالكافية الشافية وغيرها .

(وأما قوله) وإنما هذه صفات تقوم بالحي العاقل إلى آخره .

(فأقول) قولك هذا منقوض باثبات الاسماء والصفات ، فان الله حي عليم قدير ، وان أمكن اثبات حي عليم قدير وليس بجسم أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم ، وان لم يمكن ذلك فما كان جوابكم عن اثبات الاسماء كان جوابنا عن إثبات الصفات .

(ويقال أيضاً) ليس في هذا النفي ما يدل على صحة مذهب أحد من نفاة الصفات أو الاسماء ، بل ولا يدل ذلك على تنزيهه سبحانه عن شيء من النقائص فان من نفي شيئاً من الصفات لكون اثباته تجسيمياً وتشبيهاً يقول له المثبت قولي فيما أثبته من الاسماء والصفات كقولك فيما أثبته من ذلك ، فان تنازعا في الصفات الخبرية أو العلو أو الرؤية ونحو ذلك ، وقال له هذا يستلزم التجسيم والتشبيه لأنه لا يعقل ما هو كذلك إلا الجسم ، قال له المثبت لا يعقل ماله حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام وإرادة إلا ما هو جسم ، فاذا جاز لك أن تثبت هذه الصفات وتقول الموصوف بها ليس بجسم جاز لي مثل ما جاز لك من اثبات تلك الصفات مع أن الموصوف بها ليس بجسم فاذن جاز ان يثبت مسمى بهذه الاسماء ليس بجسم .

فان قال له هذه معان وتلك أبعاض قال له الرضا والغضب والحب والبغض معان ، واليد والوجه وان كان بعضاً فالسمع والبصر اعراض لا تقوم إلا بجسم فان جاز لك اثباتها مع أنها ليست أعضاً ومحالها ليس بجسم جاز لي اثبات هذه مع أنها ليست أبعاضاً ، فان قال نافي الصفات أنا لا أثبت شيئاً منها قال له انت

أبهمت الاسماء فأنت تقول هو حي عليم ، ولا يعقل حي عليم قدير إلا جسماً .
وتقول انه هو ليس بجسم فاذا جاز أن تثبت مسمى هذه الاسماء ليس بجسم
مع أن هذا ليس معقولاً لك جازي أن أثبت موصوفاً بهذه الصفات وإن
كان هذا غير معقول لي . فان قال الملحد أما أننى الاسماء والصفات ، قيل له
أما أن تقر بأن هذا العالم المشهود مفعول مصنوع له صانع فاعله ، أو تقول
انه قديم أزلي واجب الوجود بنفسه عن الصانع ، فان قلت بالاول فصانعه
ان قلت هو جسم وقعت فيما نفيتَه وان قلت ليس بجسم فقد أثبتت فاعلاً صاعداً
للعالم ليس بجسم وهذا لا يعقل في الشاهد فان أثبتت خالقاً فاعلاً ليس بجسم
وأنت لا تعرف فاعلاً إلا جسماً كان لمنازلك أن يقول هو حي عليم ليس
بجسم وإن كان لا يعرف حياً عالمياً إلا جسماً ، بل لزمك أن تثبت له من
الاسماء والصفات ما يناسبه . وان قال الملحد بل هذا المشهود قديم واجب
بنفسه غنى عن الصانع فقد أثبت واجبا بنفسه قديماً أزلياً هو جسم حامل
الاعراض ، متحيز في الجهات ، تقوم به الاكوان وتحله الحوادث والحركات ،
وله أبعاد وأجزاء فكان مافر منه من اثبات جسم قديم قد لزمه مثله
وما هو أبعد منه ولم يستفد بذلك الإنكار إلا جحد الخالق وتكذيب رسله
ومخالفة صريح العقوليين ، والضلال المبين ، الذى هو منتهى ضلال الضالين ،
وكفر الكافرين . فقد تبين أن قول من نفى الصفات أو شيئاً منها لأن اثباتها
تجسيم قول لا يمكن أحد أن يستدل به بل ولا يستدل أحد على تنزيه الرب
عن شيء من النقائص بأن ذلك يستلزم التجسيم لأنه لا بد أن يثبت شيئاً
يلزمه فيما أثبتته نظير ما يلزمه غيره فيما نفاه . وإذا كان اللازم في الموضعين
واحداً وما اجاب هو به امكن المنازع أن يجيب مثله لم يمكن أن يثبت شيئاً ،
ويتبقى شيئاً على هذا التقدير وإذا انتهى إلى التعطيل المحض كان ما يلزمه من تجسيم
الواجب بنفسه القديم اعظم من كل تجسيم نفاه ، فلم أن مثل الاستدلال على
التنفي لما يستلزم التجسيم لا يسمن ولا يغنى من جوع ، انتهى من كلام شيخ
الاسلام رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) نعم إن الجسم يرى بالأبصار كما قال ، ولكن إثبات الجسم له تعالى بهذا المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافي ألوهيته .
(فيقال) قد تقدم اما لا تثبت الجسمية بهذا المعنى لأن اثبات الصفات لا تستلزم الجسمية لأن الموصوف بها ليس بجسم ، وقد تقدم بيان ذلك وان اثباتها ليس بنقص يجب تنزيه الله عنه بالعقل والنقل مع اما لا نسلم أن الجسم بهذه الأوضاع الاصطلاحية الحادثة بجمع على صحته عند العقلاء ، بل قد تنازعوا في ذلك مع مخالفته لصريح اللغة فان الجسم معناه في لغة العرب هو البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم سواه ، فلا يقال للهوى جسم لغة ، ولا للنار ، ولا للباء ، فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا .

(وأما قوله) أما عقلا فلأن الرؤية كما تحقق في علم البصر إنما تتم بوقوع أشعة النور على سطح المرئي وانعكاسها عنه إلى البصر فيلزم منه كون المرئي ذا سطح وذلك يستدعي تركيبه من أجزاء إلى آخره .

فالجواب أن يقال هذا العقل فاسد بالعقل والنقل ، اما فساد بالعقل فلأنه ليس في المعقول أن كل مرئي لا يكون إلا مركباً من المادة والصورة أو من الجواهر الفردة لأن أكثر العقلاء ينكرون هذا ولا يثبتونه في الممكنات ، فكيف بفاطر الارض والسموات ؟ وإذا كان في اعتقاد هذا النافي أن الجسم يستلزم مماثلة سائر الاجسام ويستلزم أن يكون مركباً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة ، وأكثر العقلاء يخالفونه ، فالتلازم منتف باتفاق الفريقين وهو المطلوب ، فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفي عن الله شرعاً وعقلاً بقي بحتمهم في الجسم الاصطلاحي هل هو مستلزم لهذا المحذور ، وهو بحث عقلي كبحث الناس في الاعراض هل تبقى أو لا تبقى وهذا البحث العقلي لم يرتبط به دين المسلمين ، بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر عن السلف بلفظ الجسم في حق الله تعالى لانفيا ولا اثباتا فليس لأحد أن يبتدع اسماً بحملا يحتمل معاني مختلفة لم ينطق به الشرع ويعلق به دين المسلمين وقد تقدم بيان هذا .

(ويقال أيضاً) كل ما يستدعي تركيبه من أجزاء متفرقة — كما يقوله

الفلاسفة والمتكلمون - أو من الجواهر الفردة - كما يقوله كثير من أهل الكلام - ممنوع لأن جمهور العقلاء عندهم أن الأجسام المحدثّة ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا ، فلو كان فوق العرش جسم مخلوق ومحدث لم يلزم أن يكون مركباً بهذا الاعتبار فكيف ذلك في حق خالق الفرد المركب ، الذي يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ، ويؤلف بين الأشياء فيركبها كما يشاء ؟ والعقل انما دل على اثبات إله واحد ورب واحد لا شريك له ، ولا شبيه له ، (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) ولم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ، ولا صفة له ، ولا وجه له ، ولا يدين ولا هو فوق خلقه ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا ينزل منه شيء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب على الوحي . قاله ابن القيم رحمه الله فهذا ما نفاه العقل .

وأما النقل ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا الرسول الله ﷺ يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارئون في رؤية القمر ليلة البدر ، قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ، قالوا : لا ، قال : فانكم ترونه كذلك ، الحديث بطوله ، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا للرئي بالرئي وفي لفظ في الصحيح : إنكم ترون ربكم عياناً ، فاخبر انا نراه عياناً بأبصارنا . (وأما قوله) وأما نقلاً فلقوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) .

فالجواب أن يقال : لست ممن يعرف أدلة النقل الماثورة عن السلف الصالح ولا تعرف ما ذكره المفسرون على هذه الآية كما أنك لا تعرف من الأدلة العقلية إلا ما يذكره الفلاسفة والمتكلمون الخارجون عن سبيل المؤمنين ، وأما ما يذكره أهل السنة والجماعة من المعقولات والمنقولات فليست منه في شيء . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى بعد ذكره أقوال الفرق المخالفة ، قال : وأما الصحابة والتابعون وأئمة الاسلام المعروفون بالامامة في الدين كمالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد واحمد واسحاق وأبي حنيفة وأبي يوسف

وأشال هؤلاء وسائر أهل السنة والحديث ، والطوائف المنتسبين إلى السنة والجماعة ، كالكلابية ، والكرامية ، والاشعرية ، والسالمية وغيرهم ، فهم هؤلاء كلهم متفقون على إثبات الرؤية لله تعالى والاحاديث متواترة عن النبي ﷺ عند أهل العلم بحديثه ، وأما احتجاج النفاة بقوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فالآية حجة عليهم لا لهم لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة والاول باطل لانه ليس كل من رأى شيئاً يقال أنه أدركه كما لا يقال أحاط به كما سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذلك فقال : ألسنت ترى السماء قال بلى ، قال : أكلها ترى ، قال لا ، ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال انه أدركها ، وإنما يقال أدركها اذا أحاط بها رؤية . ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك ، وإنما ذكرنا هذا بياناً لسند المنع ، بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية وأن كل من رأى شيئاً يقال في لغتهم انه أدركه ، وهذا لا سبيل اليه ، كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص ، فقد تقع رؤية بلا ادراك ، وقد يقع ادراك بلا رؤية ، أو اشتراك لفظي ، وأن الإدراك يستعمل في ادراك العلم ، وادراك القدرة ، فقد يدرك الشيء بالقدرة وأن لم يشاهد كالأعمى الذى يطلب رجلاً هارباً فأدركه ولم يره ، وقد قال تعالى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون • قال كلا ان معى ربى سيهدين) ففى موسى الإدراك مع اثبات الترائى . فلم أنه قد يكون رؤية بلا ادراك ، والإدراك هنا هو ادراك القدرة أى ملحقون بحاط بنا ، واذا اتى هذا الإدراك فقد تنفى احاطة البصر أيضاً .

وبما يبين ذلك أن الله تعالى ذكر هذه الآية يمدح بها نفسه سبحانه وتعالى ومعلوم أن كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح لأن النفى المحض لا يكون مدحاً لأن لم يتضمن أمراً ثبوتياً لأن المعدوم أيضاً لا يرى ، والمعدوم لا يمدح ، فلم أن مجرد نفى الرؤية لا مدح فيه وان كان المنفى هو الإدراك فهو سبحانه لا يحاط به رؤية كما لا يحاط به علماً ، ولا يلزم من نفى احاطة العلم والرؤية نفى الرؤية ،

بل يكون ذلك دليلاً على أنه يرى ولا يحاط به ، فان تخصيص الإحاطة يقتضى أن مصداق الرؤية ليس بمنفى ، وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم ، وقد روى معناه عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره فلا تحتاج الآية الى تخصيص ولا خروج عن ظاهر المعنى فلا نحتاج أن نقول لا نراه فى الدنيا ، أو نقول لا تدركه الأبصار ، بل المبصرون ، أو لا يدركه كلها بل بعضها ، ونحو ذلك من الأقوال التى فيها تكلف .

(وأما قوله) ولا تعارض هذه الآية بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) لأن كيفية رؤيته تعالى يوم القيامة مجهولة كما هو معتقد أهل الحق .

فالجواب أن يقال : هذه الآية لا تعارض الآية المتقدمة فان كلام الله لا يتعارض ، بل يصدق بعضه بعضا ، قال البغوى رحمه الله فى تفسيره على هذه الآية . قال ابن عباس وأكثر الناس تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب ، وقال الحسن تنظر الى الخالق وحق لها أن تنظر وهى تنظر الى الخالق . أخبرنا أبو بكر بن أبى الهيثم الترابى أما عبد الله بن أحمد الحموى أخبرنا إبراهيم بن خريم الشافعى أخبرنا عبد الله بن حميد حدثنا شعبة عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه ، وأزواجه ، ونعيمه ، وخدمه ، وسرره ، مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) وهذا الحديث يبطل تأويل من تأول من الجهمية والمعتزلة وأشباههم ، ويبطل ايضا قول هذا الملاحد فى قوله ويدل على ذلك قوله وجوه ولم يقل عيون .

(وأما قوله) كما هو معتقد أهل الحق فيمكن أن تكون الرؤية يومئذ بنوع من الانكشاف والتجلي من غير حاجة للبصرة ، ولا محاذاة لها ، ويدل على ذلك قوله وجوه ، ولم يقل عيون ، وفى قوله (ناضرة) ما يفصح عن حصول السرور التام لها بذلك الانكشاف .

فالجواب أن نقول : إن أهل الحق عند هذا الملحد غلاة الجهمية كالرئيسي وأشباهه وكل المعتزلة والرافضة وهم عند أهل السنة والجماعة من أكفر أهل الأرض ، بل هم أهل الباطل المحض ، وهؤلاء الملاحدة يؤولون الآيات والأحاديث الواردة في ذلك كقولهم هي زيادة علم واكشاف بحيث نعلم ضرورة ما كان يعلم نظراً وهذا الملحد نحاً نحو هؤلاء الملاحدة بهذه التأويلات الباطلة الخارجة عن أقوال سلف الامة وأتمتها . وإذا تبين ذلك فاضافة النظر الى الوجه الذى هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة الى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقة موضوعه في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه الى الرب جل جلاله فان النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديته بنفسه فان عدى بنفسه فعناه التوقف والانتظار كقوله (أنظرونا نقتبس من نوركم) وان عدى بقى فعناه التفكير والاعتبار كقوله (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) وان عدى بالى فعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى (أنظروا الى ثمره اذا أثمر) فكيف اذا أضيف الى الوجه الذى هو محل البصر ؟ ويؤيد ذلك الحديث الذى في الصحيح قوله (انكم ترون ربكم عياناً) فأخبر أن انراه عياناً بأبصارنا ، وقد أخبر ما الله أنه قد استوى على العرش فهذه النصوص يصدق بعضها بعضاً والعقل أيضاً يوافقها ويدل على أنه سبحانه مبين لمخلوقاته فوق سمواته . وان جود موجود لا مبين للعالم ولا بجانس له محال في بديهة العقل فاذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعاني فهذا حق واذا سميتم أتم هذا قولاً بالجهة وقولاً بالتجسيم لم يكن هذا القول نافياً لما علم بالشرع والعقل إذ كان معنى هذا القول والحال هذه ليس منتفياً لا بشرع ولا عقل فان تسميتكم ما سميتموه جهة وتجسيماً أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وما أحسن ما قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبي ذئب فقال رحمه الله في كلام له سنذكره إن شاء الله تعالى فلم يزل يعلل له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجدوا

أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الى وجهه ونظرتهم
إليه في مقعد صدق عند ملك مقتدر قد قضى انهم لا يموتون فهم بالنظر اليه
ينظرون الى ان قال وقد عرف انه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا قبل
ذلك مؤمنين به وكان له جاحداً ، انتهى .

فصل

قال العراقي ثم قال - أى صاحب الدين الخالص - وان أردتم بالجسم ما يشار
إليه إشارة حسية فقد أشار أعرف الخلق بالله تعالى إليه بأصبعه رافعاً لها الى
السماء الى آخره - قال العراقي - فأقول ان بدهاة العقل حاكمة بأن المشار اليه
بالإشارة الحسية لا بد أن يكون في جهة ومكان وان يكون مرئياً وكل ذلك
مستحيل على الله تعالى لأنه تعالى لو كان في مكان أو جهة لزم قدم المكان
أو الجهة وقد قام البرهان على ان لا قديم سوى الله تعالى .

والجواب أن يقال (أولاً) أن بدهاة العقل حاكمة بصدق رسول ﷺ
فيما أخبر به وحاكمة بأن من رد على رسول الله ﷺ قوله أو اتهمه فيما فعله
وأمر به فهو كافر حلال المال والدم وقام البرهان من الكتاب والسنة على أن الله
يرى في الآخرة عيانيا كما ترى الشمس والقمر وهذا ليس بمستحيل في العقول
الصحيحة الموافقة لصريح المنقول عن الرسول ونحن نعلم بضرورة العقل ان
الرسول لا يخبرون بمحالات المنقول بل بمحارات العقول ، فلا يخبرون بما يعلم العقل
انتقاؤه بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته وقام البرهان من الكتاب والسنة
على أن الله تعالى تقدس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه فن قال غير هذا
فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

ويقال ثانياً لهؤلاء الملاحدة ما تعنون بأن هذا اثبات للجهة والجهة فمستنعة ؟
أتعنون بالجهة أمراً وجودياً أو أمراً عدمياً ؟ فان أردتم أمراً وجودياً وقد علم
أنه ما ثم موجود الا للخالق والمخلوق والله فوق سمواته بائن من مخلوقاته لم يكن

والحالة هذه في جهة موجودة فتقول لكم إن المرئى لا بد أن يكون في جهة موجودة
قول باطل فان سطح العالم مرئى وليس هو في عالم آخر وان فسرتم الجهة بأمر عدى
كما تقولون ان الجسم في حيز والحيز تقدير مكان وتجعلون ما وراء العالم حيزاً -
فيقال لكم الجهة والحيز اذا كان أسراً عديماً فهو لا شئ وما كان في جهة عدية
أو حيز عدى فليس هو في شئ ولا فرق بين قول القائل هذا ليس في شئ
وبين قوله هو في العدم أو أمر عدى فاذا كان الخالق تعالى هـايذا المخلوقات
عالياً عليها وما ثم موجود إلا الخالق أو المخلوق لم يكن معه غيره من الموجودات
فضلاً عن أن يكون هو سبحانه في شئ موجود يحصره أو يحيط به بطريقة
السلف والآئمة انما يراعون المعانى الصحيحة المعلومة بالشرع والعدل ويراعون
أيضاً الألفاظ الشرعية فيعتدون بها ما وجدوا إليها سبيلاً ، ومن تكلم بما فيه معنى
باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً
وباطلاً نسبوه الى البدعة أيضاً وقالوا أنه قابل بدعة يبدعة ورد باطلاً بباطل .
انتهى من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وقد تبين لكل من له أدنى مسكة من
عقل ومعرفة ان ما ألزم به هذا الملحد من هذه اللوازم من لفظ المكان والجهة
وقوله لو كان في مكان لكان محتاجاً الى مكانه الى آخر ما هنى به في كلامه انها
من أقوال الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين وقد تقدم الكلام عليها .

وأما لفظ المكان فقال شيخ الاسلام رحمه الله وأما القائل الذى يقول ان
الله تعالى لا ينحصر في مكان ان أراد به ان الله تعالى لا ينحصر في جوف
المخلوقات وأنه لا يحتاج الى شئ منها فقد أصاب وان أراد أن الله سبحانه وتعالى
ليس فوق السموات ولا هو مستو على العرش استواء لا تقا بذاته وليس هناك
إله يعبد ومحمد ﷺ لم يعرج به الى الله تعالى فهذا جهى فرعونى معطل ومنشأ
هذا الضلال أن يظن الظان أن صفات الرب سبحانه كصفات خلقه
فيظن ان الله تعالى على عرشه كالمملك المخلوق على سريرته فهذا تمثيل
وضلال ، وذلك أن المملك مفتقر الى سريرته ولو زال سريرته لسقط
والله عز وجل غنى عن العرش وعن كل شئ وكل ما سواه محتاج اليه وهو

حامل العرش وحملته العرش وعلوه عليه لا يوجب افتقاره اليه فان الله تعالى قد جعل المخلوقات عالياً وسافلاً وجعل العالى غنياً عن السافل كما جعل الهواء فوق الارض وليس هو مفتقر اليها وجعل السماء فوق الهواء وليست محتاجة اليه فالعالي الاعلى رب السموات والارض وما فيهما اولى أن يكون غنياً عن العرش وسائر المخلوقات وان كان عالياً عليه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

والاصل في هذا الباب ان كل ما ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه على عرشه ونحو ذلك وأما الالفاظ المبتدعة في النفي والاثبات مثل قول القائل هو في جهة أو ليس في جهة وهو متحيز أو ليس متحيزاً ونحو ذلك من الالفاظ التي تنازع فيها الناس وليس مع أحد منهم نص لا عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة رضی الله عنهم ولا عن التابعين لهم باحسان ولا أئمة المسلمين هؤلاء لم يقل أحد منهم ان الله تعالى في جهة ولا قال ليس هو في جهة ولا قال هو متحيز ولا قال ليس بمتحيز بل ولا قال هو جسم أو جوهر ولا قال ليس بجسم ولا بجوهر فهذه الالفاظ ليست منصوطة في الكتاب ولا السنة ولا الاجماع الى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) وأيضاً لو جاز ان يشار اليه بالاشارة الحسية لجاز ان يشار اليه من كل نقطة من سطح الارض وحيث ان الارض كرية يلزم ان يكون سبحانه محيطاً بها من جميع الجهات وإلا ما صحت الاشارة اليه ولما كان تعالى مستوياً على عرشه ومستقراً عليه كما تزعمه الوهاية كان عرشه محيطاً بالسموات السبع فيلزمه من نزوله الى السماء الدنيا وصعوده منها كما تقول الوهاية ان يصغر جسمه تعالى عند النزول ويكبر عند الصعود فيكون متغيراً من حال الى حال . تعالى الله عما يقول الجاهلون .

فالجواب أن نقول : قد أشار اليه بالاشارة الحسية اعرف الخلق به بأصبعه رافعاً بها الى السماء بمشهد الجمع الاعظم مستشهداً له وهو سيد ولد آدم عليه الصلاة

والسلام وهو أعلم الناس بربه وأعظم تنزيها له وتقديسا وتعظيما . ولما كان هذا العراق جهما معتزليا واعتقد أن الارض اذا كانت كرية انه يلزم أن يكون الله سبحانه محيطا بها من جميع الجهات وإلا ما صحت الإشارة اليه وكلام العراقي يقتضى أن يكون الله تعالى تحت بعض خلقه واذا كان ذلك من كلامه مفهوما فقد قال شيخ الإسلام في بعض أجوبته : وقد يظن بعض الناس ان ما جاءت به الآثار النبوية من أن العرش سقف الجنة وان الله على عرشه مع مادلت عليه من أن الافلاك مستديرة متناقض أو مقتض أن يكون الله تعالى تحت بعض خلقه كما احتج بعض الجهمية على انكار ان يكون الله تعالى فوق العرش باستدارة الافلاك وان ذلك يستلزم كون الرب تعالى أسفل ، وهذا من غلطهم في تصور الامر ومن علم أن الاجسام المستديرة بان المحيط الذى هو السقف هو أعلا عليين وان المركز الذى هو باطن ذلك وجوفه وهو قعر الارض وهو سجين وأسفل سافلين علم بسبب مقابلة الله تعالى بين أعلا عليين وبين سجين مع أن المقابلة انما تكون في الظاهر بين العلو والسفول أو بين السعة والضيق وذلك أن العلو مستلزم للسعة والضيق مستلزم للسفول وعلم أن السماء فوق الارض مطلقا لا يتصور أن تكون تحتها قط وان كانت مستديرة محيطية وكذلك كلما علا كان ارفع واشمل وعلم أن الجهة قسمان قسم ذاتى وهو العلو والسفول فقط وقسم إضافى وهو ما ينسب الى الحيوان بحسب حركته فاما ما يقال له امام وما خلفه يقال له خلف وما عن يمينه يقال له اليمين وما عن يساره يقال له اليسار وما فوق رأسه يقال له فوق وما تحت قدميه يقال له تحت وذاك امر إضافى أرأيت لو ان رجلا علق رجلاه الى السماء ورأسه الى الارض أليست السماء فوقه وان قابلها برجليه وكذلك النملة وغيرها لو مشى تحت السقف مقابلا له برجليه وظهره الى الارض لكان العلو محاذيا لرجليه وان كان فوقه فاسفل سافلين ينتهى الى جوف الارض والكواكب التى فى السماء وان كان بعضها محاذيا لرؤوسنا وبعضها فى النصف الآخر من الفلك فليس شئ منها تحت شئ بل جميعها فوقنا فى السماء . ولما كان الإنسان اذا تصور هذا يبقى الى وهمه السفلى

الإضافي كما احتج به الجهمي الذي أسكر عاو الله على عرشه وخيل الى من لا يدري ان من قال ان الله فوق العرش فقد جعله تحت نصف المخلوقات أو جعله فلما آخر تعالى الله عما يقول الجاهل انه لازم لأهل الاسلام من الامور التي لا تليق بالله تعالى ولا هي لازمة .

وقال أيضاً : واعلم أن العرش إن كان هذا الفلك التاسع أو جسماً محيطاً به ، أو كان فوقه من جهة وجه الارض محيطاً به ، أو قيل فيه غير ذلك فيجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض ، وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : « يطوى الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول انا الملك أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الارضين بشماله ، ثم يقول أين الملوك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ ، وفي لفظ ويتميل برسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفله شيء . وفي رواية أخرى قال : قرأ على المنبر (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية . قال : « مطوية في كفه يرمى بها كما يرمى الغلام بالكرة ، .

ففي هذه الاحاديث وغيرها المتفق على صحتها ما يعين أن السموات والارض وما بينهما بالنسبة الى عظمته عز وجل أصغر من أن تكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا حتى يدحوها كما تدحى الكرة ، ثم قال في الجواب فما وصف الله تعالى من نفسه واسمائه على لسان رسوله ﷺ سميناها كما سماه ولم تتكلف علم ما سواه فلا نجد ما وصف ، ولا تتكلف معرفة ما لم يصف ، وإذا كان كذلك فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة ، وفي ذلك من الاحاطة بها ، ما لا يخفى وان شاء لم يفعل ، وبكل حال فهو مبين لها ليس بمحايت لها . ومن المعلوم أن الواحد منا والله المثل الأعلى اذا كان عنده خردلة ان شاء قبضها

فأحاطت بها قبضته وان شاء لم يقبضها ، بل جعلها تحته فهو في الحالين مباين لها وسواء قدر أن العرش محيط بال مخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها ، أم قيل أنه فوقها وليس محيطاً بها كوجه الارض الذي نحن عليها بالنسبة الى جوفها ، أو كالقبة بالنسبة الى ما تحتها أو غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات والخالق سبحانه فوقه ، والعبد في توجهه اليه عز وجل يقصد العلو دون التحت ، ثم قال رحمه الله : وأما اذا قدر أنه ليس بكري الشكل ، بل هو فوق العالم من الجهة التي هي وجه الارض وأنه فوق الافلاك الكرية كما أن وجه الارض الموضوع للأنام فوق نصف الارض الكرى أو غير ذلك من التقادير التي يقدر فيها أن العرش فوق ما سواء ، فعلى كل تقدير لا يتوجه الى الله تعالى الا الى العلو مع كونه على عرشه مبيناً لخلقه ، وعلى ما ذكرنا لا يلزم شيء من المخدور والتناقض وهذا يزيل كل شبهة نشأت من اعتقاد فاسد وهو أن يظن أن العرش اذا كان كرياً والله تعالى فوقه كما تقتضيه ذاته سبحانه عن مشابهة المخلوقين وجب فيما عند الزاعم أن يكون سبحانه كرياً ، ثم يعتقد أنه اذا كان كرياً فيصح التوجه الى ما هو كرى كالفلك التاسع من جميع الجهات وهذا خطأ ، فإن القول بأن العرش كرى لا يجوز أن يظن أنه مشابه للأفلاك في أشكالها ، وفي أقدارها ، أو في صفاتها ، بل قد تبين أنه سبحانه أعظم وأكبر من أن تكون المخلوقات عنده أصغر من الحصاة مثلاً في يد أحدنا ، فاذا كانت الحصاة مثلاً في يد الانسان أو تحته أو نحو ذلك هل يتصور عاقل اذا استشعر على الانسان على ذلك واحاطته به بأن يكون الانسان كالفلك فالله تعالى وله المثل الاعلى أعظم من أن يظن به ذلك ، وانما يظنه الذين لم يقدرُوا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وان لم يكن كرياً فالامر ظاهر مما تقدم ، انتهى .

فصل

(وأما قول العراقي) ولما كان تعالى مستويا على عرشه ومستقرا عليه كما تزعمه الوهاية كان عرشه محيطا بالسموات السبع فيلزم من نزوله الى السماء وصعوده منها كما بقوله الوهاية أن يصغر جسمه تعالى عند النزول ويكبر عند الصعود فيكون متغيرا من حال الى حال تعالى الله عما يقول الجاهلون .

(فالجواب) أن يقال : قد كان من المعلوم أن هذا الجهمي لا يعرف من صفات الخالق إلا ما يعرف من صفات المخلوقين ، وأنه ما عرف الله حق معرفته ، ولا قدره حق قدره ، ولا عظمه حق عظمته ، فلذلك نزعه عما يليق بحلاله وعظمته ، وألزم من أثبت ما وصف الله به نفسه ، وما وصفه به رسوله باللوازم التي لا تليق إلا بالمخلوق ولا تليق بالخالق ، مما قد علم أهل العلم بالله أنها من أوضاع الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين الذين هم ورثتهم ، وذلك أن في أصول ضلالهم ظهم أن هذا تنزيه عن التشبيه وأنهم متى وصفوا بصفة أثبات أو نفي كان فيه تشبيه بذلك ولم يعللوا أن التشبيه المنفي عن الله أبعد مما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين أو أن يجعل شيء من صفاته مثل صفات المخلوقين بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم أو يجب له ما يجب لهم ، أو يتمتع عليه ما يتمتع عليهم مطلقا ، فإن هذا هو التمثيل الممتنع منه المنفي بالعقل مع الشرع فيمتنع عليه وصفه بشيء من النقائص ويمتنع مماثلة غيره له في شيء من صفات الكمال فهذا إجماع لما ينزه الرب تعالى عنه فاذا علمت ذلك فالوهابية لا يقولون بشيء من هذه الأقوال ولا يعتقدونها ، ولا يدينون الله بها ، فإن جمهور أهل السنة يقولون أنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل ذلك عن إسحاق ابن راهوية وحماد بن زيد وغيرهما ، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته ، وهم متفقون على أن الله ليس كمثل شيء وأنه لا يعلم كيف ينزل ، ولا تمثل صفته بصفات خلقه فلا يلزم الوهاية شيء من هذه اللوازم الباطلة ، وقولهم واعتقادهم في ذلك قول أهل السنة والجماعة كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله : ليس لنا

أن توهم في الله كيف وكيف لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النور والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل ، وكما شاء أن يباهي ، وكما شاء أن يطلع ، وكما شاء أن يضحك ، فليس لنا أن توهم فيه كيف وكيف ، وإذا قال لك الجهمي أما أكفر رب يزول عن مكانه ، فقل أنت أما أو من رب بفعل ما يشاء .

وقال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلفة بن الماجشون وهو أحد الأئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبي دئب وقد سئل عما جحدت به الجهمية ، أما بعد فقد فهمت ما سألت فيما تتابع الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمتها الوصف والتدبير وكنت الألس عن تفسير صفته وانحصرت العقول دون معرفة قدرته ووردت عظمتها العقول فلم تجد مساعدا فرجعت خاسئة وهي حسيرة وإنما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق بالتقدير وإنما يقال لمن لم يكن مرة ثم كان ، فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فانه لا يعلم كيف هو الا هو وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لم يمت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شيء منه حدا او منتهى يعرفه عارف أو يحدد قدره واصف على أنه الحق المبين لاحق أحق منه ولا شيء أبين منه الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صفراً يحول وبزول ولا يرى له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويختال من عقله أعضل بك وأخفى عليك فأظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه لعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها اذ لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف هل تستدل بذلك على شيء من طاعته أو تنزجر به عن شيء من معصيته أما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهوت الشياطين على الأرض حيران فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف به الرب وسمى من

نفسه بأن قال لا بد ان كان له كذا من أن يكزن له كذا ، فعصى عن البين بالحق
 ويجحد ما وصف الرب من نفسه بصمت الرب عما لم نسم منها فلم يزل يمل له
 الشيطان حتى جحد قول الله تعالى : (وجره يري ، ثم اضرة الى ربها باطرة)
 فقال لا يراه أحد يوم القيامة جحد والله أفصل كراماته التي أكرم بها أوليائه
 يوم القيامة من النظر الى وجهه ، وبطرته ايام في مقعد صدق عند مليك مقتدر
 قد قضى أنهم لا يمونون فهم بالنظر اليه ينظرون الى أن قال ، وانما جحد رؤية
 الله يوم القيامة اقامة للحجة المضالة المضلة لأنه قد عرف أنه اذا نجلى لهم يوم
 القيامة رأوا منه ما كانوا قبل ذلك مؤمنين به وكان له جاحداً وقال المسلمون ،
 يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ، فقال رسول الله ﷺ : « هل تضارون
 في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قاروا : لا ، قال : « فهل تضارون في رؤية
 القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » قالوا : لا ، قال : « فأنكم ترون ربكم يومئذ
 كذلك » . وقال رسول الله ﷺ : « لا تمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه
 فحقول ، قط قط وينزوى بعضها الى بعض » . وقال لثابت بن قيس : « لقد
 ضحكك الله مما فعلت بضيفك البارحة » . وقال فيما بلغنا : « ان الله تعالى ليضحك
 من أزلكم وقنوطكم وسرعة اجابكم » . فقال له رجل من العرب : ان ربنا
 ليضحك ؟ قال : « نعم » . قال لن نعدم من رب يضحك خيراً . في أشباه لهذا
 مما لانهصيه وقال تعالى (وهو السميع البصير) واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا
 وقال (ولتضع على عيني) وقال تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال
 تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه
 وتعالى عما يشركون) فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به
 قبضته إلا صغر نظرها منهم عندهم ، ان ذلك الذي ألقى في روعهم ، وخلق على
 معرفته قلوبهم ، فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله ﷺ سميانه ،
 ولم تتكلف منه صفة ما سواه ، لهذا ولهذا لا نجحد ما وصف ، ولا تتكلف
 معرفة ما لم يصف ، اعلم رحمك الله أن العصاة في الدين ان تنتهي في الدين حيث
 انتهى بك ولا تجاوز ما حد لك ، فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار

المنكر ، فابسطت عليه المعرفة ، وسكنت اليه الأفتدة ، وذكر أصله في الكتاب والسنة ، وتوارثت عليه الأئمة ، فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً ، ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدراً ، وما أسكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ، ولا في حديث عن بيك من ذكر صفة ربك ، فلا تتكلفن عليه بعقلك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه ، فان تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كالنكارك ما وصف منها ، فكما أعظمت ما جحدته الجاحدون بما وصف من نفسه ، فكذلك أعظم نكف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف ، وينكرون المنكروا بانكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن بيده فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم ولا يتكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن ، وما ذكر عن النبي ﷺ أنه سماه من صفة ربه ، فهو بمنزلة ما سمي ووصف الرب تعالى من نفسه ، والرسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم ، الواصفون لربهم ما وصف من نفسه ، التاركون لما ترك من ذكرها ، لا ينكرون صفة ما سمي منها جحداً ، ولا يتكلفون وصفه مما لم يسم نعمتاً ، لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمي (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) وهب الله لنا ولكم حكماً وألحقنا بالصالحين .

قال شيخ الإسلام وهذا كله كلام ابن الماخشون الامام فتدبره وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقاً لغيره من الأئمة ؟ وكيف أسكر على من نفى الصفات بأنه يلزمهم من اثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم أن يكون جسماً أو عرضاً فيكون محدثاً ، انتهى . فتحصل لنا مما ذكره أئمة الاسلام ، وقدوة الانام ، أن هذا الملحد جهمي معتزلي وهذا يكفى العاقل من ضلاله وعتوه وخروجه عن الصراط المستقيم والحمد لله رب العالمين .

فصل

قال العراقي وأما ما تمسكت به الوهابية من القول التي تنبت الإشارة إليه تعالى فهي ظواهر ظنية لا تعارض اليقينية فتقول أما إجمالاً وينفوض تفصيلها إلى الله كما عليه أكثر السلف وأما تفصيلاً كما هو رأي الأكثرين فما ورد من الإشارة إليه في السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء وإن السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التي لم تكن أرضنا الخفيرة الآذرة بالنسبة إليها وكذلك العروج إليه تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع يتقرب إليه بالطاعات فيه إلى غير ذلك من التأويلات .

فالجواب أن نقول : قد كان من المعلوم أن طريقة الوهابية التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال سلف الأمة وأئمتها فيثبتون ما أثبتته الله ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله ولا يعتقدون صواب ما ذهب إليه المتكلمون من تأويل آيات الصفات وأحاديثها حيث قالوا إن نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض اليقينية وما أشبه ذلك من التمويهات . وهذا الضرب من الناس هم الذين كثر في باب الدين اضطرابهم . وناظر عن معرفة الله حجابهم ، وإذا كان أدلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض العقلية اليقينية فلا قال رسول الله ﷺ يوماً من الدهر أو أحد من سلف الأمة إن هذه الآيات والأحاديث ظواهر ظنية فلا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه عقولكم ومقاييسكم أو أولوها بكذا وكذا فانه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره وانظروا فيما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه لأن العقل مقدم على النقل إذ هو أصله . ثم كيف يجوز أن يقال في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يعلم زيد وعمرو بعقله أنه باطل وأن يكون كل من اشتبه عليه شيء مما أخبر به النبي ﷺ قدم رأيه على نص الرسول ﷺ في ألباء الغيب وما أخبر به عن ربه وما وصف به من صفات كماله ونعوت جلاله ، بمجرد رأيه بدون الاستهداء بهدى الله ، والاستضاءة بنور الله الذي أرسل به رسوله ، وأنزل به كتبه ، مع علم

كل أحد بقصوره ، وتقصيره في هذا الباب ، وبما وقع فيه الاكثرون من الاضطراب ، ففي الجملة النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول قط ، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب . وما علم أنه حق لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يعلم أنه حق ، بل يقول قولاً عاماً كلياً ان النصوص الثابتة عن رسول الله ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات مبناهما على معان متشابهة ، وألفاظ مجملة ، فتمى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سوفسطية ، لا براهين عقلية .

ثم كيف تكون أدلة كتاب الله وسنة رسوله ظواهر ظنية وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن عمار رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، إنها ستكون فتن ، قلت فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلبس به الألسن ، ولا يخاق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، وفي رواية « ولا تختلف به الآراء هو الذي لم تلته الجن إذ سمعته أن قالوا (إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي إلى الرشد) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، وهذا الملحد يقول ان أدلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات ، واليقينيات عنده نحاتة أفكار الفلاسفة ، وفروخ اليونان ، وورثة المجوس ، وزبالة أذهانهم .

فالحمد لله الذي أخذ بتواصي الوهاية فلم يسلكوا طريقة هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ، بل سلك بهم طريقة أصحاب رسول الله ﷺ ، وسلف الأمة وأئمتها ، قلله الحمد لا نحصى ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يثنى عليه أحد من خلقه . قال شمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى في اغائة اللهفان :

ومن حيله ومكايده الكلام الباطل ، والآراء المتهافنة ، والخيالات المتناقضة ،
التي هي زبالة الاذهان ، ونحافة الافكار ، والزبد الذي تقذف به القلوب المضلة
المتحيرة التي تعدل الحق بالباطل ، والخطأ بالصواب ، قد تقاذفت بها أسواج
الشبهات ، ورائت عليها غيوم الخيالات ، فركبها القيل والقال ، والشك والتشكيك ،
وكثرة الجدل ليس لها حاصل من اليقين يعول عليه ، ولا معتقد مطابق للحق
يرجع اليه ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً فقد اتخذوا لأجله
ذلك القرآن مهجوراً ، وقالوا من عند أنفسهم فقالوا منكرآ من القول وزوراً ،
فهم في شكهم يعمهون ، وفي حيرتهم يترددون ، نبذوا كتاب الله وراء
ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تلتته الشياطين على السنة أسلافهم من
أهل الضلال فهم اليه محاكمون ، وبه مخاصمون ، فارقوا الدليل (وانبعوا أهواء
قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) .

ومن كيده بهم وتحيله على اخراجهم من العلم والدين أن ألقى على ألسنتهم
أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، وأوحى اليهم أن القواطع
العقلية ، والبراهين اليقينية ، في المناهج الفلسفية ، والطرق الكلامية ، خال
بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن ، وأحالمهم على منطق
يونان ، وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة العرية عن البرهان ، وقال لهم تلك
علوم قديمة صقلت العقول والاذهان ، ومرت عليها القرون والأزمان ، فانظر
كيف تلتطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الايمان كما أخرج الشعرة من
العجين ، انتهى .

(وأما قوله) فتؤول اما اجمالاً ويفوض تفصيلها الى الله تعالى كما عليه
أكثر السلف .

فالجواب أن نقول : قد أجاب عن هذا الكلام شيخ الاسلام قدس الله
روحه ، فقال : ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن تسطيره في
هذه الفتوى وأضعافها يعرف ذلك من طلبه وتبعه ، ولا يجوز أيضاً أن يكون
الخالفون أعلم من السابقين كما يقوله بعض الاغبياء ممن لا يعرف قدر السلف ،

بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة بالمأمور بها من أن طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعم وأحكم ، فإن هؤلاء ، المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتألفين ومن هذا حذوهم على طريقة السلف ، إنما أوتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان باللفظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الاميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أُميون لا يعلمون الكتاب إلا أَسَانِي) وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أرجب تلك المقالات التي مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف ، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الامر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها اخوانهم من الكافرين ، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الامر ، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها طريقة السلف ، وبين صرف اللفظ الى معان بنوع التكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف ، فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع فان النفي انما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات ، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه . فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين ، وكانت النتيجة استجهاال السابقين ، واستبلاهم ، واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين بمنزلة الصالحين العامة لم يتجردوا في حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الالهي ، وان الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله . الى أن قال - ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف اذا حقق عليهم الامر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة له خبر ، ولم يقفوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون ، الحيارى المتهوكون ، اعلم بالله وأسمائه وصفاته ، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين ، والمهاجرين

والأصهار والذين انبحروهم بأحسان من ورثة الأنبياء ، وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، الذين هم فام الكتاب وبه قاموا ، وهم نطق الكتاب وبه يحقوا ، الذين وهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الأنبياء فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم وأحاطوا من حقائق المعارف ، وبواطن الحقائق ، بما لرجعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة ؟ ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة - لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركون ، وضلال اليهود والنصارى والصابئين ، وأشكالهم وأشباههم ، اعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن . - وذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال :

فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبيون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة أما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على خير الأمة ، أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحدون به قط ، ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهراً ، حتى يجيء أباط فارس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو فاضل أن يعتقدوها ؟ لأن كل ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم ، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدي لهم وأضع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين ، فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً من الكتاب ، ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا اتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به سواء كان موجوداً في الكتاب ، والسنة أو لم يكن موجوداً ، وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به .

ثم هم ههنا فريقان أكثرهم يهملون : ما لم تثبت به حقولكم فافضوه ، وه منهم من يقول : بل وفضوا فيه ، وما فضاه قياس عقولكم الذى أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافاً أكبر من جمع اختلاف تلى وجه الأرض فانوه . والبه عند التنازع فارحوا ، فانه الحق اندى نعبدتكم به ، وما كان مذكوراً فى الكتاب والسنة مما يحال فى قياسكم هذا أو يثبت به ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا أنى اهتجتكم لانهاءوا بتنزيله ، ولا لتأخذوا الهدى منه ، نكن لتجهدوا فى تخريبه على سواذ اللغة . ووحشى الألفاظ ، وغرائب الكلام ، وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالة على شيء من الصفات . هذا حقيقة الأمر على رأى هؤلاء المتكلمين : إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

وقال أيضاً فى موافقة العقل الصحيح للنقل الصريح : وهؤلاء الذين يعارضون الكتاب والسنة بأقوالهم بنوا أمرهم على أصل فاسد وهو أنهم جعلوا أقوالهم التى ابتدعوها هى الأقوال المحكمة التى جعلوها أصول دينهم وجعلوا قول الله ورسوله من الجمل الذى لا يستفاد منه علم ولا هدى ، فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه كما جعل الجهمية من المتفلسفة والمعتزلة ونحوهم ما أحدثوه من الأقوال التى نفوا بها صفات الله ، ونفوا بهارؤيته فى الآخرة وعلموه على خلقه ، وكون القرآن كلامه ونحو ذلك جعلوا تلك الأقوال محكمة ، وجعلوا قول الله ورسوله مؤولاً أو مردوداً ، أو غير ملتفت إليه ولا ملقى للهدى منه ، فتجدهم يقولون : ليس بجسم ، ولا جوهر ، ولا عرض ، ولا له كم ولا كيف ، ولا تحله الأعراض والحوادث ، ونحو ذلك ، وليس بمباين للعالم ، ولا خارج عنه — إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

وسياق الكلام على مسألة التفويض وبطلان قول من زعم أن هذه طريقة السلف . وبما ذكرناه هنا من كلام أهل العلم يتبين لكل منصف بطلان تأويل هذا الملحد بقوله فما ورد من الإشارة إليه فى السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء أو أن السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التى لم تكن أرضاً الحقيرة إلا ذرة بالنسبة إليها ، وكذلك العروج إليه تعالى هو بمعنى العروج

الى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه الى غير ذلك من التأويلات ، وانه بهذا التأويل قد خرج عن سبيل المؤمنين ، واتحل طريقة المتكلمين الذين ليس لهم قدم صدق في العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم من العجب انه يدعى تعظيم رسول الله ﷺ ويرمى الوهاية المعظمين له في الحقيقة بالتنقص للنبي ﷺ وهو قد تنقص رسول الله ﷺ وهضمه أعظم الهضم وأشد التنقص بزعمه أنه لم يعرج برسول الله ﷺ الى أن الله بذاته الى وصل فوق السماء السابعة ورآى من آيات ربه الكبرى ما رآى وانه ما زاغ منه البصر وما طغى لكأله عليه الصلاة والسلام ، فله الحمد على ما من به من الايمان وبما أخبر به على لسان رسوله ﷺ على ما يليق بالله وبنعوت جلاله وعظمته .

فصل

قال العراقي : الوهاية ونبذها للعقل لما كان صريح العقل وصحيح النظر مصادما كل المصادمة لما اعتقدته الوهاية اضطروا الى نبذهم العقل جانبا وأخذهم بظواهر النقل فقط وان تتج منه المحال ونجم عنه الغي والضلال فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات ان الله تعالى ثبت على عرشه وعلاه علواً حقيقياً وان له تعالى وجهاً ويدين وانه ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولاً وصعوداً حقيقيين وانه يشار اليه في السماء اشارة حسية بالأصبع الى غير ذلك مما يؤل الى التجسيم البحت (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) فالوهاية التي تسمى زائري القبور عباد الأوثان انما هي قد عبدت الوثن حيث انها جعلت معبودها جسماً كالحيوان جالساً على عرشه ينزل ويصعد نزولاً وصعوداً حقيقيين وله وجه ، ويد ، ورجل ، وأصابع حقيقة مما يتنزه عنه المعبود الحق ، واذا رد عليهم بالبراهين العقلية وأثبت لهم أن ذلك مناف للألوهية عند العقل قالوا في الجواب لا مجال للعقل الحقير البشري في مثل هذه الامور التي طورها فوق طور العقل فاشبهوا في ذلك النصارى في دعوى التثليث فالك إذا ما ألتمهم قائلًا كيف يكون الثلاثة

واحدًا وواحد ثلاثة قالوا ان معرفة هذا فوق طور العقل ولا يجوز إعمال الفكر في ذلك .

والجواب أن يقال : نعم لما كان صريح العقل من هؤلاء الملاحدة وصحيح النظر منهم على ما زعموه مصادمًا لكل المصادمة لما اعتقدته اذهابية من التمسك بصريح الكتاب وصحيح السنة وصريحها والسلوك على طريقة سلف الأمة وأئمتها نبذوا ما جاءت به عقول هؤلاء الملاحدة من نخاعة الأفكار وزبالة الأذهان وريح الخقاعد وراء ظهورهم ، ولم يأنفتوا الى ما مرهوا به من هذه الشبهات التي زعموا أنها عقليات و يقينيات فاعتقدوا متمسكين بنصوص الكتاب والسنة ان الله تعالى على عرشه وعلا عليه علوًا حقيقياً وان الله تعالى له وجه ويدان ، وانه ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولاً وصعوداً حقيقتين على ما يليق بعظمته وجلاله وعظيم ساطع كماله كما يشاء أن ينزل وكما يشاء أن يصعد وانه يشار اليه في السماء اشارة حسية بالاصبع كما أشار اليه أعرف الخلق به بأصبعه رافعاً الى السماء بمشهد الجمع الاعظم مستشهداً له لا للقبلة الى خير ذلك بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله لأن ذلك ليس بمستحيل في العقول الصحيحة الموافقة لصريح المنقول عن الرسول ونحن نعلم بضرورة العقل ان الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل انتقاده بل يخبرون بمعجز العقل عن معرفته .

(وأما قوله) مما يؤل الى التجسيم البحت .

(فنقول) ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، وأما من أثبت لله ما أثبتته لنفسه فذلك لا يؤل الى التجسيم فان القرآن قد دل على أنه ليس بجسم لأنه أحد ، والاحد الذي لا ينقسم ، وهو واحد والواحد لا ينقسم ، وهو صمد والصمد الذي لا جوف له فلا يتخلله غيره ، وانما يؤل الى التجسيم ، من قال ان له وجهاً كوجهي ويدين كيدي مما يماثل صفات المخلوقين أو يشبهها بصفاتهم . بل نحن على مذهب السلف أهل السنة المحضة ، ونقول ان الله تعالى فوق عرشه حقيقة مع نفي اللوازم التي يلزم بها أعداء الله ورسوله أهل الحق وهي لا تلزم لا بعقل ولا بنقل ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

(وأما قوله) فأما الوهاية التي تسمى زائري القبور عباد الأوثان إنما هي عبدة الوثن حيث أنها جعلت معبودها جسماً كالخيران جالساً على عرشه ينزل ويصعد نزولاً وصعوداً حقيقيين وله وجه ويد ورجل وأصابع حقيقة مما ينزه عنه المعبود الحق .

(ف نقول) ما جعلت الوهاية زائري القبور مطلقاً عباد الأوثان ومعاذ الله من ذلك وإنما جعلت الوهاية من أشرك بالله في عبادته غيره عابداً للوثن سواء زار القبور أو قعد في بيت أمه . وذلك بأن يدعو مع الله أو يرجوه أو يخافه أو يحبه كمحبة الله أو يستغيث به أو يلتجئ إليه في رفع كربة أو كشف ملية أو يطلب منه جلب منفعة أو يذبح له أو ينذر له الى غير ذلك من أنواع العبادة التي هي مختصة بالله ، فمن أشرك بالله فيها أحداً من خلقه نبياً أو ملكاً أو ولياً أو صالحاً أو شجراً أو حجراً فهو مشرك بالله في عبادته غيره .

(وقوله) إنما هي قد عبدت الوثن حيث أنها جعلت معبودها جسماً الى آخره .

(فأقول) قد تقدم نفي الجسمية عن الله تعالى والوهاية ما عبدت إلا إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . ولا نعقل إلهاً أحداً صمداً ليس على السماء فوق العرش بئناً من خلقه لا وجه له ولا يدين ولا ينزل الى سماء الدنيا ولا يصعد ولا يشار اليه في السماء ، وإنما نعقل إلهاً موجوداً واحداً فوق سمواته بجميع أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وأتم إنما معبودكم العدم المحض ولا تثبتون إلا إلهاً مقدرآ في الأذهان لا حقيقة له في الخارج فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(وأما كونه) جالساً على عرشه فقد جاء الخبر بذلك ، قال الامام عبد الله ابن الامام أحمد في كتاب السنة في الرد على الجهمية : قال حدثني أبي وعبد الأعلى ابن حماد النرسي ، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه قال : اذا جلس ربنا تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرجل الجديد ، وقد تقدم بيان ذلك فنصدق

بما قاله الله ورسوله ، وبما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان ربما كان عليه سلف الأمة وأئمتها وإذا كان رسول الله ﷺ أصحابه والتابعون لهم بإحسان ، وأهل السنة والجماعة من أهل الحديث وغيرهم من الأئمة المقتدين والسادة المعظمين قد وصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، فهم عند هذا الملحد الضال قد عبدوا وثناً بهذه اللوازم التي ابتدعها قدماء الفلاسفة وورثتهم من المتكلمين الخارجين عن سبيل المؤمنين فلعنة الله على الظالمين .

(ثم قال الملحد) وإذا رد عليهم بالبراهين العقلية وأثبت لهم أن ذلك مناف للألوهية عند العقل قالوا في الجواب ، لا مجال للعقل الحقير البشري في مثل هذه الأمور التي طورها فوق طور العقل فاشبهوا في ذلك النصارى في دعوى التثليث إلى آخره .

(والجواب أن يقال) ان هذه البراهين التي تزعمون أنها عقلية إنما هي شبه خيالية مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة ، فتى وقع الاستسفار والبيان ظهر أنها شبه سوفسطائية لأبراهين بقينية عقلية ، ودعواه أن من بفاها قد شابه في ذلك النصارى . والنصارى عليهم لعنة الله ، إنما نزعوا إلى ما نزعوا إليه من أمر التثليث إنما هو بمجرد عقولهم وتأنيج قياساتهم وتركهم ما أنزله الله في كتبه على ألسنة رسله وبغلوه في أنبيائهم كما غلوتهم أتم في الانبياء والاولياء والصالحين فأتم الذين أشبهتم النصارى في دعوى التثليث فانهم إنما أثبتوا ذلك بمجرد معقولاتهم وتأنيج قياساتهم وقدموا حكم العقل على النقل الذي أنزله الله في كتبه وعلى ألسنة رسله وأتم نفيتهم ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من اثبات صفات كماله وبعوت جلاله بمجرد معقولانكم وتأنيج قياساتكم ونبذتم كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهوركم ، وزعتم أن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لا تفيد اليقين وإنما يفيد اليقين نتائج عقول الملاحدة التي هي نحاتة الافكار وزبالة الأذهان وريح المقاعد ، فمن أشباه النصارى حيث إن كنتم تعلمون ؟

فصل

(نم قال العرائى) لا ريب أنه اذا تعارض العقل والنقل أو النقل والعقل بالعلم
اذ لا يمكن حينئذ الحكم بقبول مقتضى كل منهما لما يلزم عنه من اجتماع النقيضين
ولا بانتفاء ذلك لاستلزامه ارتجاع النقيضين لكن ببق أن يقدم النقل على العقل
أو العقل على النقل والأول باطل لأنه ابطال للأصل بالفرع ، وايضا أنه
النقل لا يمكن اثباته الا بالعقل وذلك لأن اثبات الصانع ومعرفة النبوة وسائر
ما يتوقف صحة النقل عليه لا يتم الا بطريق العقل فهو أصل للنقل الذى يتوقف
صحته عليه ، فاذا قدم على العقل وحكم بثبوت مقتضاه وحده فقد أبطل الأصل
بالفرع ويلزم منه ابطال الفرع أيضاً اذ تكون حينئذ صحة النقل متفرعة على
حكم العقل الذى يحوز فساداً وبطلانه فلا يقطع بصحة النقل فلزم من تصحيح
النقل بتقديمه على العقل عدم صحته واذا كان تصحيح الشيء منجزاً الى افساده
كان مناقضاً لنفسه فكان باطلاً ، فاذا لم يمكن تقديم النقل على العقل بالدليل
السابق فقد يعين تقديم العقل على النقل وهو المطلوب .

(والجواب أن يقول) اذا تعارض النقل والعقل وجب تقديم النقل لأن
العقل مصدق للنقل فى كل ما أخبر به والنقل لم يصدق العقل فى كل ما أخبر به
ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل فالواجب رد ما أثبتته الى
نصوص الكتاب والسنة ولا يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة
أو بقول من يقول العقل يشهد بصد ما دل عليه النقل والعقل أصل النقل فاذا
عارضه قدمنا العقل ، وهذا لا يكون قط ، لكن اذا جاء ما يؤم مثل ذلك ، فان
كان النقل صحيحاً فذلك الذى يدعى أنه معقول انما هو مجهول ، ولو حقق النظر
لظهر ذلك ، وان كان النقل غير صحيح فلا يصلح للمعارضة فلا يتصور أن
يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبداً وتعارض كلام من يقول ذلك بنظره .
فيقال اذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل لأن الجمع بين المدلولين
جمع بين النقيضين ورفعهما رفع للنقيضين وتقديم العقل بمتنع لأن العقل قد دل

على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ فلو أبطلنا النقل لكننا قد أبطلنا دلالة العقل ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارصاً للنقل لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه فلا يحوز تقديمه وهذا بين واضح ، فان العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته وان خبره مطابق لخبره فان حاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً واذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يلزم أن يتبع بحال فضلاً عن أن يقدم فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والالتقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يعارصه بحيال باطل نسميه معقولاً أو نحمله بشبهة أو شك أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالة أدهاسهم وما أحسن المثل المصروب للنقل مع العقل وهو أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المحتهد بل هو دون ذلك بكثير ، فان العامي يمكنه أن يصير عالماً ولا يمكن العالم أن يصير نبياً رسولاً وإذا عرف العامي المقلد عالماً فدل عليه عاماً آخر تم احتلف المفتي والدادال فان المستفتي يحب عليه قبول قول المفتي دون الدال فلو قال الدال الصواب معي دون المفتي لأنى أنا الأصل في عليك بأنه مفت فادا قدمت قوله على قولى قدحت في الأصل الذى به عرفت أنه مفت فلم الفدح في فرعه فيقول له المستفتي أس لما شهدت له بأنه مفت ودللت عليه شهدت له بوجوب تهليده دورك فهو افقتى لك في هذا العلم المعين لا يستلزم موافقتك في كل مسألة وحطأك فيما خالفت فيه المفتى الذى هو أعلم منك لا يستلزم حطأك في عليك لأنه هفت هذا مع علمه أن ذلك المفتى قد يخطأ والعقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله تعالى لا يحور عليه الخطأ فيجب عليه التسليم له والالتقياد لأمره وقد علمنا بالاضطرار من دين الاسلام أن الرجل لو قال للرسول هذا القرآن الذى تلقيه علينا والحكمة التى جئنا بها قد تضمنت كل منهما اشياء كثيرة تناقض ما علمناه بعمولنا ونحن انما علمنا صدقك بعقولنا فلو قبلنا جميع ما تقوله مع ان عقولنا تناقض ذلك لكان ذلك قدحاً فيما علمنا به صدقك فنحن نعتقد موجب الأقوال المناقضة لما ظهر من

كلامك وكلامك معرض عنه لا تتلقى منه هديا ولا علما لم يكن مثل هذا الرجل
مؤمنا بما جاء به الرسول ولم يرض منه الرسول بهذا بل يعلم أن هذا لو ساع
لأمكن كل أحد أن لا يؤمن بشيء مما جاء به الرسول إذ العقول متفاوتة
والشبهات كثيرة والشياطين لا تزال تلقى الوسواس في النفوس فيمكن كل أحد
أن يقول مثل هذا في كل ما أخبر به الرسول وما أمر به وقد قال تعالى :
(ما على الرسول إلا البلاغ) . وقال : (فهل على الرسول إلا البلاغ المبين)
وقال تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين - حم - والكتاب المبين - تلك
آيات الكتاب المبين - ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل
كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون - ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ونظائر ذلك كثيرة في القرآن فأمر الايمان
بالله واليوم الآخر اما أن يكون الرسول تكلم فيه بما يدل على الحق أم لا .
(الثاني) باطل وان كان قد تكلم على الحق بالفاظ مجملة محتملة فبلغ البلاغ المبين
وقد شهد له خير القرون بالبلاغ وأشهد الله عليهم بالموقف الأعظم فمن يدع
أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين فقد افترى عليه ﷺ وفي المعلوم
بالاضطرار ان عقل رسول الله ﷺ اكمل عقول أهل الارض على الاطلاق
قلو وزن عقله بعقولهم لرجحها وقد أخبر الله أنه قبل الوحي لم يكن يدر الايمان
كما لم يكن يدرى الكتاب فقال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
من عبادنا) . وقال تعالى : (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك
عائلا فأغنى) وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر سورة الشورى فاذا
كان عقل الخلق على الاطلاق انما حصل له الهدى بالوحي كما قال تعالى : (قل
ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الى ربي انه سميع قريب)
فكيف يحصل لسفهاء العقول وانخفاء الاحلام الاهتداء الى حقائق الايمان
بمجرد عقولهم دون نصوص الوحي حتى اهتدوا بتلك الهداية الى المعارضة بين

العقل ونصوص الانبياء ، (لقد جئتم شيئا إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) وقد سئل شيخ الاسلام عن مثل ما أورده هذا الملحد فقال قول السائل اذا معارضة الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل أو الطواهر النقلية والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات فاما أن يجمع بينهما وهو محال لأنه جمع بين القيصين واما ان يردا جميعا واما ان يقدم السمع وهو محال لأن العقل اصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذي هو اصل النقل والقدح في أصل الشيء قدح فيه فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا فوجب تقديم العقل تم النقل اما ان يتأول واما ان يفوض واما اذا تعارضا معارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما قال رحمه الله تعالى وهذا الكلام قد جعله الرازي واتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله وكلام انبيائه وما لا يستدل به ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم في صفات الله تعالى وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها وظن هؤلاء أن العقل يعارضها وقد يضم بعضهم الى ذلك ان الأدلة السمعية لا تفيد اليقين الى ان قال ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كل فريق لانفسهم قانونا فيما جاءت به الانبياء عن الله فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا ان عقولهم عرفته ويجعلون ما جاءت به الانبياء تبعا فما وافق قانونهم فبلوه وما خالفه لم يتبعوه وهذا يشبه ما وضعه النصارى من أماتهم التي جعلوها عقيدة ايمانهم وردوا التوراة والانجيل اليها لكن تلك الامانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الانبياء أو ما بلغهم عنهم وغلطوا في الفهم أو في تصديق الناقل كسائر الغالطين فمن يحتج بالسمعيات فان غلطه اما في الاسناد واما في المتن وأما هؤلاء فقد وضعوا قوانينهم على ما رواه بعقولهم وقد غلطوا في الرأي والعقل فالنصارى أقرب الى تعظيم الانبياء والرسول من هؤلاء لكن النصارى يشبههم من ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول كالخوارج والوعيدية والمرجئة والامامية وغيرهم بخلاف

مدعة الجهمية والفلاسفة فإها مبنية على ما يقرون هم بأنه مخالف للمعروف من كلام الانبياء ثم ذكر طريقة أهل التبديل وطريقة أهل التجهيل وطريقة أهل التحريف والتأويل وقد تقدم منه طرفا الى أن قال وجماع الأمر ان الادلة نوعان شرعية وعقلية فالمدعون لمعرفة الآلهيات بعقولهم من المنتسبين الى الحكمة والكلام والعقليات يقول من يخالف نصوص الانبياء منهم ان الانبياء لم يعرفوا الحق الذي عرفناه أو يقولون عرفوه ولم يبينوه للحلق كما يباه بل تكلموا بما يخالفه من غير بيان منهم والمدعون للسنة والسريرة واتباع السلف الجهال بمعاني النصوص يقولون أن الانبياء والسلف الذين اتبعوا الانبياء لم يعرفوا معاني هذه النصوص التي قالوها والتي بلغوها عن الله أو الانبياء عرفوا معانيها ولم يبينوا مرادهم للناس فهؤلاء الطوائف قد يقولون نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا في حمل كلام الانبياء على ما يوافق مدلول العقل وفائدة انزال هذه المتشابهات المشكلات اجتهدنا للناس في أن يعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدون في تأويل كلام الانبياء الذين لم يبينوا به مرادهم أو انا عرفنا الحق بعقولنا وهذه النصوص لم نعرف الانبياء معناها كما لم يعرفوا وقت الساءه ولكن أمرنا بتلاوتها من غير تدبر لها ولا فهم لمعانيها أو يقولون هذه الامور لا نعرف بعقل ولا نقل بل نحن منهيون عن معرفة العقليات وعن فهم السمعيات وان الانبياء واتباعهم لا يعرفون العقليات ولا يفهمون السمعيات ثم ذكر كلاما طويلا لا يحتمله هذا الموضع ثم قال :

والمقصود هنا الكلام على قول القائل اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية الى آخره كما تقدم والكلام على هذه الجملة بنى على ما في مقدمتها من التلبس فإها مبنية على مقدمات أولها ثبوت تعارضهما والثانية انحصار التقسيم فيما ذكره من الاقسام الاربعة والثالثة بطلان الاقسام الثلاثة والمقدمات الثلاث باطلة وبيان ذلك بتقديم أصل وهو ان يقال اذا قيل تعارض دليلان سواء كانا سمعيين أو عقليين أو أحدهما سمعياً والآخر عقلياً فالواجب أن يقال لا يخلو إما أن يكونا قطعيين أو يكونا ظنيين وإما ان يكون أحدهما قطعياً

والآخر ظنياً فاما القطعيان فلا يحوز تعارضهما سواء كانا عمليين أو سمعيتين أو أحدهما عقلياً والآخر سمعياً وهذا متفق عليه بين العقلاء لان الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مداوله ولا يمكن أن تكون دلالاته باطلة وحينئذ فلو تعارض دليلان قطعيان وأحدهما يناقض مدلول الآخر لزم الجمع بين النقيضين وهو محال بل كل ما يعتقد تعارضه من الدلائل التي يعتقد أنها قطعية فلا بد من أن يكون الدليلان أو أحدهما غير قطعي أو أن لا يكون مداولهما متناقضين فاما مع تناقض المدلولين المعلومين فيمتنع تعارض الدليلين وان كان أحد الدليلين المتعارضين قطعياً دون الآخر فانه يجب تقديمه بانفاق العقلاء سواء كان هو السمعى أو العقلى فان الظن لا يدفع اليقين .

وإما إن كانا جميعاً ظنيين فانه يصار الى طلب ترجيح أحدهما فأيهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعياً أو عقلياً . ولا حواب عن هذا إلا أن يقال الدليل السمعى لا يكون قطعياً وحينئذ فيقال هذا مع كونه باطلاً فانه لا ينفع فانه على هذا التقدير يجب تقديم القطعي لكونه قطعياً لا لكونه عقلياً ولا لكونه أصلاً للسمع وهؤلاء جعلوا عمدتهم في التقديم كون العقل هو الأصل للسمع وهذا باطل كما سيأتى بيانه إن شاء الله . وإذا قدر انه لم يتعارض قطعي وطنى لم ينزع عاقل في تقديم القطعي لكن كون السمعى لا يكون قطعياً دونه خرط القتاد .

وأيضاً فان الناس متفقون على أن كثيراً مما جاء به الرسول معلوم بالاضطرار من دينه كإيجاب العبادات وتحريم الفواحش والطمع وتوحيد الصانع وإثبات المعاد وغير ذلك وحينئذ فلو قال قائل اذا قام الدليل القطعي على منافضة هذا فلا بد من تقديم أحدهما فلو قدم هذا السمعى قدح في أصله وإن قدم العقلى لزم تكذيب الرسول فيما علم بالاضطرار انه جاء به ، وهذا هو الكفر الصريح فلا بد لهم من جواب عن هذا والجواب عنه انه يمتنع أن يقوم عقلى قطعي يناقض هذا فبين ان كل ما قام عليه دليل قطعي سمعى يمتنع أن يعارضه عقلى ومثل هذا اللفظ يقع فيه كثير من الناس يقدرون تقديرآ يلزم منه لوازم فيثبتون تلك اللوازم

ولا يهتدون لكون ذلك التقدير ممتنعاً والتقديم الممتنع قد يلزمه أو أزم ممتنعاً كما
في قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ثم ذكر كلاماً إلى أن قال وبه
تبيين أن اثبات التعارض بين الدليل العقلي والسمعي والجزم بتقديم العقلي معلوم
الفساد بالضرورة وهو خلاف ما اتفق عليه العقلاء .

وحينئذ فنقول الجواب من وجوه (أحدها) أن قوله إذا تعارض النقل
والعقل أما أن يريد به القطعيين فلا نسلم إمكان التعارض حينئذ وأما أن يريد به
الظنيين فالمقدم هو الراجح مطلقاً وأما أن يريد به ما أحدهما قطعي ، فالقطعي
هو المقدم مطلقاً وإذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعياً
لا لكونه عقلياً فلم أن تقديم العقلي مطلقاً خطأ كما أن جعل جهة الترجيح كونه
عقلياً خطأ .

(الوجه الثاني) أن يقال لا نسلم انحصار القسمة فيما ذكرته من الأقسام
الأربعة إذ من الممكن أن يقال يقدم العقلي نارة والسمعي أخرى فأما كان
قطعياً قدم وإن كما جميعاً قطعيين فيمتنع التعارض وإن كما ظنيين فالراجح هو
المقدم فدعوى المدعى أنه لا بد من تقديم العقلي مطلقاً والسمعي مطلقاً أو الجمع
بين التقيضين أو رفع التقيضين دعوى باطلة . بل هنا قسم ليس من هذه الأقسام
كما ذكرناه بل هو الحق الذي لا ريب فيه .

(الوجه الثالث) قوله إن قدمنا النقل كان ذلك طعننا في أصله الذي هو
العقل فيكون طعنه فيه غير مسلم وذلك لأن قوله إن العقل أصل للنقل أما أن
يراد به أنه أصل في ثبوته في نفس الأمر أو أصل في علمنا بصحته والأول
لا يقوله عاقل فأنما هو ثابت في نفس الأمر بالسمع أو بغيره هو ثابت سواء
علمنا بالعقل أو بغير العقل ثبوته أو لم نعلم ثبوته لا بعقل ولا بغيره إذ عدم
العلم ليس علماً بالعدم وعدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في أنفسها فما أحبر به
الصادق المصدوق ﷺ هو ثابت في نفس الأمر سواء علمنا صدقه أو لم نعلم
ومن أرسله الله تعالى إلى الناس فهو رسوله سواء علم الناس أنه رسول أو
لم يعلموا وما أخبر به فهو حق وإن لم يصدقه الناس وما أمر به عن الله

فإن الله أمر به وإن لم يطعه الناس فتبوت الرسالة في نفسها وتبوت صدق الرسول وثبوت ما أخبر به في نفس الأمر فليس موقوفا على عقولنا أو على الأدلة التي عليها بعقولنا وهذا كما أن وجود الرب تعالى وما يستحقه من الأسماء والصفات ثابت في نفس الأمر سواء علمناه أو لم نعلمه فتبين بذلك أن العقل ليس أصلاً لتبوت الشرع في نفسه ولا معطياً له صفة لم تكن له ولا مفيداً له صفة كمال إذ العلم مطابق للمعلوم المستغنى عن العلم تابع له ليس مؤثراً فيه فإن العلم بوعان (أحدهما) العملى وهو ما كان شرطاً في حصول المعلوم كتصور أحداً لما يريد أن يفعله فالمعلوم هنا متوقف على العلم به محتاج إليه (والثاني) الخبرى النظرى وهو ما كان المعلوم غير مفتقر في وجوده إلى العلم به كعلمنا بوحداية الله تعالى وأسمائه وصفاته وصدق رسوله وملائكته وكتبه وغير ذلك فإن هذه المعلومات ثابتة سواء علمناها أو لم نعلمها فهي مستغنية عن علمنا بها والشرع مع العقل هو من هذا الباب فإن الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه وهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن محتاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالماً به وما تضمنه من الأمور التي يحتاج إليها في دياره وآخرته واستفح بعلمه به وأعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك ولو لم نعلمه لكان جاهلاً ناقصاً ثم ذكر كلاماً طويلاً .

ثم قال رحمه الله (فإن قيل) فبأن تقديم الشرع عليها لا يكون قدحاً في أصله لكن يكون تقديماً له على أدلة عقلية فلا بد من بيان الموجب لتقديم الشرع قبل (الجواب) من وجوه (أحدها) أن المقصود هنا بيان أن تقديم الشرع على ما عارضه من مثل هذه العقلية المحدثه في الإسلام ليس تقديماً له على أصله الذى يتوقف العلم لصحة الشرع عليه وقد حصل فاما ذكرنا في هذا المقام بيان بطلان من يزعم أنه يقدم العقل على الشرع المعارض له وذكرنا أن الواجب تقديم ما قام به الدليل على صحته مطلقاً (الجواب الثاني) أن نقول الشرع قول المعصوم الذى قام الدليل على صحته وهذه الطرق لم يقم دليل على صحتها

فلا يعارض ما علمت صحته بما لم تعلم صحته . (الجواب الثالث) : أن يقول بل هذه الطرق المعارضة للشرع كلها باطلة في العقل وصحة الشرع مبنية على ابطالها لا على صحتها فهي باطلة بالعقل وبالشرع والقائل بها مخالف للعقل والشرع من جنس أهل النار الذين قالوا : (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وهكذا شأن جميع بدع المخالفين لنصوص الانبياء فاتها مخالفة للسمع والعقل فكيف بدع الجهمية المعطلة التي هي في الاصل من كلام المكذبين للرمل والكلام على ابطال هذه الوحوه على التفصيل وأن الشرع لا يتم إلا بابطالها مبسوط في غير هذا الموضع ، انتهى .

والمقصود أن ما ذكره هذا العراقي الملحد في أوراقه هو كلام الرازي وكتاب موافقة العقل الصحيح للنقل الصريح من أوله الى آخره في بطلان هذه المقدمات التي ذكرها وبيان مخالفتها للشرع فالمصير اليها والاعتماد عليها اعتماد ومصير الى مذهب الجهمية فاذا تبين لك ما تقدم علمت أن هذا الملحد قد عزل كتاب الله وسنة رسوله وبذهما وراءه ظهرياً لا اعتقاده ان ما عارضهما بالعقل كان واجباً وقولاً جلياً . واذ اكشفت الحقائق علمت من هو خير مقاما وأحسن نديا ، فمن أراد الوقوف على التفصيل فكلام الشيخ في العقل والنقل في ذلك مبسوط موضح بأدلته العقلية والنقلية اذ المقام لا يحتمل ما ذكره الشيخ هنا لأننا انما قصدت الاختصار والاقتصار .

(وأما قوله) اما تأويلا اجمالياً ويفوض تفصيله الى الله تعالى كما هو مذهب أكثر السلف .

فأقول : قال شيخ الاسلام الوجه السادس أن يقال غاية ما ينتهي اليه هؤلاء المعارضون لكلام الله ورسوله بأرائهم من المشهورين بالاسلام هو التأويل أو التفويض ، فأما الذين ينتهون الى أن يقولوا الانبياء أو هموا أو خيلوا ما لا حقيقة له في نفس الأمر فهؤلاء معروفون عند المسلمين بالالحاد والزندقة ، والتأويل المقبول هو ما دل عليه مراد المتكلم والتأويلات التي يذكرونها لا يعلم أن الرسول أرادها ، بل يعلم بالاضطرار في عامة النصوص أن المراد منها نقيض ما قالوه

كما يعلم مثل ذلك في تأويلات القراءطة والباطنية من غير أن يحتاج ذلك الى دليل خاص ، وحيث أن المتأول ان لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما يحتمله من حيث الجملة في كلام من تكلم بمتله من العرب هو من باب التحريف والالحاد ، لا من باب التفسير وبيان المراد .

(وأما التفويض) فمن المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه ، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الاعراض عن فهمه ، ومعرفته وعقله ، وأيضاً فالخطاب الذي أريد به هدايتنا ، والبيان لنا ، واخراجنا من الظلمات الى النور ، اذا كان ما ذكر فيه من المصوص ظاهره باطل وكفر ، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه ، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك ، فعلى التقديرين لم يخاطب بما هو فيه الحق ، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر ، وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا أنه لم يبين الحق ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده ، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد اليه لم يبين به الحق ولا كشفه ، بل دل ظاهره على الكفر والباطل ، وأراد منا أن لا نفهم منه شيئاً ، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه ، وهذا كله مما يعلم بالاصطرار تنزيه الله ورسوله عنه ، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والالحاد . ثم ذكر كلاماً الى ان قال : فتبين ان قول اهل التفويض الذين يزعمون اهم متبعون للسنة والسلف من أشر أقوال اهل البدع والالحاد ، انتهى .

فادان تبين لك هذا فاعلم ان التأويل والتفويض ليس هو مذهب السلف لا أكثرهم ولا أقلهم ، ونسبة ذلك الى السلف خطأ ، وضلال ، وتلبيس ، وانما قال بذلك من يزعم أنه متبع للسنة والسلف وهم على خلاف السنة وأقول السلف في هذه المسائل ، وهذا كلام أئمة الحديث واهل السنة المحضة ليس فيها شيء من هذا الكلام المحدث المبتدع الملعون .

(وقوله) واما تفصيلاً كما هو مذهب أكثر الخلف ...

فأقول : قد تبين لك مما تقدم أن هؤلاء هم الذين كثر في باب الدين

اضطرابهم ، وغلط عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم
بما انتهى إليه مرامهم ، وهو أبو المعالي الجويني :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كفّ حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم
وأقروا على أنفسهم بما قالوا متمثلين به ، أو منثنين له فيما صنفوه من
كتبهم كقول بعض رؤسائهم وهو أبو عبد الله محمد بن عمرو الرازي :

نهاية إقدام العقول عقال واكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسامنا وغاية ديانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة فبادروا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال
لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي غيلاً ،
ولا تروى غليلاً ، ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات :
(الرحمن على العرش استوى * اليه يصعد الكلم الطيب) . واقرأ في النفي :
(ليس كمثل شيء) . (ولا يحيطون به علماً) . ومن جرب مثل تجربتي ، عرف
مثل معرفتي . ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت
اهل الاسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن ان لم بتداركني
برحمته فالويل لفلان وها انا اموت على عقيدة أمي . ويقول الآخر منهم :
اكثر الناس شكا عند الموت اصحاب الكلام . فاذا كان هذا حال أئمة
المتكلمين كيف يسوغ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ان يوجب على الناس
اعتقاد ما كان عليه هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون ، الحيارى
المتهوكون ، وقد علم بالاضطرار ان هؤلاء هم ورثة افراخ الفلاسفة وانباغ
الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركين ، وضلال اليهود والنصارى
والصابئين ، وان من تأول ما تأولته الجهمية والمعتزلة ، ومن نحا نحوهم
من المتكلمين كقول هذا الملحد : فالاستواء على العرش في قوله :

(الرحمن على العرش استوى) هو الاستيلاء ويؤيده قول الشاعر :
قد استوى بسر على العراق من غير سيف ودم مهران

وجوابه فيما ادعى من أن معنى الاستواء انه بمعنى الاستيلاء ، وأنه ليس في لغة العرب ما يفيد ذلك (أن نقول) قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) قال الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه منها انتهاء سباب الرجل وقوته فيقال اذا صار ذلك فد استوى الرجل ، ومنها استقامة ما كان فيه أو د من الأمور والأسباب يقال منه استوى لفلان أمر اذا استقام له بعد أود . ومنه قول الطرماح بن حكيم .
طال على رسم مهدد أده وقد عني واستوى به بلده

أى استقام به ، ومنها الأقبال على الشيء بالفعل كما يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الاحسان اليه ، ومنها الاحتياز والاحتواء كقولهم استوى فلان على المملكة بمعنى احتوى عليها وحازها ، ومنها العلو والارتفاع كقول القائل : استوى فلان على سريرته يعنى به علوه عليه ، وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته ، وخلقهن سبع سموات ، والعجب من أسكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله تعالى (ثم استوى إلى السماء) الذى هو بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه اذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون اما علا وارتفع بعد ان كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأوله المستكره ، ثم لم ينح مما هرب منه ، فيقال زعمت أن تأويل قوله سبحانه استوى اقبل . أو كان مدبراً عن السماء فأقبل اليها ؟ فان زعم أن ذلك ليس باقبال فعل ولكنه اقبال تدبير قيل له فكذلك قيل علا عليها علو ملك وسلطان لعلو انتقال وزوال ، ثم لن يقول فى شيء من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله ، ولولا انا كرهنا اطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأثبتنا عند فساد قول كل قائل فى ذلك قولاً لأهل الحق فيه مخالفاً ، وفيما بينا منه ما يشرف بذى الفهم على ما فيه الكفاية ان شاء الله تعالى ، انتهى .

فقول الشاعر قد استوى شتر على العراق أى ملكها واحتوى عليها وحازها ، ولو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الارض ، وعلى السماء ، وعلى الحشوش والاقذار لانه قادر على الاشياء ، مستول عليها ، واذا كان قادر على الاشياء كلها ولم يحز عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله مستول على الحشوش والأخيلة لم يحز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الاشياء كلها ، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الاشياء كلها فكون استواءه على العرش علوه عليه وارتفاعه كما هو مذهب سلف الامة وأئمتها ، وقد تقدم بيان ذلك .

ثم قال العراقى : وقوله تعالى (وجاء ربك ، الملك صفاً) أى جاء أمره ، وقوله اليه يصعد الكلم الطيب أى يرتضيه ، فان الكلم عرص يمتنع عليه الانتقال نفسه . وقوله سبحانه (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) أى يأتى عذابه ، وقوله تعالى (ثم دما فتلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى) أى قرب رسوله اليه بالطاعة والتقدير بقاب قوسين أو أدنى تصوير للمعقول بالمحسوس ، وقوله ﷺ : إنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا فى كل ليلة فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟ ، معناه ترل رحمته ، وخص بالليل لانه مظنة الخلوات ، وأنواع الخضوع والعبادات . إلى غير ذلك من الآيات والاحاديث ، انتهى كلامه .

(وقد علمت بما تقدم) بطلان هذه التأويلات وأنها تأويلات الجهمية والمعتزلة الخارجين عن طريقة أهل السنة والجماعة ، وأما ذكرناها هاهنا من كلامه ليعرف المسلم قدر نعمة الله عليه بالاسلام ، وسلوكه طريقة سلف الامة وأئمتها ، ويشكر الله عليها ويحمده فان من اعلم الله عليه بالسلامة من سلوك طريقة هؤلاء الضلال فقد أوتي خيراً كثيراً ، فمن وحد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلوم من إلا نفسه ، فان الرسول قد بلغ البلاع المبين ، ونصح الامة ، وأدى الامانة ، وقامت حجة الله على خلقه ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

فصل

قال العراقي : الوهاية ونفيها الاحماع حيث كان ما انطوت عليه العقيدة الوهاية مباناً لما أجمع عليه الصحابة الكرام والمجتهدون العظام وكافة علماء الاسلام لم ير أصحاب تلك العقيدة بدأ من اسكار الاحماع وبنى كونه حجة يعمل بها فهم كفروا كل مسلم عداهم من قال لا إله الا الله محمد رسول الله سب زيارته لقبور الانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله .

والجواب أن نقول نسبة نبي الاحماع الى الوهاية كذب وهتان ، بل هذا توصل منه الى القدح فيهم بغير حجة ولا برهان ، وإلا فالوهاية يعلمون أن الاحماع حجة ويعتقدون أن الامة لا تجتمع على ضلالة وهو الاصل التالت عندهم وعقيدة الوهاية لا تحالف ما أجمع عليه الصحابة الكرام والأئمة المجتهدون العظام وكافة علماء الاسلام ومن تدر أفوالهم ومصنفاتهم علم علما يقيناً أنهم كانوا على ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في المعتقد وسائر أحكام الاسلام وأن هذا الملحد الصال ومن يحا نحوه على طريقته هم المخالفون لما أجمع عليه الصحابة ومن نبعهم باحسان ومخالفون العقيدة السلف الصالح ، والصدر الاول وما كان عليه الأئمة الاربعة المقلدون والأئمة المجتهدون من أهل السنة المحضة ومن تمسك بهديهم وعلى طريقتهم يعرف ذلك من كلامه وصلالاته الى ذكرهاها عنه فيما سبق وفيما نأى بعد .

وقوله فهم كفروا كل مسلم عداهم من قال لا إله الا الله محمد رسول الله سب زيارتهم لقبور الانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله مع أن الامة قد أجمعت على أن من نطق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الاسلام الى آخره .
فأقول هذا كذب على الوهاية فاهم ما كفروا كل مسلم عداهم ولا كفروا بمجرد الزيارة لقبور الانبياء والاولياء وإنما كفروا من أشرك بالله في عبادته غيره حيث نطق القرآن بتكفيره وجاءت الاخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ بتكفير من فعل ذلك سواء زار القبور أو لم يزر .

وأما دعواه اجماع الامة على أن من طلق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الاسلام فهذه دعوى كاذبة خاطئة فان الصحابة رضی الله عنهم أجمعوا على قتال من منع الزكاة وسموهم أهل الردة وقاتلوا بنى حنیفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لكن لما أتركوا مسیلة الكذاب فی النبوة وصدقوه أنه قد أشرك فی النبوة مع النبي ﷺ كفروهم فاذا كان من أشرك مسیله الكذاب فی النبوة يكون كافراً فكيف لا يكفر من أترك مخلوقاً فی عبادة الخالق سبحانه وجعله ندأ لله يستغث به كما يستغث بالله ويدعوه مع الله ويرجوه ويأجأ اليه فی جميع مهماته ويذبح له وينذر له مع الله ، فقد كفر الصحابة هؤلاء وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وكفر الله تعالى ورسوله المنافقين وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما قال تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وقال تعالى (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) وكذلك لا خلاف بين العلماء كلهم ان الانسان اذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء لم يدخل في الاسلام وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالصلاة وجحد الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ الى الحج أنزل الله في حقهم (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً) وكذلك بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بنى العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهرنا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتلهم وإن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استبقوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين - الى أمثال هذا مما لا يحصى ولا يستقصى .

وأما قوله وقال ابن القيم أجمع المسلمون على أن الكافر اذا قال لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فقد دخل في الاسلام الى آخره (فأقول) هذا حق اذا صدر من الكافر الأصلي ولكن اذا أتى بناقض من بواقض الاسلام كفر ولو أفر بالشهادتين وكذلك من عمل بجميع الأركان ممن ولد في الاسلام لكفه مع ذلك قد جحد سيئاً مما جاء به الرسول وابتدع في الاسلام بدعة تخرجه منه كفر وان القيم الذي حكيت عنه اجماع المسلمين على أن من أفر بالشهادتين فقد دخل في الاسلام قد حكا اجماع أهل الحجة من أهل الاسلام على تكفير الجهمية كما قال في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية .

ولقد تقلد كفرهم حمسون في عشر من العلماء في البلاد
واللا لكائي الامام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني
وذكر في كتاب الصلاة له تكفير من أمر بالصلاة فامتنع حتى يخرج وقتها
وأنه يستتاب فان تاب وإلا قتل .

وأما قوله ولذلك انعقد الاجماع على أن المرتد اذا كانت ردة بالشرك فان توبته بالشهادتين .

فأقول هذا غير مسلم ودعوى انعقاد الاجماع على ذلك دعوى مجردة بل من كانت ردة بالشرك بالله فتوبته الاقلاع عن هذا الشرك فان كثير من المشركين اليوم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله كالرافضة فاهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وهم مع ذلك يدعون الحسن والحسين مع الله وكذلك عباد القبور يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ومع ذلك يدعون عبد القادر واحمد البدوي وغيرها ويستغيثون بهم في الشدائد والملمات ، ويرغبون اليهم في جميع الحاجات وكشف الكربات واغاثة اللهفات ، وقد انعقد الاجماع على أن من أشرك بالله في عبادته غيره كان مشركاً وان تلفظ بالشهادتين كما هو مذكور في كتب الفقه في باب حكم المرتد .

(وقوله) ثم ان الوهاية عدوا الاستشفاع الى الله تعالى بالنبي ﷺ بعد موته كفراً مع أن الاجماع منعقد على جوازه .

فأقول ان كان أراد بالاستشفاع بالنبي ﷺ ، كأن يقول القائل اللهم اني
أسألك بحاجه محمد أو بحقه أو حرمة ، فهذا القول بدعة محدثة محرمة ولا يكفر
الوهابية أحداً بهذا وان أراد بالاستشفاع بالنبي بأن يدعو ويستغيث به كما
يقول يارسول الله أغثنى وادركنى وأما فى حسبك . أو يسأله أو يطلب منه
مالا يقدر عليه الا الله ويتوكل عليه ويلجأ اليه فى جميع مهماته وطلباته ويجمعها
واسطة فى جلب منفعة أو دفع مضرة ، فان كان أراد هذا فقد ذكر فى الاقناع
من كتب الحنابلة أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم كفى
احمأ وكذلك ذكر فيه عن شيخ الاسلام تقي الدين ، أن من دعا
ابن أى طالب فهو كافر ، ومن شك فى كفره فهو كافر ، والوهابية على مذهب
احمد رحمه الله ، وأما دعوى انعقاد الاجماع على حوارته فدعوى مجردة ، اللهم
الا اجماع عباد القبور وأولئك ليسوا من أهل الاسلام فضلا عن أن يجمعوا
على الاحكام .

(وأما قوله) وهم لم يجوزوا لأحد أن يقلد محتجداً من أئمة المسلمين .
(فأقول) هذا كذب على الوهابية ، وان وحد هذا فى بعض الكتب
هو على مذهب الوهابية فى تجريد التوحيد واخلاص العبادة لله بمن ينسبه هؤلاء
الى الوهابية فنسبته الى الشيخ محمد وأنبأه من الكذب عليهم وكذلك قوله
(وجوزوا لكل أحد أن يستنبط من القرآن ما استطاع أن يستنبط) إلى آخر
فهذه كلها من الأوضاع المكذوبة على الوهابية .

ثم ذكر الاجماع وأنه اتفاق المجتهدين وأن الاجماع بنعقد فى كل عصر لأ
الحوادث تحدث فى كل يوم بالأمور التى لم يصرح بحكمها الكتاب والسنة وها
مما يعلم كل أحد غلطه فى ذلك وتخييطه فيه فلا فائدة فى الجواب عنه .
ثم قال العراقى الوهابية ونفيها للقياس : ان الوهابية كما أسكروا الاجما
كذلك أسكروا القياس الى آخر ما قال .

(فأقول) وهذا أيضاً من نمط ما قبله من الكذب والزور فان الوهاب
لا ينكرون القياس مطلقا وفيه تفصيل لكن ذكر صاحب الدين الخالص
ذلك ما أوجب لهؤلاء أن ينسبوا الى الوهابية ما يقوله صديق وليس ما قا

مطلقا يقول به الوهاية بل لهم فيه تفصيل ليس هذا موضع ذكره اذ المقصود
بى ما يدعيه من الكذب على الوهاية .

(ثم قال ومن العجب) أن الوهاية لأجل تخطئة المجتهدين في قبولهم القياس
جعلت تعبت بكلام الله تعالى ، فتصرف الآيات القرآنية عن معانيها الصحيحة
مؤولة اياها بما يوافق هواها مع أنها لا تأول من الآيات ما يلزم من ظاهره
النقص على الله تعالى والمحال كآية الاستواء واليدين والوجه وتقول أن المجتهدين
عاملون بأرائهم ، مع أنها تحوز حتى للجهلة الرعاع من ذوى نحلها أن يفسروا
كلام الله بحسب افهامهم القاصرة .

والجواب أن نقول . هذا كذب على الوهاية فاهم من أعظم الناس بعطيا
لكتاب الله وسنة رسوله فبهتهم بالبعث بكتاب الله ظلم وعدوان والى الله المرجع
واليه التحاكم (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) بل الوهاية يضعون
الآيات القرآنية في معانيها الصحيحة ، ويسيرون على منهاج أئمة التفسير ولا
يؤولونها على ما يوافق أهواءهم بل يستدلون بالآيات النازلة في المسركين على
تكفير من فعل كما يفعله الكفار من الإشرار بالله والكفر به لأن العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(وأما قوله) مع أنها لا تؤول من الآيات ما يلزم من ظاهره النقص على
الله تعالى والمحال كآية الاستواء واليد والوجه .

(فأقول) نعم لا يتأولون الآيات والأحاديث النبوية فيصرفونها عن ظاهرها
وعما اقتضته من اثبات صفات الكمال ونعوت الجلال لأجل ما يزعمه أعداء
الله من أنه يلزم من ظاهرها النقص على الله والمحال ، فإن ما أثبتته الله ورسوله
من الاستواء والوجه واليدين وغير ذلك من الصفات - وصف كمال ونعوت جلال
لا وصف نقص ، بل من أثبت ذاتاً مجردة عن أوصاف الكمال فقد تنقصه غاية
التنقص وشبهه بالجمادات ومثله بأقص المعقولات الذهنية وجعله دون الموجودات
الخارجية ، واثبات الصفات لا يلزم منها مماثلة الله بخلقه ، ولا تشبيههم به ، لأن الله
تعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فمن شبه الله بخلقه فقد

كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله فقد كفر وقد تقدم بيان ذلك مراراً عديدة .

(وأما قوله) وتقول ان المجتهدين عاملون بأرائهم .

(فأقول) هذا كذب عليهم وماعلمنا أحدا قال بهذا من الوهاية كما أنا لانعلم أن أحدا منهم أجاز للجهلة الرعاع كما تزعمونه أن يفسر كلام الله بحسب مفهومه القاصر ونعوذ بالله من ذلك .

(ثم ذكر القياس) وزعم أن الوهاية ينكرونه وقد قدمنا أن الوهاية لا ينكرون القياس مطلقاً ولا يثبتونه مطلقاً ، لأن القياس ينقسم إلى حق وباطل وعمدوح ومذموم ، ولهذا لم يحجى في القرآن مدحه ولا ذمه ولا الأمر به ولا النهي عنه فانه مورد تقسيم إلى صحيح وفاسد فالصحيح هو الميزان الذي انزله مع كتابه في قوله : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والفاسد ما يضاده كقياس الذين قاسوا البيع على الربا بجامع ما يشتركان فيه من التراضى بالمعاوضة المالية ، ولهذا تجد في كلام السلف ذم القياس وأنه ليس من الدين وتجد في كلامهم استعماله ، والاستدلال به وهذا حق والحاصل أن الناس فيه طرفان ووسط ، فأحد الطرفين من ينفي العلل والمعاني والافصاف المؤثرة ويجوز ورود الشريعة بالفرق بين المتساويين ، والجمع بين المختلفين ، ولا يثبت أن الله سبحانه شرع الاحكام لعلل ومصالح ، وربطها بأوصاف مؤثرة فيها مقتضية لها طرداً وعكساً ، وأنه قد يوجب الشيء ويحرم نظيره من وجه ويأمر به للمصلحة بل لمحض المشيئة المجردة من المصلحة والحكمة ، وبأزاء هؤلاء قوم أفرطوا فيه وتوسعوا جدا وجمعوا بين الشئيين الذين فرق الله بينهما بأدنى جامع من شبه أو طرد أو وصف يتخيلونه علة يمكن أن يكون علته وأن لا يكون ، فيجعلونه هو السبب الذي علق الله ورسوله عليه الحكم بالحرص والظن ، وهذا هو الذي اجمع السلف على ذمه ، والنبي ﷺ يذكر في الاحكام العلل والافصاف المؤثرة فيها طرداً وعكساً ، وكان الصحابة رضي الله عنهم يجتهدون في النوازل ويقيسون بعض الاحكام على بعض ،

ويعتبرون النظر بنظيره . والمقصود أن من زعم أن الوهاية ينفون القياس مطلقاً فقد كذب عليهم وافترى .

(وأما قوله) فقول الوهاية أن النصوص تستوعب جميع الحوادث بدون استنباط أو قياس غير مسلم ، فإن استيعابها جميع الحوادث لا يتم إلا بطريقتيها . فالجواب أن بقول : قد ذكر ابن القيم في أعلام الموقعين أن الناس انقسموا في هذا الموضوع إلى ثلاث فرق ، فرقة قالت : ان النصوص لا تحيط بأحكام الحوادث ، وغلا بعض هؤلاء حتى قال : ولا بعشر معشارها . وذكر حجتهم وأبطالها بثلاثة وجوه أجاد فيها وأفاد ، ثم قال : لما ذكر أقوال الطائفتين المنحرفتين عن الوسط قول المعتزلة المكذبين بالقدر ، وقول الجهمية المنكرين للحكم ، والاسباب ، والرحمة ، والتعليل . قال : والمقصود أنهم كما انقسموا إلى ثلاث فرق في هذا الأصل انقسموا في فروعه وهو القياس إلى ثلاث فرق ، فرقة أنكرته بالكلية ، وفرقة قالت به وأسكت الحكم والتعليل والمناسبات ، والفرقتان أخلت النصوص عن تناولها لجميع أحكام المكلفين ، وأنها أحالت على القياس ، ثم غلاتهم أحالت عليه أكثر الأحكام . وقال متوسطهم : بل أحالت عليه كثيراً من الأحكام لا سبيل إلى إثباتها إلا به ، والصواب وراء ما عليه الفرق الثلاث وهو أن النصوص محيطه بأحكام الحوادث ، ولم يحلنا الله ورسوله على رأى ولا قياس بل قد بين الأحكام كلها والنصوص كافية وافية بها ، والقياس الصحيح حق مطابق للنصوص فهما دليلان : الكتاب والميزان ، وقد تخفى دلالة النص ، ولا يبلغ العالم فيعدل إلى القياس ، ثم قد يظهر موافقاً للنص فيكون قياساً صحيحاً ، وقد يظهر مخالفاً له فيكون فاسداً ، وفي نفس الأمر لا بد من موافقته أو مخالفته ولكن عند المجتهد قد تخفى موافقته أو مخالفته إلى آخر كلامه رحمه الله .

وقال شيخ الإسلام بعد أن ذكر هذه المسألة وقررها أحسن تقرير ، وبالجملة الأمر نوعان ، كلية عامة ، وجزئية خاصة ، فأما الجزئيات الخاصة كالجزء الذي يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه من ميراث هذا الميت وعدل هذا

الشاهد وبنفقة هذه الزوجة ووفوع الطلاق بهذا الزوج . وإقامة الحد على هذا
المفسد وأمتال ذلك ، فهذا مما لا يمكنه لا نبأ ولا امام ولا أحد من الخلق
أن ينص على كل فرد منه لأن أفعال بني آدم وأعمالهم يعجز عن معرفة أعيانها
أعيانها الجزئية واحد من البشر وعبارته : لا يمكن بشر أن يعلم ذلك كله بخطاب
الله له ، وإنما الغاية الممكنة ذكر الأمور الكلية العامة كما قال ﷺ « بعثت
بجوامع الكلم » .

فصل

(قال العراقي) الوهاية وتكفيرها من قلد المجتهدين .

لما كانت أقوال المجتهدين السالفين رحمهم الله تعالى وما وصلوا اليه
باجتهادهم من الأحكام المقررة الدينية تصادم ما ابتدعته الفئة المارقة الوهاية
لم تر هذه الفئة بدأ من انكارها صحة اجتهادهم ، وتخطئة آرائهم . وتكفير من
قلدهم ، حتى يخلو لها الجو فتفيض ، وتصفر ، وتلعب بالدين كما شاء هواها ،
ويتمهد لها الطريق الا تأسيس قواعد ضلالها الميين ، اذ هي لو لم تنف اجتهادهم
لما تم لها أن تصرف بحسب هواها الآيات النازلة في المشركين الى المسلمين
الذين يتوسلون الى الله تعالى بجاه رسوله وكرامة أوليائه لأن هذا الصرف مما
لم يقل به مجتهد ، ولم يرض به أحد من أئمة الدين .

والجواب أن نقول : أما دعوى تكفير المجتهدين فمن الكذب الواضح ،
والافك الفاضح ، وأما ماخرق به من انا مصادمون لما اجتهد الأئمة فيه من
الأحكام الدينية ، وانا اسكرنا اجتهادهم ليخلو لنا الجو ، كما زعمه هذا البو ،
فما ذاك إلا من فيض كلب العداوة في الدين لأنه جهى معتزلي مشرك ونحن والله
الحد على طريقة السلف وأئمة الدين في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته . وفي
باب العمل والعبادة فلا نشرك بربنا أحداً ، ولا نتخذ من دونه أولياء ، ومن
تأمل كلامه علم انه هو المارق المبتدع ، وانه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً
كل حزب بما لديهم فرحون ، بل هو برىء من الأئمة المجتهدين وهم براء منه ،

فان عقيدته مخالفة لعقائدهم فهو إلى طريقة الفلاسفة والملاحدة ومن نحا نحوهم من المتكلمين ، أقرب منهم إلى الأئمة المجتهدين . وهذا العراقي متبع لهواه ، عابد لما يهواه ، قد اتخذ الكذب ديدانه ، والزور والفجور ميزانه ، ودخل من الكذب في ظلمات بعضها فوق بعض ، حتى آل به زوره وفجوره الى أن زعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان كثير الميل الى الاطلاع على أخبار من ادعى النبوة كسيلة الكذاب ، والاسود العنسى ، وانه كان يضمير في نفسه أن يؤسس ديناً يحذو به حذو أولئك الكذابين - الى غير ذلك من مفترياته ، ورعوبات جهالاته وحزعلالاته ، فالموعد الرحمن واليه التحاكم وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ثم لو استهواه الشيطان ، وحكى ما يقول أهل البغي والعدوان ، كيف ساع له أن يحكى عما في ضميره لو كان ، وحاشا لله أن يكون ذلك في الامكان .

(وأما زعمه) أن الشيخ يدعى الاجتهاد المطلق ، فمن نمط ما قبله من المفتريات فانه لا يدعى ذلك ، وقد نفاه في بعض رسائله ومن طالع كتب الشيخ وتصايفه ورسائله علم محله من العلم والفقه والمتانة في الدين ورسوخه فيه ، وقد شهد له علماء وقته بذلك كما مضى بيانه .

(وأما قوله) وقال ابن القيم في أعلام الموقعين لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم .

فأقول : هذا لسان جاهل ، وتركيب بطى لا يدري شيئاً من صناعة العلم ، وابن القيم ينزه عن هذا اللفظ وهذا التركيب ، ولا يقول ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم ، فان البحث ما هكذا ايراده ولا تقريره ، والعلوم فيها ما لا دخل له هنا ولا اعتبار كعلم الطب ، والهندسة ، والإنشاء ، وقريض الشعر وميزانه ، والعلم بالرسم واتقانه ، ومعرفة التاريخ ، واما بالنظر للبعنى فابن القيم رحمه الله قد شن الغارة على من لا يجوز لأحد ان يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد ، وشنع على قائله تجهيلاً وتخطئة وقال : هذا سد لباب اخذ العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله ، وذكر في هذا المبحث من النصوص والآثار والمناظرة بين المجتهد والمقلد ما لا تنسع له هذه الرسالة ، وذكر

هذه العبارة راداً لها بجهلاً لقائلها ، بل ذكر فيه عن الامام احمد انه لا يجوز
الافتاء إلا لرجل عالم بالكتاب والسنة ، ثم ذكر بعد ذلك فصولاً في تحريم
الافتاء في دين الله بالرأى المتضمن لمخالفة النصوص ، والرأى الذى لم تشهد له
النصوص بالقبول . وقال أيضاً فى الاعلام لما ذكر القياس قال : ونحن نقول
قولاً ندين الله به ، ونحمد الله على توفيقنا له ، ونسأله الثبات عليه ، ان الشريعة
لم تحوجنا الى قياس قط ، فان فيها غنية وكفاية عن كل رأى وقياس وسياسة
واستحسان ولكن ذلك مشروط بفهم يؤتيه الله عبده فيها ، وقد قال تعالى :
(ففهمناها سليمان) ، وقال على رضى الله عنه : الا فهما يؤتيه الله عبده فى كتابه .
وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل » .
وقال ابو سعيد كان ابو بكر أعلننا برسول الله ﷺ . وقال عمر لأبى موسى
الفهم الفهم ، انتهى . والذى غر هؤلاء الجهلة أنهم ظنوا ان الأخذ بكتاب الله
وسنة رسوله هو مرتبة الاجتهاد ، او من تجوز له الفتيا فى الحلال والحرام ،
وما علموا ان الاجتهاد هو النظر فى الأدلة اذا تعارضت ، وفيما يخفى دليله ،
وهذا لا يتيأ إلا لمن كملت فيه شروط الاجتهاد ، او اجتمعت فيه أدوات الفتيا ،
واما اتباع كلام الله ورسوله والأخذ بما فيهما فهو فرض واجب على المجتهد
والمقلد والعالم والمتعلم ، والآيات والاحاديث فى ذلك معروفة مشهورة مبسوبة
ذكرها ابن القيم فى الاعلام ، وقال ابن عباس رضى الله عنه لمن ناظره فى متعة
الحج : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء ، اقول قال رسول الله ﷺ :
وتقولون قال ابو بكر وعمر ، وقال الامام احمد : عجبت لقوم عرفوا الاسناد
وصحته يذهبون الى رأى سفيان ، والله تعالى يقول : (فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم) اتدرى ما الفتنة ، الفتنة الشرك
لعله اذا رد بعض قوله ان يقع فى قلبه شئ من الزيف فيهلك ، وقال ابن القيم
رحمه الله فى الاعلام قال ابو بكر بن ابي شيبة : حدثنا صالح بن عبد الله حدثنا
سفيان بن عامر عن عتاب بن منصور قال : قال عمر بن عبد العزيز : لا أرى
لأخذ مع سنة سنها رسول الله ﷺ ، وقال الشافعى : أجمع الناس على ان من

استبابت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها . وقال : لا أقول لأحد مع سنة رسول الله ﷺ . وقال شداد بن حكيم عن زفر بن الهذيل إنما نأخذ بالرأى ما لم يحجى ، الأثر ، فإذا جاء الأثر تركنا الرأى وأخذنا بالأثر .

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة الملقب بامام الأئمة لا قول لأحد مع رسول الله ﷺ ، إذا صح الخبر عنه وقال الأصم ، سمعت الربيع يقول ، سمعت الشافعي يقول إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت ، وقال أحمد بن علي بن عيسى بن ما هان الرازي ، سمعت الربيع يقول ، سمعت الشافعي يقول كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن رسول الله عند أهل النقل بخلاف ما قلت فاني راجع عنها في حياتي وبعد موتي ، وقال الربيع قال الشافعي ، لم أسمع أحداً نسبته عامة أو نسب نفسه الى علم يخالف في أن فرض الله اتباع أمر رسوله ﷺ والتسليم لحكمه ، فان الله لم يجعل لأحد بعده الا أتباعه ، وأنه لا يلزم قول رجل قال الا بكتاب الله وسنة رسوله وان ما سواهما تبع لهما ، وان فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف فيه الغرض ، وواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ ، الا فرقة سأصف قولها ان شاء الله وذكر كلاما طويلا عن الشافعي رحمه الله وغيره تركناه طلبا للاختصار .

والمقصود أنه كذب على ابن القيم في دعواه أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم ، ولا عجب من هذا فقد كذب على السلف رحمهم الله في أن مذهبهم في آيات الصفات وأحاديثها أنها تقول اما تفصيلا واما اجمالا أو يفوض تفصيلها الى الله .

ثم ذكر العراقي كلاما زعم فيه أن الوهاية اتخذته ذرائع لتأسيس بدعتها ، وقد تقدم الكلام عليه ، ولكن أعاده ليكبر حجم كتابه ، وليزداد ان شاء الله بذكره مقتاً من الله وغضباً وزيادة في عقابه .

(ثم ذكر) أن تكفير المسلم أمر غير هين وأنه قد أجمع العلماء منهم الشيخ

ابن تيمية وابن القيم على أن الجاهل والمخطيء من هذه الأمة ولو عمل ما يجعل صاحبه مشركاً أو كافراً يعذر بالجهل والخطأ ، حتى تبين له الحجة بياها واضحاً لا يلتبس على مثله .

(فيقال) في جوابه اما تكفير المسلم فقد قدمنا أن الوهاية لا يكفرون المسلمين والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أعظم الناس توفهاً واحكاماً عن اطلاق الكفل حتى إنه لم يحزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم اذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها قال في بعض رسائله وان كنا لا سكفر من عبد قبة الكواز لجهلهم وعدم من ينبههم فكيف من لم يهاجر إلينا ، وقال وقد سئل عن مثل هؤلاء الجاهل فقرر أن من قامت عليه الحجة ونأهل لمعرفتها يكفر بعبادة القبور ، وأما من أخلد الى الأرض واتبع هواه فلا أدري ما حاله .

(وأما نقله) عن شيخ الاسلام وابن القيم على أن الجاهل والمخطيء الى آخره فالجواب : أن يقال كلام الشيخين إنما هو في المسائل النظرية والاجتهادية التي قد يخفى الدليل فيها واما عباد القبور فهم عند السلف وأهل العلم يسمون الغالية لأن فعلهم غلو يشبه غلو النصارى في الأنبياء والصالحين وعبادتهم ، وأيضاً فإن هذا النقل فيه تكفير من قامت عليه الحجة ولو في المسائل الخفية ، فبطلت الشبهة العراقية ، ومسألة توحيد الله وإخلاص العبادة له لم يتنازع في وجوبها أحد من أهل الاسلام لا أهل الأهواء ولا غيرهم ، وهى معلومة من الدين بالضرورة ، كل من بلغته الرسالة وتصورها على ما هى عليه عرف أن هذا زبدتها وحاصلها وسائر الأحكام تدور عليه ، وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الاسلام كثيراً ، قال وهذا ان كان في المقالات الخفية ، فقد يقال فيها إنه مخطيء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها لكن هذا يصدر منهم في أمور يعلمها الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله ﷺ بعث بها وكفر من خالفها ، مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبين وغيرهم ، فإن هذه

أظهر شعائر الاسلام ومثل ايجابه للصلوات الحس وتعظيم شأنها ، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ، تم تجد كثيراً من رءوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازي ، قال وهذه ردة صريحة ، انتهى .

فاذا علمت هذا فمن بلغته رسالة محمد ﷺ وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة فلا يعذر في عدم الايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر فلا عذر له بعد ذلك بالجهل ، وقد أخبر الله سبحانه بجهل كثير من الكفار مع نصريحه بكفرهم ، ونقطع أن اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ، ونعتقد كفرهم وكفر من شك في كفرهم ، وقد دل القرآن على أن الشك في أصول الدين كفر ، والشك هو التردد بين شيئين كالذي لا يحزم بصدق الرسول ولا كذبه ولا يحزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ، ونحو ذلك كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها ، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه ، وهذا كفر باجماع العلماء ، ولا عذر لمن حاله هكذا بكونه لم يفهم حجاج الله وبياناته لأنه لا عذر له بعد بلوغها ، وإن لم يفهمها ، وقد أخبر الله عن الكفار أنهم لم يفهموا فقال : (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) والآيات في هذا المعنى كثيرة والله أعلم .

(وأما قول هذا العراقي) حتى تتبين له الحجة بيانياً واصحاً لا يلتبس على مثله .

(فأقول) هذا تحريف لكلام الشيخ فان الشيخ لم يقل حتى تتبين له الحجة إلى آخره وإنما هي زيادة عراقية ، وإنما قال الشيخ ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم نأثر الرسالة من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ، فقوله حتى تتبين له الحجة بيانياً واصحاً لا يلتبس على مثله إنما هو فهم الحجة ، وفرق بعيد بين قيام الحجة وفهم الحجة فان من بلغته دعوة الرسل فقد قامت عليه الحجة اذا كان على وجه يمكن معه العلم . ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الايمان والقبول والانقياد لما جاء به الرسول قال تعالى

(أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) وقال (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى .
ويقال أيضاً فرض كلام شيخ الإسلام وتقديره في الأمور التي قد يخفى دليلها عما ليس هو من ضروريات الدين ، ولا هو من الأمور الجلية بل هو في الأمور النظرية والاجتهادية والله أعلم .

(وأما قوله) والمسلم قد يجتمع فيه الكفر والإسلام والشرك والإيمان ولا يكفر ككفر آ ينقله عن الملة .

(فأقول) نعم هذا فيما دون الشرك والكفر الذي يخرج من الملة فاما مالا يخرج عن الملة كالشرك الأصغر ، كسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل ماشاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وما أشبه ذلك ، والكفر كقوله ﷺ « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » وقوله ﷺ « من حلف بغير الله فقد أشرك » وفي لفظ « فقد كفر » وغير ذلك مما جاء في الحديث بلفظ الكفر مما لا ينقل عن الملة من الكفر الأصغر .

(وأما ما ذكره) في الخوارج فانما هو لأجل ما قام بهم من التسمية المائعة من تكفيرهم والشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يكفر الخوارج كما أن أكثر أهل العلم لا يكفرونهم وقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الخوارج أ كفارهم ؟ فقال من الكفر فروا ، فقالوا منافقون ؟ فقال المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا أو كلاما نحو هذا ، فقول العراقي : ومع كفرهم لم يكفرهم الصحابة ولا التابعون ، جهل عريض وتناقض بين ، وعدم معرفة بمقادير الصحابة وأهل العلم فانهم لو كانوا عند الصحابة كفاراً كفرا يخرج من الملة لكفرهم الصحابة والتابعون فلما قام المانع من تكفيرهم أمسكوا عنه وهم أعلم الأمة وأعرفهم بالله وبدينه وأخشاهم له فهذا الكلام ونحوه .
إنما هو في أهل الأهواء والبدع كالخوارج وأشباههم من أهل البدع التي لم يخرجهم بدعتهم من الإسلام .

وأما مسألة عبادة القبور ودعاتها مع الله فهي مسألة وفافية التحريم ، احماعية المنع والتأثيم ، فلم يدخل عباد القبور في كلام الشيخين لظهور برهاها ووصوح أدلتها وعدم اعتبار التسمة فيها هذا وجه الاخراج والاستدراج ومراد هذا الملحد أن عباد القبور لا يكفرون لأن الصحابة والتابعين لم يكفروا الخوارج فبعداً للقوم الظالمين .

وأما ما ذكره من قتال أهل الردة فليس الأمر كما زعم من التفرق وإن كان قد قال به بعض العلماء فالحق والصواب ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم فانهم لم يفرقوا بين من ارتد وصدوق مسيلة الكذاب والأسود العنسي وطليحة الاسدي وسجاح وبين من منع الزكاة ، بل قاتلوهم كلهم واستحلوا دماءهم وأموالهم وسبيهم وسموهم كلهم أهل الردة ولم يقولوا المانع الزكاة أنت مقر بوجودها أو جاحد لها ؟ هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة بل قال الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقانلتهم على منعه فجعل الميبح للقتال محرد المنع لا جحد الوجوب وقد روى أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن يخلوا بها ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعاً سيرة واحدة وهي قتل مقاتلتهم وسبي دراريهم وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة وكان من أعظم فضائل الصديق رضي الله عنه أن ثبتته الله عند فلاحهم ولم يتوقف كما توقف غيره فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإذا علمت ذلك فمن المحال أن يكون الحق والصواب مع من قال بخلاف ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم أفضل الأمة وأن يكون الحق والصواب مع من بعدهم ممن لا يساويهم ولا يقاربهم في العلم والفضل والمعرفة وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين نحواً من خمسة وأربعين وجهاً تدل على أن ما قاله الصحابة رضي الله عنهم هو الحق والصواب الذي لا شك فيه .

فصل

ثم ذكر العراقي فرق أهل الضلال من أهل الاهواء والبدع الدين فارقوا الجماعة كالقدرية والمعتزلة والمرجئة والجهمية والرافضة ولم يذكر من فرق أهل الاهواء إلا هؤلاء ، ثم قال ومذهب السلف الذي تستر به الوهاية هو عدم القول بتكفير طوائف المارقين الذين ذكرناهم ، والعجب كل العجب أن هذا العراقي يقر أن هؤلاء الطوائف هم المارقون المفارقون للجماعة وهو يقول بأقوالهم في نفي الصفات .

(والجواب) أن نقول : هذا كذب على السلف رسول الله عليهم فأنهم كفروا بغلاة الرافضة كالدين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكذلك كفروا بغلاة القدرية وغلاة المرجئة والمعتزلة وغلاة الجهمية ، وقد حكى شيخ الاسلام تكفير من قام به الكفر من أهل الاهواء ، قال واصطرب الناس في ذلك فمنهم من يحكى عن مالك فيه قولين ، وعن الشافعي كذلك ، وعن احمد روايتين ، وأبو الحسن الاشعري وأصحابه لهم فيه قولان ، قال وحقيقة الامر أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير قائله ، ويقال لمن قال هذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قال لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، انتهى . وحيث كان الحال هكذا في الخوارج قد اختلف الناس في تكفيرهم والغلاة في علي لم يختلف أحد في تكفيرهم وكذلك من سجد لعير الله أو ذبح لغير الله أو دعاه مع الله رغباً أو رهباً كل هؤلاء اتفق السلف والخلف على كفرهم كما ذكره أهل المذاهب الاربعة ولا يمكن أحد أن ينقل عنهم قولاً ثانياً ، وهذا تعلم أن النزاع وكلام شيخ الاسلام ابن تيمية وأمثاله في غير عباد القبور والمشركين فرضه وموضوعه في أهل البدع المخالفين للسنة والجماعة ، وهذا يعرف من كلام الشيخ فاذا عرفت ان كلام الشيخ ابن تيمية في أهل الاهواء كالقدرية والخوارج والمرجئة ونحوهم ما خلا غلاتهم تبين لك أن عباد القبور والجهمية خارجون من هذه الاصناف ، وأما كلامه في عدم

تكفير المعين فالمقصود به في مسائل مخصوصة قد يحكى دليلها على بعض الناس كما في مسائل القدر والأرحاء . ونحو ذلك مما قاله أهل الأهواء فان بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية من رد أدله الكتاب والسنة المنواترة فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفراً ولا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مابع كالحمل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته ، فان الشرائع لا يلزم إلا بعد بلوغها ولذلك ذكر هذا في الكلام على مدع أهل الأهواء وفد ص على هذا فعال في تكفير أناس من أعيان المتكلمين بعد أن قرر هذه المسألة ، قال : وهذا إذا كان في المسائل الخفية فقد يقال بعدم التكفير ، وأما ما يبع منهم في المسائل الطاهرة الحلية أو ما يعلم من الدين بالضرورة فهذا لا يتوقف في تكفير قائله ، وهذا بعلم غلط هذا العراقي وكذبه على شيع الاسلام ، وعلى الصحابة والتابعين في عدم تكفير غلاة القدريّة وغلاة المعتزلة وغلاة المرجئة وغلاة الجهمية والرافضة ، فان المصادر من هؤلاء كان في مسائل ظاهرة جليلة ، وفيما بعلم بالضرورة من الدين ، وأما من دخل عليه من أهل السنة بعض أقوال هؤلاء وخاض فيما خاصوا فيه من المسائل التي قد يحكى دليلها على بعض الناس أو من كان من أهل الأهواء من غير غلاتهم بل من فلدتهم وحسن الظن بأقوالهم من غير نظر ولا بحث ف هؤلاء هم الذين توقف السلف والأئمة في تكفيرهم لاحتمال وجود مابع بالحمل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته قبل قيام الحجة عليهم ، وأما إذا قامت الحجة عليهم ، فهذا لا يتوقف في كفر قائله .

(وأما قوله) قال شيع الاسلام تقي الدين بن تيمية لم يكفر الامام احمد الخوارج ولا المرجئة ولا أعيان الجهمية بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا الناس إلى قولهم وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات السديدة .

فالجواب أن يقال قد تقدم عدم تكفير الخوارج والمرجئة غير الغالية منهم وأما الجهمية فيقال لو سلم هذا فجوابه من أوضح الواضحات عند أهل العلم والاثروذلك أن الامام احمد وأمثاله من أهل العلم والحديث لا يختلفون في تكفير

الجهمية وأنهم ضلال زائدة ، وقد ذكر من صنف في السنة تكفيرهم عن عامة
أهل العلم والآثر وعد اللالكائي الإمام رحمه الله تعالى منهم عدداً يتعذر ذكرهم
في هذا الجواب ، وكذلك ابن الإمام أحمد في كتاب السنة والخلال في كتاب
السنة وابن أبي مليكة في كتاب السنة وإمام الأئمة ابن خزيمة فرر كفرهم ونقله
عن أساطين الأئمة . وقد حكى كفرهم شمس الدين بن القيم في كافيته عن حماسة
من أئمة المسلمين وعلمائهم والصلاة خلفهم لا تنافي القول بتكفيرهم لكن تحب
الاعادة حيث لا تمكن الصلاة خلف غيرهم ، والرواية المشهورة عن الإمام
أحمد هي المنع من الصلاة خلفهم ، وقد يفرق بين من قامت عليه الحجة التي
بكفر تاركها وبين من لا شعور له بذلك وهذا القول يميل إليه شيوخ الإسلام
في المسائل التي قد يخفى دليلها على بعض الناس ، كما تقدم ذكره . وعلى هذا
القول فالجهمية في هذه الازمنة قد بلغت الحجة وظهر الدليل وعرفوا ما عليه
أهل السنة واشتهرت الاحاديث النبوية وظهرت ظهوراً ليس بعده إلا المكاره
والعناد ، وهذا حقيقة الكفر والاحاد ، كيف لا وقولهم يقتضي من تعطيل
الذات والصفات والكفر بما اتفقت عليه الرسالة والنبوات وشهدت به الفطر
السلبيات ما لا يبقى معه من حقيقة الربوبية والالهية ولا وجود للذات المقدسة
المتصفة بجميل الصفات ، وهم إنما يعبدون عدما لا حقيقة لوجوده ويعتمدون
من الخيالات والشبه ما يعلم فساده بضرورة العقل وبالضرورة من دين الإسلام
عند من عرفه وعرف ما جاءت به الرسل من الاثبات . ولبشر المريسي وأمثاله
من الشبه والكلام في بني الصفات ما هو من جنس هذا المذكور عند الجهمية
المتأخرين بل كلامه أخف إلحاداً من بعض هؤلاء الضلال ، ومع ذلك فأهل
العلم متفقون على تكفيره وعلى أن الصلاة لا تصح خلف كافر جهمي أو غيره
وقد صرح الإمام أحمد فيما نقل عنه ابنه عبد الله وغيره أنه كان يعيد صلاة الجمعة
وغيرها وقد يفعله المؤمن مع غيرهم من المرتدين اذا كانت لهم شوكة ودولة
والنصوص في ذلك معروفة مشهورة من طلبها وجدها ، انتهى . وقد تقدم
كلام أبي حنيفة وتصريحه بكفر من قال لا أدري العرش في السماء أم في الارض

قال لأنه أسكر أنه في السماء لأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلا لا من أسفل ، وقال الامام الشافعي رحمه الله : لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها ومن خالف بعد تبوت الحجة عليه كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل وتثبت هذه الصفات ونبي عنه التشبيه كما نبى عن نفسه فقال : (ليس كمنله شيء وهو السميع البصير) انتهى .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله بعد كلام سبني : والبدعة التي يُعد بها الرجل من أهل الاهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة ، فان عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرهما ، قالوا أصول الاليتين وسبعين فرقة هي أربع : الخوارج والروافض والمرجئة والقدرية ، قيل لابن المبارك فالجهمية ، قال ليست من أمة محمد ﷺ والجهمية نفاسة الصفات الدين يقولون القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة ، وان محمداً لم يعرج به الى الله ، وان الله لا علم له ولا قدرة ولا حياة ونحو ذلك كما يقوله المعتزلة والمتفلسفة ومن اتبعهم . وقد قال عبد الرحمن بن مهدي هما صنفان فأحدهما الجهميه والرافضة فهذان الصنفان شرار أهل البدع ومنهم دخلت القرامطة الباطنية كالتصيرية والاسماعيلية ومنهم اتصلت الاتحادية فانهم من جنس الطائفة الفرعية والرافضة في هذه الازمان مع الرافض جهمية قدرية فانهم ضموا الى الرافض مذهب المعتزلة ثم يخرجون الى مذهب الاسماعيلية ونحوهم من أهل الزندقة والاتحاد ، انتهى كلامه رحمه الله . وهذا العراقي الملحد ضم الى معتقده في عبادة القبور مذهب الجهمية والمعتزلة ، وقول الرافضة في الرؤية والقدرية .

(وأما قوله) عن شيخ الاسلام وقال أيضاً ما محصله ان من البدع المنكرة تكفير طائفة من المسلمين واستحلال دماءهم وأموالهم اذ لعل تلك الطائفة ليس فيها من البدعة ما في الطائفة المنكرة لها ولو فرض أن تلك الطائفة قد ابتدعت لم يحز للطائفة التي على السنة أن تكفرها لما عسى أن تكون بدعتها ناشئة عن خطأ الى آخره .

(فالجواب) أن نقول لبس هذا بما نحن فيه في شيء ، فإن من أهل البدع من لم تخرجه بدعته من الاسلام وليس الكلام في هؤلاء وفرض كلام الشيخ فيمن لم تكن بدعته تخرجه من الاسلام وانما الكلام في غلاة هؤلاء الطوائف وبهذا يعلم كل من له أدنى مسكة من عقل وأقل معرفة من علم أن عباد القبور والجهمية لا يدخلون في أهل البدع والاهواء الذين تقدم كلام الشيخ فيهم ، والشيخ محمد رحمه الله لا يكفر أحداً من هذا الجنس ولا من هؤلاء النوع وانما يكفر من طلق بتكفيره الكتاب العزيز وجاءت به السنة الصحيحة واجتمعت على تكفيره الامة كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الملائكة والانبيا والصالحين ويدعونهم مع الله فان الله كفرهم وأباح دماءهم وأموالهم كما دل عليه الكتاب العزيز والسنة المستفيضة .

فصل

اذا تبين لك هذا فمن عجيب أمر هذا العراقي وشدة غباوته ، وأنه انما دعى من عجمته ، وعدم معرفته وتلقى العلوم الشرعية من مظانها تناقضه كما قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) . فمن ذلك أنه ذكر فيما تقدم في غير موضع أن الوهاية قد خبطت كل الخطب في تنزيهه تعالى حيث أثبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه ، وأثبتت له الوجه واليدين ، وبعضته سبحانه فجعلته ماسكاً بالسموات على أصبع والارض على أصبع ، والشجر على أصبع ، والملك على أصبع ، ثم أثبتت له تعالى الجهة فقالت : هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالاصابع الى فوق اشارة حسية ، وينزل الى السماء ويصعد ، ثم نفي الرؤية في مواضع آخر وأولها بنوع من الانكشاف والتجلي من غير حاجة للبصرة ، ولا محاذاة لها . وفي موضع آخر قال : فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات أن الله تعالى على عرشه وعلاه علواً حقيقياً ، وأن له تعالى وجهاً ويدين ، وأنه ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولاً وصعوداً حقيقين ، وأنه يشار اليه في السماء بالاصبع ،

ثم نكس على رأسه ، فقال : لما أتى على فرق أهل الاهواء قال :

ثم فارقت الجهمية الجماعة فقالوا : ليس على العرش إله يعبد ، ولا لله في الأرض من كلام ، وأنكروا صفات الله التي أثبتتها لنفسه في كتابه المبين ، وأثبتوا رسوله الصادق الأمين ، وأجمع على القول بها الصحابة ، وكذلك أنكروا رؤية الله تعالى في الدار الآخرة إلى غير ذلك من أقوالهم ومعتقداتهم الكفرية .

هذا لفظه بحروفه فنقض ما تقدم من قوله في الوهاية بما قاله هاهنا من أن الجهمية فارقوا الجماعة ، وقالوا : انه ليس على العرش إله يعبد ، وأنهم أنكروا الصفات التي أثبتتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله ، وأجمع على القول بها الصحابة ، وكذلك قال في رؤية الله تعالى وصرح أن هذا وغيره من معتقداتهم الكفرية ، وكذلك قال في سائر الفرق أنهم فارقوا الجماعة ، وأن أهل السنة لم يكفروهم بهذه الكفریات وهكذا يكون كلام من اتبع هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله وإلا فكيف يعتقد أن الله ينزه عن اثبات صفات كماله ونعوت جلاله ، ثم يحكم على أن القائل بها مفارق للجماعة مخالف لما أجمع عليه الصحابة ، وأن اعتقاد هذا من العقائد الكفرية ثم يقول ، ومع تماديهم في ضلالهم واستمرارهم على عنادهم ، بعد أن بين أهل الحق لهم خطأ مذهبهم لم يكفروهم ، بل جعلوا الاخوة الايمانية ثابتة لهم ولمن قبلهم من أهل البدع ، هذا قوله في المرجئة والمعتزلة والقدرية ، وأما الجهمية فقال ومع ذلك فقد رد عليهم الأئمة وبينوا ضلالهم حتى أنهم قتلوا بعض دعاةهم كجهم بن صفوان والجعد بن درهم ، وبعد أن قتلوهم غسلوهم وصلوا عليهم ودفنوه في مقابر المسلمين ، ولم يحرقوا عليهم أحكام أهل الردة ، وقال في الرافضة ومع ذلك فلم يكفرهم أحد من العلماء ولا منعوهم عن التوارث ولا التناكح وأجروا عليهم أحكام المسلمين ، ويكفي مجرد حكاية ضلاله عن التكلف في رده ، اذ من المعلوم بالضرورة أن هذا الكلام بكلام المجاذيب الذين ينطقون بما لا يعقلون أشبه به من نسبته إلى أحد من أهل العلم والله المستعان .

(ثم ذكر) اعتقاد الاجماع على أن من أقر بما جاء به الرسول وإن كانت فيه خصلة من الكفر أو الشرك لا يكفر حتى تقام عليه الحجة إلى آخر ما ذكره بما قد بيناه فيما تقدم جوابه وكلام العلماء فيه .

(ثم قال) : في آخر فقد تبين ما للوهابية في تكفيرها المسلمين من البدعة والمخالفة لما جاء كتاب الله وسنة رسوله ولأقوال أئمة الدين والعلماء المجتهدين .

والجواب : أن يقال قد بينا فيما تقدم أن الوهابية لا يكفرون المسلمين ولا يكفرون أيضاً أهل الاهواء مطلقاً إلا بعد بلوغ الحجة على من قام به مكفر من المكفرات وماقضى من النواقض ، ولم يكفر إلا من نطق كتاب الله وسنة رسوله بتكفيره وخالف أئمة الدين والعلماء المجتهدين وأجمعت الامة على تكفيره كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الملائكة والانبياء والصالحين ويدعونهم مع الله فإن الله كفرهم وأباح دماءهم وأموالهم فلا يهولنك سفسطة هذا العراقي وتمويهه بهذه العبارة ، فإنه أول من خالفها كيف وقد قال فيما مضى من كلامه ان أدلة نصوص الكتاب والسنة ظواهرظنية لا تعارض اليقينية يعنى باليقينيات معقولات الفلاسفة واليونان واباط فارس وفروخ الجهمية وورثة المجوس والصابئين من المتكلمين الخارجين عن سبيل المؤمنين .

فصل

قال العراقي : الوهابية ونفياها التوسل : ذكرنا فيما سبق تكفير الوهابية لمن خالف بدعتها من جميع المسلمين ونسبتها اباهم الى الشرك الاكبر ، وقد آن لنا أن نذكرها هنا ما اتخذته ذريعة لتكفيرهم من الأمور فمنها الاستغاثة بالانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله تعالى وزيارتهم قبورهم فهي قد نفت ذلك وحرمة وشددت النكير على المستغيثين والمتوسلين والزائرين فكفرتهم وعدتهم مشركين كعباد الاوثان بل جعلتهم أسوأ حالا منهم حيث قالت إن

المشركين السابقين كانوا مشركين في الألوهية فقط ، وأما مشركوا المسلمين
نعمي بهم من خالفها منهم فقد أشركوا في الألوهية والربوبية ، وقالت أيضاً ان
الكفار في زمن رسول الله ﷺ لا يشركون دائماً بل نارة يشركون وتارة
يوجدون الله ويتركون دعاء الانبياء والصالحين ، وذلك أنهم اذا كانوا في السراء
دعوه واعتقدوا بهم واذا أصابهم الضر والشدائد تركوهم وأخلصوا لله الدين
وعرفوا أن الانبياء والصالحين لا يملكون ضراً ولا نفعاً .

والجواب على سبيل القرض - وسيأتي الجواب على ما يجيب به عما قالت
الوهابية - أن يقول : أما الاستغاثة بالانبياء والاولياء فهي من الشرك الأكبر
لأن الاستغاثة طلب الغوث ، ومن طلب من ميت أو عائب ما لا يقدر عليه
الا الله كان مشركاً لأن الاستغاثة من أنواع العبادة فصرفها لغيره شرك ، قال
شيخ الاسلام ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب كما ذكره
السائل ويستغيث به عند المصائب يا سيدي فلان كأنه يطلب منه ازالة ضره
أو جلب نفعه وهذا حال النصارى في المسيح وأمه واحبارهم ورهبانهم ،
ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله بينا محمد ﷺ ، وأعلم الناس بقدره
وحقه أصحابه ولم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك في مغيبه ولا بعد مماته الى آخر
كلامه رحمه الله تعالى ، وأما التوسل بهم الى الله كأن يسأل الله تعالى بحاهم
أو بجرمتهم ، فهذا ليس بشرك بل هو من البدع المحرمة والذرائع المفضية الى
ما هو أكبر من ذلك ، وأما زيارة قبورهم على الوجه الشرعي فلا مانع منه
ونسبته الى الوهابية كذب عليهم ، وأما مع تند الرحل فبدعة محرمة ، فان
تضمنت زيارتهم دعاءهم والاستغاثة بهم والالتجاء اليهم فهو الشرك الأكبر
المخرج عن الملة ، وأدلة ذلك الآيات التي ذكرها فيما يأتي :

وأما كون مشركي أهل هذه الازمان أسوأ حالا من مشركي الجاهلية فنعم
لأن الكفار الاولين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية فيقررون أن الله هو الخالق
الرازق المحي المميت المدبر النافع الضار الى غير ذلك مما ذكره الله عنهم ولم
يدخلهم ذلك في الاسلام ، وانما كان شركهم في الألوهية ، فان الاله هو الذي

تأله القلوب محبة واجلالاً وتعطياً ، ومن أنواع ذلك الدعاء والخوف والرجاء
والحب والتعظيم والاستغاثة والاستعانة والدع والذر والتوكل والاتجاه
والرغبة والرغبة والخضوع والخشوع والامانة الى غير ذلك من أنواع العبادة
وهذه حال عباد القبور في هذه الارمان .

وأما كون الكفار في زمن رسول الله ﷺ لا يشركون دائماً بل تارة
يشركون وتارة يوحدون ويتركون دعاء الانبياء والصالحين وذلك أنهم اذا
كانوا في السراء دعوهم واعتقدوا بهم واذا أصابهم الضر والتدائد تركوهم
وأخلصوا لله الدين وعرفوا أن الانبياء والصالحين لا يملكون ضراً ولا نفعاً .
فهذا لبس هو قول الوهاية بل هو نص كتاب الله تعالى ، قال تعالى : (فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون .
ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الآيات ،
وأما مشركوا أهل هذه الأزمان فاه لا يشهد شركهم إلا اذا وقعت بهم الشدائد
فاهم ينسبون الله ولا يدعون إلا معبودهم ، فشركهم دائم في الرخاء والشدّة ،
وهذا أمر معلوم مشاهد لا ينكره الا مكابر في الحسيات مباحث في الضروريات .

(قال العرقى) حملت الوهاية جميع الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين
على الموحدين من أمة محمد ﷺ وتمسكت بها في تكفيرهم منها قوله تعالى :
(فلا تدعوا مع الله أحدا) ، وقوله تعالى : (ومن أصل بمن يدعو من دون الله
من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس
كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) . وقوله تعالى : (ولا تدع من دون
الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين) ، وقوله تعالى
(والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوا
دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبؤا
مثل خبير) ، وقوله : (ولا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذنين)
وقوله تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ
إلا كاسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين

(إلا في ضلال) ، وقوله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) إلى غير ذلك من الآيات النازلة في المشركين ، فزعم ابن عبد الوهاب أن كل من استغاث بالنبي ﷺ ، وتوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداهم أو سأله الشفاعة أو زار قبره يكون في عداد هؤلاء المشركين داخلا في عموم هذه الآيات وشبهته في ذلك أن هذه الآيات وإن كانت نازلة في المشركين إلا أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ، انتهى .

فكل ما ذكره عن الوهائية حق وبه نقول إلا ما كان من لفظ التوسل أو زيارة القبور فقد تقدم في الفصل الأول الجواب عن ذلك وأما لا يكفر بهما . ثم انظر ماذا يحجب به من المحركة الساذجة المارجة الساذجة .

قال والجواب أما لا نسكر أن العبرة هي لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ، ولكن نقول إن هذه الآيات لا تشمل من زعمت الوهائية أنها شاملة لهم لما أنه ليس من أحوال الكفار الذين نزلت هذه الآيات فيهم شيء عند المتوسلين والمستغثين ، فإن الدعاء يأتي لمعان شيء كما سنذكره قريباً وهو في هذه الآيات كلها بمعنى العبادة ، والمسلمون لا يعبدون إلا الله تعالى وليس فيهم من اتخذ الأنبياء والأولياء آلهة وجعلهم شركاء لله تعالى حتى تعمهم هذه الآيات ، ولا اعتقدوا أنهم يستحقون العبادة ، ولا أنهم يخلقون شيئاً ، ولا أنهم يملكون ضراً ولا نفعاً . بل إنما اعتقدوا أنهم عبيد الله مخلوقون له ، ما فصدوا بزيارة قبورهم والتوسل بهم إلى الله تعالى إلا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم فببركتهم يرحم عباده .

قالت الوهائية : إن اعتذاركم هو عين اعتذار المشركين عن عبادة الأصنام فقد قال تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الأصنام (ما عبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فالمشركون ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئاً ، بل اعتقدوا أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن

(الله) وقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)
فإنما حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقولهم (ليقربونا إلى الله زلفى) قالت :
وهكذا المتوسلون بالأنبياء والصالحين يقولون ما هو بمعنى قول المشركين
ليقربونا إلى الله زلفى .

قال العراقي : والجواب من وجوه : الاول أن المشركين جعلوا الاصنام
آلهة والمسلمون ما اعتقدوا إلا إلهاً واحداً فعندهم أن الأنبياء أضياء والاولياء
أولياء ليس إلا فلم يتخذوهم آلهة مثل المشركين .

(والجواب عن أجوبة هذا الملحد) أن بقول ما ذكره العراقي ليس هو
حاصل ما تحيب به الوهابية من أشرك بالله غيره واتخذ معه آلهة من دونه ، فإن
عندهم من الأدلة والاجوبة ما لم تحط به علماء ، ولا تقدر على نقضه وإبطاله ،
كما قال تعالى (ولا يأتوك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) فاهم هم
أتباع رسول الله على الحقيقة لا على الدعوى والانتساب ، ولكننا في هذا
المقام إنما نجيب على أجوبته بما يبين بطلانها ، ويهدم أركانها ، ويهدم بيلانها ،
وإن كان ما أجهلهم به أو هن من خيط العنكبوت فنقول : قد كان من المعلوم
عند من له معرفة بالعلوم الشرعية أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ
منهم من يعبد الاصنام المصورة على صور الصالحين وذو سواع ويغوث
وعوق ونسر ، ومنهم من يعبد الملائكة والأنبياء والصالحين ويجعلونهم وسائط
بينهم وبين الله ، ويقولون نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم ، ومنهم من
يعتقد في الأشجار والأحجار يرجون بركتها وغير ذلك ومع ذلك كانوا يعلمون
أن الأنبياء أضياء ، وأن الأولياء أولياء ، وأن الأشجار كالعري شجرة ، وأن مناة
أكمة يذبحون لألهتهم عندها يرجون بركتها ، وكذلك اللات يعلمون أنها صخرة
كان يلت عليها السوق للحاج فبعث محمد ﷺ يحدد لهم دين أبيهم إبراهيم ويخبرهم
أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لا للملك مقرب ، ولا
نبي مرسل فضلاً عن غيرهما ، وهؤلاء المشركون لم يعتقدوا في آلهتهم التي يدعونها

من دون الله من الأصنام ، والملائكة ، والانبيااء والاولياء والصالحين ، انهم يستحقون العبادة ولا أهم يخلقون شيئاً ، ولا انهم يملكون ضرراً ولا نفعاً ، ويعلمون أن الله هو الخالق الرازق ، المحي المميت ، المدبر لجميع الأمور ، ولكن لم يدخلهم ذلك في التوحيد الذي دعاهم اليه رسول الله ﷺ من اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وأن يكون الدين كله لله ، والنذر كله لله ، والذبح كله لله والاستغاثة كلها بالله ، والالتجاء اليه وحده ، والتوكل عليه ، والخوف والرجاء منه ، والدعاء كله لله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله . فاذا عرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وأن قصدهم الملائكة والانبيااء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بهم ، ويتبركون بهم لكونهم أحياء الله المقربين الذين اصطفاهم الله واجتباهم ، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم . عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت اليه الرسل ، وأنى عن الاقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ؛ فان الإله هو الذي تأله القلوب ، ويقصد لأجل هذه الامور سواء ، كان ملكاً ، أو نبياً ، أو ولياً ، أو شجرة ، أو قرأ ، أو جنياً . لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر ، فمن صرف من هذه العبادة المتقدم ذكرها شيئاً لغير الله فقد اتخذها إلهاً لأنه صرف خالص حق الله لغيره ، وأشركه معه في عبادته ، ومن أشرك بالله أحداً في عبادته كان مشركاً سواء كان المدعو المستغاث به ملكاً أو نبياً ، أو ولياً ، أو صمياً ، فقول هذا العراقي إن المشركين جعلوا الاصنام آلهة والمسلمون ما اعتقدوا إلا إلهاً واحداً ، جهل عظيم وغباوة مفرطة ، فان المشركين عبدوا الملائكة ، وعيسى ، واللات ، وهو قبر رجل صالح مع الاصنام المصورة وصرفوا لهم خالص حق الله كما تقدم ذكره . وأيضاً فان رسول الله ﷺ لما قال لهم «قولوا لا إله إلا الله» قالوا : — اجعل الآلهة إله واحد ان هذا شيء عجاب — فالكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه ، وأن يكون الدين كله لله ، فاذا صرف المشركون لمن يعتقدون فيه شيئاً من هذه العبادة كانوا بذلك مشركين ، فكذلك

من يزعم انه مسلم ويتلفظ بالشهادتين ويقر بسائر الأركان إذا صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله كان مشركاً ، ولا ينفعه اعتقاده أن الله إله واحد وهو يعبد معه غيره ، ولا تنفعه معرفته أن الأنبياء أنبياء ، والأولياء أولياء وهو يشركهم في عبادة الله .

فصل

قال العراقي : الثاني أن المشركين اعتقدوا أن تلك الآلهة تستحق العبادة بخلاف المسلمين فافهم لم يعتقدوا أن أحداً من المتوسلين بهم مستحق لأقل عبادة وليس عندهم المستحق للعبادة إلا الله وحده .

والجواب أن يقول : هذه العبادة التي صرفها المشركون الأولون لألهتهم هي ما يفعله المشركون من عباد القبور في هذه الأزمان سواء سواء وان زعموا أن هذا توسل ، فالعبرة بالحقائق لا بالاسماء ، فإن المشركين الأولين ما زعموا أن آلهتهم التي عبدوها من دون الله من الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والأرض ، أو استقلوا شيء من التدبير والتأثير والإيجاد ولو في خلق ذرة من الذرات ، ولا أنهم مستحقون للعبادة ، وإنما كانوا يدعونهم ويلتجئون اليهم ، ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم إلى الله زلفى .

ويقال لهذا الملحد أيضاً لا يخلو معتقد هذه الأفعال عن أحد ثلاثة أمور ، اما ان يعتقد أنهم مستحقون للعبادة من دون الله أو مع الله ، واما أن لا يعتقد ذلك لكن ليقربوهم إلى الله زلفى ، واما أن لا تكون هذه الأفعال عبادة ، فإن كان أراد أن هذه ليست بعبادة فقد كابر العقل والشرع وباهت في الضروريات وان كان أراد بها ليقربوهم إلى الله زلفى مع اعتقادهم أن الله هو النافع الضار المدبر لجميع الأمور ، وأنه لا خالق إلا الله فهذا هو شرك الجاهلة ، وان أراد

أهم مستحقون للعبادة من دون الله أو مع الله كان هذا أعظم من شرك الجاهلية فان هذا شرك في الربوبية والالوهية معاً .

فاذا عرفت ان هذا الشرك الذى يسميه هؤلاء توسلاً وتشفعاً بجاه البى أو بحقه وغير ذلك من الالفاظ ، أو بجاه غير النبي كالملائكة والأولياء والصالحين وهو ان يعتقد أحدهم في غير الله انه بذاته يقدر على جلب منفعة لمن دعاه أو استغاث به ، أو دفع مضرة ، أو أن يحصل ببركته وتشفاعته كان هذا هو العبادة التى لا يستحقها الا الله فان العبادة التى لا يستحقها إلا الله مع الإقرار بتوحيد الربوبية هى أفعال العبد الصادرة منه كالدعاء ، والحب . والخوف ، والرجاء ، والخضوع ، والخشوع ، والابادة والتوكل والمحبة والتعظيم ، والاستغاثة والدعاء والالتجاء ، والاستعانة ، والاستعاذة ، والذبح والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادة التى اختص بها دون من سواه وهو المستحق لها دون من عداه ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله كان مشركاً سواء اعتقد التأثير فيما يدعوه ويستغيث به ، أو أنه مستحق لذلك أو غير مستحق ، أو لم يعتقد ذلك وان فر من تسمية فعله تركاً وتأله وعبادة ، فانه من المعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير اسمائها فلا تزول هذه المفاصد بتغير أسمائها كتسمية عبادة غير الله توسلاً وتشفعاً ، أو تبركاً وتعظيماً للصالحين وتوقيراً ، فان الاعتبار بحقائق الأمور لا بالأسماء والاصطلاحات ، والحكم يدور مع الحقيقة وجوداً وعدماً لا مع الأسماء . فقولُه عن مشركى هذا الزمان أنهم لا يعتقدون أن أحداً منهم بتوسله يزعم أنهم مستحقون لأقل عبادة تمويه وسفسطة من هذا العراقى لأن المستحق للعبادة هو الذى تأله القلوب محبة واجلالاً وتعظيماً فمن تأله غير الله فقد اعتقد أنه مستحق للعبادة بتأله اياه بأنواع هذه العبادة شاء أم أبى ، ولا ينفعه اقراره أن المستحق للعبادة هو الله وحده وهو يشرك به غيره .

(وأما قوله) الثالث أن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم (ما عبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والمسلمون ما عبدوا الا بياء والصالحين فى توسلهم إلى الله تعالى .

(فالجواب) أن يقال : إن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل الصادر منهم كاللحاء والحب والخوف والتعظيم والرحاء والاستغاثة والاستعاذة والذبح لهم والنذر والالتجاء إليهم فصرفوا لهم هذه العبادة ليسفحوا لهم عند الله وليقربوهم إلى الله زلفى وهكذا حال مشركى هذه الأزمان إنما عبدوهم بالفعل والاعتقاد فيهم وتوسلوا بهم وقصدوهم لأجل التبرك بهم والاستشفاع بجاههم لا لأجل أنهم مستحقون للعبادة ولا أنهم مسنقلون بالخلق والايحاد والنفع والضرر وأيضاً فإن محرد ارتكاب فعل أو قول أو اعتقاد لغير الله مما يعد من العبادة من الدعاء والذبح وما تقدم ذكره موقع فى الاشتراك سواء وجد معه اعتقاد ألوهية غير الله أم لا .

(وأما قوله) الرابع أن المشركين قصدوا بعبادة أصنامهم التقرب إلى الله تعالى كما حكى الله وأما المسلمون فلم يقصدوا بتوسلهم بالانبياء وغيرهم التقرب إلى الله تعالى لما أن التقرب إليه لا يكون إلا بالعبادة ولذلك قال الله حكاية عن المشركين (ما عبدتم إلا ليقربوا إلى الله زلفى) بل المسلمون قصدوا التبرك والاستشفاع بهم والتبرك بالشئ غير التقرب به كما لا يخفى .

(فالجواب) أن نقول : وهكذا حال مشركى العرب مع أوثانهم إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستغاثة بها والاعتماد عليها فى حصول ما يرجونه منها ويؤمنونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك فالتبرك بالصالحين أو بقبورهم كالتبرك باللات وبالأشجار والاحجار كالعزى ومناة من جملة فعل أولئك المشركين مع تلك الاوثان فمن فعل مثل ذلك واعتقد فى قبر أو صاحبه أو حجر أو شجر فقد ضاها عبادة هذه الاوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك على أن الواقع من هؤلاء المشركين فى هذه الأزمان مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك فمن دعا غير الله واستعاث به ولجأ إليه وصرف له شيئاً من خالص حق الله كان هذا الفعل منه بهذا القصد شركاً بدليل ما رواه الترمذى وصححه عن أبى واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون

بها أسلحتهم يقال لها ذات أبواب فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أبواب كما لهم ذات أبواب فقال رسول الله ﷺ (الله أكبر إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اجعل لنا الهأ كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون) لتبعن سنن من كان قبلكم ، فقوله وينوطون بها أسلحتهم أى يعقلونها للبركة فى هذا بيان ان عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك وهذه الأمور الثلاثة عدت الاسحار ونحوها فطنوا أن هذا الامر محبوب عند الله فقصدوا التقرب به فأقسم ﷺ ان طلبتهم كطلبة بنى اسرائيل بجماع ان كلا طلبه ان يجعل له ما يأله ويعبد من دون الله وان اختلف اللفظان فالمعنى واحد فتغير الاسم لا يغير الحقيقة فى هذا الحدث دلالة واضحة على أن طلبتهم من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أبواب يتبركون بها كطلبة بنى اسرائيل من موسى أن يجعل لهم الهأ فأقسم ﷺ ان مقالة هؤلاء كمقالة أولئك سواء بسواء واذا كان القصد من الشرك بالنسبة كالترك مثلا هو القصد من التأله به كان الكل عبادة يتقرب بها الى الله فالفرق بين العبادتين لاختلاف اللفظين تحكم بغير دليل فقد اتضح عدم الفرق فى هذه القضية فانجلت الشبهة العراقية .

(وأما قوله) الخامس أن المستركين لما كانوا يقصدون أن الله تعالى جسم فى السماء أرادوا بقولهم ليقربونا الى الله زلنى التقرب الحقيقى ويدل عليه تأكيدهم زلنى اذ تأكيد السىء مما ظاهره معناه يدل فى الاكثر على أن المقصود به هو المعنى الحقيقى دون المجازى فاذا قلنا قتله قتلا تبادر القتل الحقيقى الى الفهم لا الضرب الشديد بخلاف ما لو قلنا قتله فقط فانه قد يراد به الضرب الشديد ، وأما المسلمون فحيث لم يقصدوا أن الله تعالى جسم فى السماء بعد منهم أن يطلوا التقرب الحقيقى اليه بالتوسل فلا ينطبق عليهم حكم الآية .

بعم ان الوهاية لما اعتقدت أن الله تعالى جسم استوى على عرشه فى السماء لم تحد للتبرك الذى قصده المسلمون بتوسلهم معنى غير التقرب الذى يكون الى الاجسام ولذلك جعلت هذه الآية منطبقة عليهم .

(فالجواب) أن يقال : قد كان من المعلوم أن مشركى الجاهلية لا يعرفون من لفظ الجسم ما أحدثه هؤلاء المتأخرون من أنه مركب اما من المادة والصورة أو من الجواهر المنفردة أو ما تركب من أجزاء متفرقة ولا كانوا يعرفون ما أحدثه هؤلاء من لفظ الاعراض والاغراض والابغاض والحير والجهة وإنما يعرف هذا عن ورثة المجوس والمشركون وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأفراح المتفلسفة وأتباع الهند واليونان ، وأما العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فإن الجسم معناه فى لغتهم البدن الكتيف الذى لا يسمى فى اللغة جسم سواه ، فلا يقال للهواء جسم لغة ولا للنار ولا للماء ، وإذا كان ذلك كذلك كان هذا المعنى منفيًا عن الله تعالى عقلا وسمعا ، وكذلك ما يعنى هؤلاء الملاحدة بالجسم أنه مركب من المادة والصورة والهيولى أو من الجواهر الفردة أو من الأجزاء المتفرقة - منى عن الله تعالى باتفاق من أثبتته ومن ساء من العقلاء حتى فى الممكنات . فإذا تمهد هذا فالكفار الجهال كانوا أصبح عقولا وأسلم فطرا من ورثة المتفلسفة والصابئين وأباط فارس والروم فانهم كانوا يعلمون بفطرتهم التى فطروا عليها أن الله الذى خلقهم وأوجدهم فوق السماء كما قال ﷻ لحصين الخزاعى : د كم كنت تعبد ؟ ، قال : سبعة . ستة فى الأرض وواحد فى السماء . قال : د من كنت تعد لرغبتك ورهبتك ؟ ، قال : الذى فى السماء . وكانوا إذا لجثوا الى الله ودعوه رفعوا أبصارهم وأيديهم الى السماء . ومن أشعارهم قول أمية بن أبى الصلت الثقفى الذى أنشد للنبي ﷺ فاستحسنه ، وقال د آمن شعره وكفن قلبه ، قال :

مجدوا الله فهو للمجد أهل	ربنا فى السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذى سبق لنا	س وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا ما يناله بصر الع	ين ترى دونه الملائك صورا

وقول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه حين قال :

شهدت بأن وعد الله حق	وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف	وفوق العرش رب العالمينا

واذا كان العرب يعرفون بفطرتهم ان الله فوق السماء ولا كانوا يعرفون ما أحدثه هؤلاء من لفظ الجسم على اصطلاحهم الحادث الملعون واختلافهم في ذلك كان تفريعا باطلا على تأصيل باطل مخترع ، وكان من المعلوم ان المشركين انما اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم انما هو بطلب القربة والمنزلة عند الله شفاعا من يعبدونه والقربة هي المنزلة ، فكان من المعلوم انهم ما طلبوا منزلة مجازية لا حقيقة لها في الخارج .

قال البغوي رحمه الله في تفسير هذه الآية (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يعني الاصنام (ما نعبدهم) اي قالوا ما نعبدهم (إلا ليقربونا الى الله زلي) وكذلك قرأ ابن مسعود وان عباس . قال قتادة : وذلك انهم كانوا اذا قبل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والأرض ؟ قالوا : الله ، فيقال لهم : فما معنى عبادتكم الاوثان ؟ قالوا : ليقربونا الى الله زلي . اي قربي وهو اسم أقيم مقام المصدر كأنه قال : إلا ليقربونا الى الله تقريبا ويشفعوا لنا عند الله ، وهذا يندفع توهم هذا العراقي ان التقرب بالمعنى المجازي لا على المعنى الحقيقي لأنه لا يعتقد ان الله على عرشه بائن من خلقه ، فذلك ظن المشركين كانوا يعتقدون ان الله في السماء على عرشه فوق خلقه ، واذا كان على عرشه فوق خلقه كان جسما ، وقد بينا فيما تقدم بطلان ما توهمه من اللوازم التي أحدها ما انزل الله بها من سلطان (ان هي إلا اسماء سميتموها أتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) .

واذا تبين لك ما قدمناه كان حكم الآية منطبقاً على هؤلاء المشركين الذي زعم هذا الملحد انهم مسلمون ، وايضا فان هذا الملحد ومن نحاه نحوه من المشركين حيث أنكروا التقرب الحقيقي ، فرادهم انه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله ولا يشار اليه بالاصابع الى فوق اشارة حسية كما اشار اليه أعلم الخلق به ولا ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء ولا تعرج الملائكة والروح اليه ولا رفع المسيح اليه ولا عرج برسول الله ﷺ اليه حقيقة ولا يتقرب اليه شيء ولا يقرب منه أحد لأنه يلزم على هذا عندهم أن يكون جسما ، وقد علم

بالاضطرار أن الله لا سمي له ولا كفوله ولا مثل له . فانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فلا تنفى عن الله ما أثبتته لنفسه لتسمية الملاحدة أعداء الله ورسوله للموصوف بها جسماً وهؤلاء الضلال قد جمعوا بين الشرك فى الآلهية وبين تعطيل الرب عن صفات كماله وبعوت جلاله فكان المشركون الأولون أخف شركاً منهم لأنهم ما أسكروا علو الله على عرشه ولا عطلوه من صفات كماله .

فصل

(قال الملحد) ويجدر بنا أن بين هنا انواع الشرك فنقول منها ما يقال له ترك الاستقلال وهو اثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس ومنها شرك التبعض وهو تركيب الإله من عدة آلهة كشرك النصارى ، ومنها شرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب الى الله زلقى كشرك الجاهلية والشرك الذى جعلته الوهاية أصلاً لشرك المستغيث والمتوسل وبنت عليه قاعدتها هو شرك التقريب الذى دامت به الجاهلية .

(والجواب) أن نقول هذا التقسيم بهذا اللفظ لم أجده فى شىء من كتب أهل الإسلام الذين هم الأسوة وبهم القدوة ولم ينسبه الى عالم من علماء الإسلام وإنما هو تنويع عراقى وفيه من التقصير والقصور ما لا يخفى وإذا كان هذا مبلغ علمه ومحصول ما لديه تعين أن نذكر من أقوال أهل العلم ما يبين تخليط هذا العراقى وتخييطه حيث اعتقد أن ما يفعله المشركون فى هذه الأزمان ليس من الشرك فنقول أعلم أن ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة انواع شرك أكبر وترك أصغر وشرك خفى ، والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى (أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً) وقال المسيح (يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) . وهو أربعة انواع شرك الدعوة والدليل على ذلك قوله تعالى (فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله

مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) . النوع الثانى : شرك النية والارادة والقصد والدليل ، قوله تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) . النوع الثالث : ترك الطاعة ، والدليل قوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وتفسيرها الذى لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية لادعائهم إياهم كما فسرهما النبى صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم لما سأله قال لسنا بعبدكم فذكر أن عبادتهم طاعتهم فى المعصية . النوع الرابع : ترك المحبة والدليل ، قوله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) .

﴿ وأما النوع الثانى ﴾ فهو الشرك الأصغر وهو الرياء والدليل ، قوله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهو أنواع .

﴿ والنوع الثالث ﴾ الشرك الخفى والدليل عليه قوله ﷺ : « الشرك فى هذه الأمة أخفى من ديب النملة السوداء على صفاة سوداء فى ظلمة الليل ، وكفارته قوله ﷺ : اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذى لا أعلم ، .

﴿ وقال ابن القيم ﴾ رحمه الله تعالى : الشرك شركان . شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك فى عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله والشرك الأول نوعان أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال وما رب العالمين ؟ وقال تعالى مخبراً عنه أنه قال : (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً) فالشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك

لكى الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ولكن عطل حق التوحيد .

وأصل الشرك وقاعدته التى يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن هذا الشرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا ها هنا شيان بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه ، ومنه ترك الملاحدة القائلين بقدوم العالم وأبديته وأنه لم يكن معدوماً أصلاً بل لم يزل ولا يزال . والحوادث بأسرها مستندة عندهم الى أسباب ووسائل اقتضت إيجادها يسمونها العقول والنفوس . ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسماً ولا صفة بل جعلوا لمخلوق أكمل منه إذ كمال الدات باسمائها وصفاتها .

فصل

(النوع الثانى) شرك من جعل معه الها آخر ، ولم يعطل أسمائه وربوبيته وصفاته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة فجعلوا المسيح الها والله الها وأمه الها ، ومن هذا شرك المجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور ، وحوادث الشر الى الظلمة ، فلت فاضر الى كلام سمس الدين بن القيم والى كلام هذا الملحد حيث قال : منها شرك الاستقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك المجوس ومنها شرك التبعض وهو تركيب الإله من عدة الهة كشرك النصارى وبهذا تعرف أنه ما عرف أنواع الشرك ولا أقسامه .

ثم قال ابن القيم ومن هذا شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذى يخلق أفعال نفسه وانها تحدث بدون مشيئة الله وتقديره وإرادته ولهذا كانوا من أشباه المجوس ، ومن هذا شرك الذى حاج إبراهيم فى ربه (اذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال أنا أحيى وأميت) فهذا جعل نفسه مثلاً لله يحيى ويميت بزعمه

كما يحيي الله ويميت ، فألزمه إبراهيم عليه السلام ورحمة الله وبركاته ، أن طرد
قولك أن تقدر على الانيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها ، وليس
هذا انتقالا كما زعمه بعض أهل الجدل بل الزاما على طرد الدليل ان كان حقا ،
ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أرباباً مدبرة لأمور
هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم ، ومن هذا شرك عباد الشمس
وعباد النار وغيرهم ، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده هو الإله على الحقيقة
ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة ومنهم من يزعم أنه اله من جملة الآلهة ، وانه
إذا خصه بعبادته والتبتل اليه والاقطاع اليه اقبل عليه واعتنى به ، ومنهم من
يزعم أن معبوده الأدنى يقربه الى المعبود الذي فوقه والفوقاني يقربه الى من
فوقه حتى يقربه تلك الالهة الى الله سبحانه ، فتارة نكثر الوسائط وتارة تقل .
ثم ذكر الشرك في العبادة وأنواعه ، وهو الشرك الخفي ، وذكر أن منه
ما ينقسم الى كبير وأكبر وليس منه شيء مغفور ، كالشرك بالله في المحبة .

ثم ذكر الشرك بالله سبحانه في الاقوال والافعال والارادات والنيات
وان منه ما هو أكبر وأصغر ، تركنا ذكر ذلك طلبا للاختصار فمن أراد
الوقوف عليه فهو في الجواب الكافي والدواء الشافي ، وبما ذكرناه بتبين لكل
منصف أن هذا العراقي مزجي البضاعة من العلوم النبوية والعقائد السلفية ، وانه
لا درية ولا روية .

وحيث أنه ما عرف من الشرك الا ما ذكره من هذه الأنواع التي حبط
فيها خبط عشواء صار ما عدها عنده ليس من الشرك ، وان ما عدها من الأمور
الشركية - المخرجة من الملة التي هي أعظم وأدهى - لا تخرج من الملة لكونه قد
نلس بها وتضمح بوضرها ، فذلك كان يسمى أهلها هم المسلمون عنده .

فمن تلك الأمور التي ما ذكرها ولا عرف أنها من الكفر المخرج من الملة
الشرك الذي يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله كتعطيله سبحانه عن
كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد
من حقيقة التوحيد ، ومنها الشرك بالله في المحبة والتعظيم بأن يجب مخلوقا كما

يحب الله ، فهذا من الشرك الاكبر الذى لا يغفره الله وغير ذلك من الأمور
الشركية التى تقدم ذكرها ، فاذا عرفت ذلك نبين لك ضلال هؤلاء الملاحدة
الذين أشربت قلوبهم عداوة أهل التوحيد ولقبوهم باللقاب الشنيعة ورموهم
بالعظائم التى لا ترام ولا تطاف وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

(قال العراقى) والأمر الذى حمل الجاهلية على شركها هذا هو تسويل
الشیطان لها أن عباده غير الله تعالى على ما هى عليه من غاية الضعف والعجز وتركها
التقرب اليه بعبادة من هو أعلى منها عنده وأشرف وأقوى ، كنعو الملائكة
انما هو سوء أدب ، ولكن لما رأت غيبة من عبدته عنها دائماً أو بعض الأوقات
صنعت الأصنام امثلة لما غاب عنها من معبوداتها فعبدها ، اه .

والجواب أن نقول : ليس الأمر كما زعمت ، ولا ما اليه ذهبت ، وانما
الأمر الذى حمل الجاهلية على شركها هو الغلو فى الصالحين كما قال تعالى : (يا أهل
الكتاب لا تغلوا فى دينكم) الآية ، والغلو هو الإفراط فى التعظيم بالقول والاعتقاد ،
أى لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التى أنزله الله فتزله المنزلة التى لا تنبغى الا لله .
والخطاب وان كان لاهل الكتاب فانه عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم
أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارى فى عيسى واليهود فى العزير كما قال تعالى :
(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكووا
كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير
منهم فاسقون) وفى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى :
(وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً)
صارت الاوثان التى فى قوم نوح فى العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة
الجندل وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمрад ، ثم لبني غطف
بالجرف عند سبا ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى
الكلاع . (هذه) أسماء رجال صالحين فى قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان

الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اليها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم عبت .

قال ابن جرير رحمه الله حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن موسى بن محمد بن قيس أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم : لو صورنا صورهم كان أشوف لنا الى العبادة فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم ، انتهى .

فالشیطان هو الذی زين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها فصار هو معبودهم في الحقيقة كما قال تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم : ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك وان كان القصد بها حسنا فان الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين والافراط في محبتهم كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة أظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله ، وفي رواية أنهم قالوا ما عظم أولوا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله أي يرجون شفاعته أولئك الصالحين الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم وسموها بأسمائهم ومن هنا يعلم ان اتخاذ الشفعاء ورجاء شفاعتهم بطلبها منهم شرك بالله قال ابن القيم رحمه الله وما زال الشيطان يوحى الى عباد القبور ويلقى أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين وأن الدعاء عندها مستجاب ثم ينقلهم من هذه المرتبة الى الدعاء بها والاقسام على الله بها فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه .

فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعته من دون الله واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والستور ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويذبح عنده ، فاذا تقرر هذا عندهم نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذهم عيداً ومنسكاً ورأوا أن ذلك أضع لهم في دنياهم وآخرهم وكل هذا

فما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أنه مضاد لما نعت الله به رسوله ﷺ من تحريد التوحيد وأن لا يعبد إلا الله .

فاذا تقرر ذلك عندهم بقلوبهم منه الى أن من هبى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم ، ورعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر ، وعصب المشركون واستمازت قلوبهم كما قال تعالى (وإذا ذكر الله وحده استمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه أدا هم يستبشرون) وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب الى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعطائم ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم ورعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله ، وبأبي الله ذلك (وما كانوا أولياءه ان أولياؤه إلا المتقون) ، انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى .

فإذا عرفت ما تقدم من أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين لا كما يزعمه هذا الضال تبين لك أن حال مسركي الجاهلية منطبق على حال هؤلاء المسركين في هذه الأزمان والواقع شاهد بذلك كما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى .

ثم قال العراقي : اذا تحققت هذا اتضح لك أن حال مسركي الجاهلية لا يطبق بوجه من الوجوه على المسلمين المتوسلين إلى الله بالانبياء الصالحين .
فأقول قد تقدم جواب هذا

(وقوله) فأولئك اتخذوا الاصنام آلهة والإله معناه المستحق للعبادة فهم اعتقدوا استحقات الاصنام للعبادة ، واعتقدوا أولاً أنها تضر وتنفع فعبدوها .
فأقول : أن أولئك اتخذوا الاصنام والملائكة والانبياء والاولياء والصالحين آلهة يعبدونها من دون الله ، والإله معناه الذى تأله القلوب بالحبة والخضوع والخوف والرجاء ، وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة والتوكل والاستغاثة والدعاء والذبح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة الباطنة والظاهرة ، فهو إله بمعنى مألوه أى معبود ، وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى الإله

قال الجوهري أله بالفتح الالهة أى عبد عبادة ، قال : ومنه قولنا الله وأصله الاله على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه بمعنى معبود كقولنا امام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به . قال : والتأليه التعبيد ، والتأله التدسك والتعبد . قال روبة :

سبحن واسترجعن من تأله انتهى . وقال فى القاموس : أله ، إلهة ، وألوهة عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة واختلف فيه على عشرين قولاً يعنى فى لفظ الجلالة . قال : وأصله إله بمعنى مألوه ، وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه . قال : والتأله التدسك والتعبد ، انتهى . وجميع العلماء من المفسرين وتراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الاله بأنه المعبود ، فإذا كان هذا هو معنى الاله فى اللغة والسرع فهو المستحق للعبادة المتقدم ذكرها دون من سواه ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك ذلك الغير فى عبادة الله . وأما كون المسركين اعتقدوا أن آلهتهم تنفع وتضر فغير مسلم ، فانهم قد اعترفوا أن الله هو النافع الضار ، وأنه المستحق للعبادة ، ولكمهم ما أرادوا بمن عبدوه الا الجاه والشفاعة وليعربوهم الى الله زلى كما هو قول المسركين فى هذه الازمان سواء بسواء . وقد قال ﷺ « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو كان فيهم من أتى أمه علابة لكان فى هذه الامة من يفعله » وفى لفظ « حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن »

(وقوله) فاعتقادهم هذا وعبادتهم اياها أوقعتهم فى السرك ، فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعاً ولا ضرراً (قالوا ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلى) .

فأقول : لما أقام الله عليهم الحجة باقرارهم أن الله هو المحيى المميت المدبر لجميع الامور ، وأن الله هو النافع الضار ، وأن آلهتهم لا تملك لهم نفعاً ولا ضرراً ، ولا حياة ، ولا نشوراً واعترفوا بذلك ، قال الله تعالى (أفلا تتقون) أى تتقون السرك فى العبادة ، فان الفاعل لهذه الاشياء هو الذى يستحق العبادة دون من سواه ، فقول الكفار (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلى) كقول مشركى هذه الازمان لسنا نعبد الا الله ولكن ما قصدنا بزيارة قبورهم

إلا التوسل بهم إلى الله تعالى والتبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم .

وقوله : فكيف يجوز للوهابية أن تجعل المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين .

فأقول : ما جعلت الوهابية المؤمنين الموحدين مثل المشركين ، وإنما جعلت من فعل فعل المشركين مشركاً لكونه حذاً حذواً أولئك في صرف خالص حق الله تعالى ، ويزعم أنه ما أراد إلا الجاه والشفاعة منهم لأنهم مقربون عند الله . (وقوله) اذ لا شك أن المشركين إنما كفروا بسبب عبادتهم تماثيل الأنبياء والملائكة والأولياء التي صوروها على صورهم . وسجدوا لها وذبحوا ، وسبب اعتقادهم في الملائكة والأنبياء والأولياء أنهم آلهة مع الله يضرون وينفعون بذواتهم .

فأقول : وهؤلاء المشركون في هذه الأزمان إنما كفروا بسبب غلوهم في الأنبياء والأولياء والصالحين ، والعكوف على قبورهم ، واستغاثتهم بهم ، والالتجاء إليهم ، ودعائهم ، والذبح لهم . والنذر لهم ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي كانوا يفعلونها في هذه الأزمان عند ضرائح الأولياء والصالحين ، فإن من صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله كان مشركاً ، وإن اعتقد أن من يدعو ويستغيث به ، ويرجوه ، ويذبح له ، ويلجأ إليه ، ويعلق آماله به ، لا يضر ولا ينفع وأنه ليس إلهاً ، ولا يستحق العبادة .

وقوله : ولذلك احتج الله تعالى على إبطال قولهم وضرب الأمثال للرد على معتقدهم في كثير من الآيات بأن الآلهة المستحق للعبادة يجب أن يكون قادراً على كشف الضر وإيصال النفع لمن عبده ، وبأن ما عبده من جملة المحدثات المنافية للربوبية .

(فأقول وهذا هو الحق) ولكنه مع كونه منافياً للربوبية فهو مناف للألوهية فكيف إذا عرفت أن هذا مناف للربوبية لا شيء صرفك عن كونه منافياً لتوحيد الألوهية لأن توحيد الربوبية هو الإقرار والاعتراف بأن الله هو الخالق

الرازق ، المحي المميت ، المدبر لجميع الأمور ، وأنه النافع الضار ، وأنه رب كل
شئ ومليكه ، وأنه المتفرد بالايجاد والاعدام الى غير ذلك من أفعال الرب .
وأما توحيد الإلهية فهو أن يوحد العبد ربه بأفعاله الصادرة منه كالثناء ،
والخوف والرجاء ، والحب والتعظيم ، والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة ،
والتوكل والذبح ، والنذر والرغبة ، والرغبة والخضوع ، والخشوع والالتجاء ،
وغير ذلك من أنواع العبادة التي صرفها المشركون الأولون والآخرون
لغير الله .

(وأما قوله) : وأما المستغيث والمتوسل فهو براء من هذه العبادة
وهذا الاعتقاد .

فأقول : المستغيث والمتوسل على لغة هؤلاء المشركين ليس هو بريئاً من
هذه العبادة وهذا الاعتقاد لأن الاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة
كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون ، قاله شيخ الاسلام ابن تيمية
ومن المعلوم بالضرورة أن الله تعالى هو الذي يزيل الشدات ، ويغيث اللهفات
ويفرج الكربات ، فمن زعم أن الاستغاثة ليست من العبادات فهو مكابر
للحسنيات ، مباغت في الضروريات . وفي الدعاء المشهور عن النبي ﷺ أنه قال
في دعائه : اللهم أنت المستعان ، وبك المستغاث ، وإليك المشتكى ، الحديث .
ودعاء المسلمين يا غياث المستغيثين ، وقد قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم) فعدم ادخالها في جملة العبادة هو التحكم والمكابرة من غير دليل عقلي ،
ولا نص شرعي .

وقوله : اذ الآيات التي استدلت بها الوهاية انما نزلت جميعاً في الكفار
الذين عبدوا غير الله ، وان قصدوا بعبادتهم ذلك الغير التقرب اليه تعالى ، وفي
الذين اعتقدوا أن مع الله الهاً آخر ، وأن له ولداً وزوجة ، تعالى الله عما يقول
الظالمون علواً كبيراً .

(فأقول) قد تقدم الجواب عن هذا وان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب .

(وقوله) وليس في الآيات النازلة في الكفار دلالة على كون الاستغثة بنبي أو ولي مع الإيمان بالله تعالى هي عبادة لغير الله .
(فأقول) بل فيها الدلالة الواضحة على أن من صرف لغير الله شيئاً من العبادة التي لا يستحقها إلا الله فهو مشرك ، فإن صرفها لغير الله مناف للإيمان بالله تعالى

فصل

ثم قال العراقي : قالت الوهاية ان الاستغثة من نوع الدعاء ، وقد ورد في الحديث أن الدعاء هو العبادة ، فالذي يستغث بنبي أو ولي فهو إنما يعبدته تلك الاستغثة ، وحيث ان العبادة لا تصلح الا لله وحده ، وان عبادة غيره شرك كان المستغث به مشركا .

ثم قال : فالجواب على هذا أن ضمير الفصل إنما يفيد قصر المسند على المسد إليه وكذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح وعليه الجمهور ، فقولنا الله هو الرزاق متلاً معناه لا رازق سواه وعلى هذا فقوله عليه الصلاة والسلام : الدعاء هو العبادة ، دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث أن العبادة ليست غير الدعاء ويؤيده قوله تعالى (قل ما يعبدوكم بكم لولا دعاؤكم فقد كذبتم) أي ما يصنع بكم لولا عبادتكم فإن شرف الإنسان بعبادته ، وكرامته بمعرفته وطاعته والا فلا فضل له على البهائم ، والحج والصلاة والزكاة والصيام والشهادة كلها دعاء وكذلك التلاوة والاذكار والطاعة فأنحصرت العبادة في الدعاء اذا تقرر هذا فلا حجة في الحديث اذ على تقدير كون الاستغثة من نوع الدعاء كما قالته الوهاية لا يلزم أن تكون عبادة لما أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو ظاهر . الى آخر كلامه .

والجواب أن يقول : الاستغثة هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون كما تقدم ذكره عن شيخ الاسلام رحمه الله وقال غيره : الفرق بين الاستغثة والدعاء أن الاستغثة لا تكون إلا من المكروب والدعاء أعم من الاستغثة لأنه يكون من المكروب وغير المكروب

فمطلق الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص فينبهنا عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة فاذا تبين لك أن بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً وأن كل استغاثة دعاء وقد علمت أن الدعاء هو العبادة بنص رسول الله ﷺ فاعلم أن الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة ، ويراد به في القرآن هذا تارة وهذا تارة ، ويراد به مجموعهما فدعاء المسئلة هو طلب ما يدفع الداعي من حطب نفع أو كشف ضرر ولهذا أكرم الله على من يدعو أحداً من دونه عن لا يملك ضرراً ولا نفعاً ، كقوله تعالى (قل أنعدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) وقوله (قل أمدعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ورد على أعقابنا بعد إذا هداما الله) الآيات . وقال (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإني أذكرك من الظالمين) . قال شيخ الإسلام رحمه الله : فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسئلة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة . قال الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين) وقال تعالى (قل أرأيتم أن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ؟) بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء الله وينسون ما يشركون) وقال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى (له دعوة الحق) الآية . وأمثال هذا في القرآن في دعاء المسئلة أكثر من أن يحصر ، وهو يتضمن دعاء العبادة لأن السائل أخلص سؤاله لله وذلك من أفضل العبادات ، وكذلك إذا ذكر الله والنال لكتابه ونحوه طالب من الله في المعنى فيكون داعياً عابداً . فتبين بهذا من قول شيخ الإسلام أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسئلة كما أن دعاء المسئلة متضمن لدعاء العبادة .

وقد قال تعالى عن خليله (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً) فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله (الآية) نصار الدعاء من أنواع العبادة ، فإن قوله (وادعوا ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً) كقول زكريا (رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً

ولم أكن بدعائك رب شقياً) وقد أمر الله تعالى به في مواضع من كتابه كقوله (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) الى قوله (وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمة الله قريب من المحسنين) وهذا هو دعاء المسألة المتضمن للعبادة فان الداعي يرغب الى المدعو ويخضع له ويتذلل ، وصابط هذا أن كل أمر ترعه الله لعباده وأمرهم به ففعله لله عبادة فاذا صرف من تلك العبادة شيئاً لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله (قل الله أعبد مخلصاً له ديني)

فاذا ثبت أن الاستغاثة من أنواع الدعاء وأن كل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة وتقرر أن الدعاء نوعان دعاء مسألة ودعاء عبادة وأن كل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ، تبين لك أن الاستغاثة من أنواع العبادة ، وكيف لا تكون من أنواع العبادة وقد قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وقوله ﷺ في الدعاء المشهور « اللهم أت المستعان وبك المستغاث واليك المشتكى ، الحديث وقول المسلمين يا عياض المستغيثين فان لم يكن هذا من العبادة فلا ندرى ما العبادة ، ولا ما دعاء المسألة المتضمن لدعاء العبادة ، وقد قال شيخ الاسلام رحمه الله : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فاذا تمهد هذا واتضح فقول هذا الملحد أو ضمير الفصل إنما يفيد قصر المسند على المسند عليه وكذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح وعليه الجمهور فقولنا : الله هو الرازق مثلاً معناه لا رازق الخ سواه ، فيقال لهذا الملحد نعم إذا كان الحصر أو القصر حقيقياً فانه من المعلوم إذا قلنا الله هو الرزاق فمعناه حقيقة لا رازق سواه ، وعلى هذا فقول عليه السلام : الدعاء هو العبادة ، دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث أن العبادة ليست غير الدعاء الخ . (فنقول) ليس الأمر كما توهمت وإنما الحصر والقصر في هذا الحديث الدعائي كما يستفاد من ضمير الفصل المقحم بين المبتدأ والخبر والحصر وإن كان ادعائياً فهو يدل على أن الدعاء هو معظم العبادة ونحوها وخالصها وأجلها وأشرفها ومثل هذا الحديث الحديث الذي رواه أبو داود في سننه والامام احمد في المسند من

حديث أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال « ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجله يكون عليه جسر يكبر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين » - وفي رواية المسلمين - فإذا كان في آخر الزمان جاء نوح قنطوراء عراض الوجوه صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيفتروا أهلها ثلاث فرق فرقة يأخذون أذئاب البقر والبرية وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا ، وفرقة يحملون ذراريهم خلف ظهورهم يقاتلونهم وأولئك هم الشهداء ، فأخبر في هذا الحديث أن أولئك هم الشهداء وأنهم مخصوصون بالشهادة دون سائر الشهداء كما يستفاد من الجملة الاسمية المعرفة الطرفين ومن ضمير الفصل المقحم بين المبتدأ والخبر ، والحصر وإن كان ادعائياً فهو يدل على شرف الصنف وفضيلته ، انتهى .

وكذلك قوله تعالى في المنافقين (هم العدو فاحذرهم) فهذا يدل على شدة عداوتهم من بين سائر الكفار لا على أنه لا عدو سواهم وكذلك قوله (أولئك هم الكاذبون - أولئك هم الظالمون) وهذا بين بحمد الله لاخفاء به ، مع أنه ورد في حديث آخر « الدعاء مخ العبادة » من حديث أنس ، مع أن الحصر أو القصر في قوله ﷺ « الدعاء هو العبادة » كما قال بعض تراجم الحديث أن حصر أحد الجرائئ في الآخر يفيدان الدعاء لها وخالصها وركنها الاعظم وبحديث أنس « الدعاء مخ العبادة » يظهر معنى القصر في حديث النعمان المتقدم فاندفع الاشكال عما ذكره العراقي .

(وأما قوله) إذا تقرر هذا فلا حجة في الحديث إذ على تقدير كون الاستغاثة من نوع الدعاء كما قالته الوهاية لا يلزم أن تكون عبادة لما أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو الطاهر .

(فالجواب) أما قد بينا فيما تقدم ما يبطل دعواه الكاذبة الخاطئة وبيننا أن العبادة ليست منحصرة في الدعاء بل الدعاء من أنواع العبادة والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة فالدعاء هو مخ العبادة بنص رسول الله ﷺ والاستغاثة من أخص أنواع العبادة وأشرفها

إذ هي دعاء مسألة متضمنة لدعاء اليه ما ذكرناه فالدعاء الذي جاء في قوله (يوم يدعونكم لله يستجيبون) في قوله (لا تسألوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) وما أسسه ذلك مما هو بمعنى النداء المجرد عن معنى العبادة إذ الدعاء كونه في الأصل بمعنى النداء والطلب مما لا مزية فيه كما قال الراغب الدعاء والنداء واحد لكن قد تعجزت الدعاء عن الاسم والدعاء لا يكاد يتجرد فلا يدخل في دعاء العبادة المسارم الدعاء المسألة كما أنه يدخل في دعا المسألة المنضمنة للعبادة ومنها لا يروح إلا عن طعام العرمان الذين هم كالأباط أو البربر أو الزن الذين لا معرفة لهم بآداب العرب عارفاً بآدابهم لا يهولون أن تُل مطلق دعاء ذكرن عبادة فادخل هذا في معنى المسألة ترويح وتلبس وسنسة وهذه البضاعة لا تروح عليها ولا تنفق ثمنها .

(وأما قوله) ولا يقال لا يطلب من غيره نحالي دعاء فهذا ممنوع فإن من طلب من غير الله جلب مفسده أو دفع مضره يكون داعياً طاملاً سائلاً منه ، وقد ذكر الرازي تحت قوله تعالى (وما تدع من دين الله بما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فإنت إذا من الظالمين) ما يقتضي أن المراد بالدعاء في هذه الآية طلب المنفعة والمضرة ونصه هكذا يعني لو استغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين إلا آخر كلامه ، وقال الشيخ صنع الله الحلبي وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من السدائد كالمرض وخوف الغزو والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله ألا يطلب فيها غيره . انتهى . فالطلب سؤال والسؤال في معنى الدعاء .

فصل

قال العراقي التوسل وأدلة جوازه قبل الخوض في المطلب نبين لك أن المراد من الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والتوسل بهم هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وأن الله تعالى هو الفاعل كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون ، كما هو

المعتقد الحق في سائر الأفعال، فإن السكين لا يقطع نفسه من القاطع من الله تعالى والسكين سبب عادي خالق الله تعالى المظلم به.

فالجواب : أن يكون وفيل الكلام على ما بهما دعواه لا بد من مقدمة يبنى عليها الجواب ، فقول قال سبحانه : لا تسب الله ، لا تسب الله تعالى . لفظ التوسل بالتخص والتوجه به والسؤال به فيه احتمال واسرار غلط سببه من لم يصح مفصود الصحابة يراد به التسبب به الكونه داعياً وشانئاً سئلاً أو ليكون الداعي محالاً مطيعاً لأمره معتدلاً به فيكون التسبب إما محبة السائل له وإنباءه له ، وإما بدعاء الرسل وشفاعته وبراد به الأقسام به والتوسل بدائه فلا يكون التوسل لا نسي منه ولا نسي من السائل بل ذاته أو تحرد الأقسام به على الله فهذا الثاني هو الذي كرهوه وهو عمد وكذلك لفظ السؤال بالتيء قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب به أنكر به سبباً في حصول المطالب وقد يراد به الأقسام وإذا تبين لك هذا فاعلم أن معنى التوسل في آية الصحابة رضي الله عنهم وعرفهم أن طلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل والتوجه به في الحقيقة بدعائه وشفاعته . وهذا لا محذور فيه . بل هذا هو المشروع كما في حديث الثلاثة الذين أوتوا إلى النار وهو حديث مشهور في الصحيحين فانهم توسلوا إلى الله بصالح الأعمال لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما توسل به العبد إلى الله تعالى ودوجه به إليه ويسأله به لأنه وعده أن يسحب للدين آمراً وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ؛ وقال ربكم ادعونا استجب لكم (وهو لاء دعوه بعبادته . وفعل ما أمر به من العمل الصالح وسؤاله والتضرع إليه ، فمن دعاه الأولياء والصالحين سبباً لنيل المقصود كأن يطلب من الولي أو الصالح أن يدعو الله له لكونه مطيعاً لله محباً له . وشفيع له عند الله بدعاء الله له فهذا حق فقد كان الصحابة رضي الله عنهم توسلون إلى الله سبحانه برسوله فيدعوا الله لهم كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اللهم انا كنا إذا أجدبنا نوسل إليك بنينا فقسقينا ، وانا نتوسل إليك بعم بنينا فاسقنا فاستسقوا به كما كانوا يستسقون

الذي يتولى في الدنيا أمورهم ، يدبرهم من وراءهم ، وهم لا يدرون
بشيء من ذلك ، ولا يدرون أن الله تعالى هو الذي يخلقهم ، كما ليس
لهم أن يدعوا ربهم على شيء ، بل هو الذي يخلقهم ، فاعلم أن التوسل في
عرف آدم هذا الزمان وصحة ما يحرم من ذلك الأشياء والآيات والصالحين
ومصرف مخالفات حتى الله تعالى لهم بجميع أنواع الأسباب من الدعاء والخوف
والرجاء والذبح والنذر والآيات اليهم والآيات من الله تعالى والاستشفاع
منهم وطالب الخواص من الرعايا في المهمات والمهمات لكسب المكربات وإغاثة
اللذات ، ومعافاة أولي العيوب والعيوب ، إلى غير ذلك من الأمور التي صرفها
المشركون لغير فطر الأرض والسماوات ، فمن عرف من هذه الأنواع شيئاً
لغير الله كان مشركاً وسيأتى الكلام على مسألة الاستغاثة .

(وأما قوله : إنهم أسباب ورثة ، إن المتقصد وإن الله تعالى هو الفاعل
إلى آخره .

فأقول : وهذا هو قول الجاهلية الكفار فأنهم ما عبدوا إلا نبياء ، والأولياء
والصالحين إلا لكونهم أسباباً ووسائل ليل المقصود وإلا فهم يعتقدون أن الله
هو الدافع الضار وأنه المنفرد بالإيجاد والاعدام ، وأن الله هو الخالق للأشياء ،
وأن الله هو رب كل شيء ومليكه ، ولا يعتقدون أن آلهتهم التي يدعونها من
دون الله من الأنبياء ، والأولياء ، والصالحين والملائكة تشاركوا الله في خلق
السموات والأرض ، أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والإيجاد ، فمن أثبت
الوسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك
بل هذا دين عباد الأوثان . وقال شيخ الإسلام : الخامس أن يقال نحن لا ننازع
في إثبات ما أثبته الله من الأسباب والحكم ، لكن من هو الذي جعل الاستغاثة
بالخلق ، ودعائه سبباً في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ، ومن الذي قال
إنك إذا استغثت بميت أو غائب من البشر كان أو غيره كان ذلك سبباً في
حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ، ومن الذي
شرع ذلك وأمر به ، ومن الذي فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم

مالا يملك ضرراً ولا نفعاً والله هو المسيح 'مسيح' : فاحذر من أن يضل عن المسيح أنه
لا يملك لمن دعاه نفعاً ولا ضرراً . وأن قل كما يدعيه الشكرك . وباطل عبادته
وأسكرها أشد الأكرار وسحراته أوضح من الشمس في وسط النهار .

(وأما قوله) فان السكر لا يقطع نفسه . بل القاطع هو الله تعالى والسكين

سبب عادي خلق الله تعالى القسط عنده .

فالجواب أن يقال : هذا القول من أفرال أهل ابدع والاهواء وليس هو
من كلام أهل السنة والجماعة . قال شيخ الاسلام : زعموا : هم الاقترانية الذين
يقولون إن الله بخلق عند السبب لا بالسبب ومن نحوهم من المتصوفة القائلين
باسقاط الأسباب الظاهرة ، وذلك لأن عندهم ليس شئ أوحده تعالى يكون سبباً
لشيء أصلاً ، ولا شئ جعل لشيء . ولا يكون شئ ، انتهى فالسبب عندهم
لا يكون بالأكل ولا العلم الحاصل في القلب بالدليل . ولا ما يحصل للشوكل من
الوزق والنصر له سبب أصلاً لا في نفسه ولا في نفس الأخر ولا الطاعات عندهم
سبب للثواب ولا المعاصي سبب للعقاب . فليس للسحابة وسيلة ، بل محض
الارادة الواحدة يصدر عنها كل حادث ، ويصدر مع الآخر مقترناً به اقتراناً
عادياً لأن أحدهما متعلق بالآخر أو سبب به أو حكمته له ، ولكن لا جاً
ما جرت به العادة من اقتران أحدهما بالآخر يحسن أحدهما اشارة وعلماً
ودليلاً على الآخر معنى اذا وجد أحد المقترنين عادة كان الآخر موحوداً به
وليس العلم الحاصل في القلب حاصلاً بهذا الدليل ، بل هذا أيضاً من -
الافتراءات العادية .

وقال أيضاً بعد كلام سبق : وكذلك أيضاً لزمت من لا يثبت في المحلوا
أسباباً وقوى وطبائع ، ويقولون ان الله يفعل عندها لا بها . فيلزم أن لا يـ
فرق بين القادر والعاجز . وإن أثبت قدرة وقال انها مقترنة بالكسب ، فـ
ثبت فرقا معقولاً بين ما تثبته من الكسب وتنفيه من الفعل ، ولا بين
والعاجز إذ كان مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة ، فان فعل العبد
حياته وعمله وارادته وغير ذلك من صفاته . فان لم يكن للقدرة تأثير إلا

الاقتراح فلا فرق بين القدرة وغيرها ، وكذلك قول سر قال ، القدرة مؤنثة في
صفة الفعل لا في أصله كما يفر له القاصي أبو بكر وسن وانضم ، فانه أثبت تأثيراً
بدون خلق الرب فلزم أن يكون بعض الخيرات لم يخلقه الله تعالى ، وإن جعل
ذلك معلقاً بخلق الرب فلا فرق بين الأصل والصفة ، وأما أئمة السنة وجمهورهم
فيقولون ما دل عليه الشرع والعقل ، قال تعالى : (فسقناه إلى الله فبیت
فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (وما أنزل الله من السماء
ماء فأحيا به الأرض مد سوتها) وقال تعالى : (يهدي به الله من أنبـع
رصوا به سبل السلام) وقال تعالى (يضل به كثير آ ويهدي به كثير آ) ومثل
هذا كثير في الكتاب والسنة يخبر الله تعالى انه يحدث الخيرات بالأسباب ،
انتهى المقصود منه .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وقالت طائفة أخرى أكس من هؤلاء ،
بل الدعاء علامة مجردة نصبتها الله تعالى سبحانه اشارة على قضاء الحاجة فمتى وقف
العبد للدعاء كان ذلك علامة له وامارة على أن حاجته قد قضت ، وهكذا
كما اذا رأيت غيماً أسود بارقاً في زمن الشتاء ، فان ذلك دليل وعلامة على أنه
يمطر قالوا : وهكذا حكم الطاعات مع الثواب والكفر والمعاصي مع العقاب
هي امارات محضة لوقوع النواب لا أنها أسباب له ، وهكذا عندهم الكسر
مع الانكسار ، والحرق مع الاحراق والازهاق مع القتل لس شيء من
ذلك سبباً البتة ، ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه الا بمجرد الاقتران
العادي لا التأثير السببي ، وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطرة وسائر
طوائف العقلاء ، بل أغضكوا عاينهم العقلاء . والصواب أن هنا فسماً ثالثاً
غير ما ذكره السائل وهو أن هذا المقدور قدر بأسباب ومن أسبابه الدعاء فلم
يفدر مجرداً عن سببه ، ولكن فدر بسببه فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ،
ومتى ما لم يأت بالسبب انتفى المقدور ، وهذا كما قدر الشبع والرى بالأكل
والشرب ، وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج نفس
الحيوان بذبحه الى أن قال : وقدر تب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة
وحصول الشر في الدنيا والآخرة في كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط

والمعلول على الآية بـ... من أسباب... إلى من أتى به على ألف موضع
 إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى... من أسباب... من قوله
 والسكسب عادي حاق... من أسباب... من أسباب... من أسباب...
 والضلال فأضاف إلى كونه شركاً في عبادة الله تعالى... من أسباب... من أسباب...
 لعلو الله على خلقه... من أسباب... من أسباب... من أسباب...
 والرافضة مع مذهب الخمسية في سبب رؤية الله تعالى في الآخرة... من أسباب...
 الاقترانية في إسقاط الأسباب الثمانية أن الله تعالى لا يسبب... لا بالسبب...
 ومراد هذا المذهب أن دعاء الأنبياء والآل والأولياء والصالحين سبب عادي ليل
 المقصود... وقد تقدم من الأدلة ما يبين أن محاصي هذا السبب محرم، وأن دعاء
 الأموات والعائين من الأولياء والصالحين والاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه
 إلا الله شرك وأنه ليس بسبب شرعي.

فصل

وأما قوله فالسبكي والقسطاني في المواهب اللدنية والسمهودي في تاريخ
 المدينة وابن حجر في الجوهر المظم أن الاستغاثات به عليه الصلاة والسلام وبغيره
 من الأنبياء والصالحين إنما هي بمعنى التوسل بحاهمهم والمستغث يطلب من
 المستغاث أن يجعل له الغوث ممن هو أعلى منه بالاستغاث به في الحقيقة هو الله
 تعالى والنبي ﷺ واسطة بين المستغث وبين المستغاث به في التحقيق فالغوث منه
 تعالى إنما يكون خلقاً وإيجاداً والغوث من النبي نسبياً وكسباً.

(فالجواب) أن يقال: وهكذا كان المشركون السابقون الذين بعث الله
 الرسول إليهم فاتهم كانوا يعلمون أن الله تعالى هو الخالق الموجد وأما الأصنام
 فيقولون أنها أسباب ووسائل عادية فمن أجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون
 بهم ويعبدونهم وهذا هو دأب عبدة الصالحين والقبور في هذا الزمان
 يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينذرون لهم والدعاء والاستغاثة

والحر والبر كلاً من أَسْمَاءِ أَعْدَاءِهِ وَدَحْلَتِهِ لِمَصْرِفِهَا إِلَى الْإِسْتِغَاةِ وَالْإِسْتِغَاةِ
وَالْمُذَرِّ لِي هُوَ سِوَا أَسْمَاءِ أَعْدَاءِهِ عَلَى مَعْنَاهَا الْخَوَارِجُ كَمَا ذَكَرْنَا فَهَذَا لَفْظُ
الْعَادَةِ أَوْ مَعْنَى كَلَامِ الْمُسْرِكِينَ لَا يَرَوْنَ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ حَيْثُ قَالَ
سُحَابُهُ وَتَعَالَى (مَا سُبِّحَهُمْ إِلَّا لِقَرَرِ مَا إِلَى اللَّهِ لِي) وَأَرْجُوهُ الْفَرْقُ قَالَ تَبَيَّنَ
الْإِسْلَامُ أَنَّ رَيْبَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رَدِّهِ عَلَى ابْنِ الْبَكْرِ فِي مَسْأَلَةِ الْإِسْتِغَاةِ وَأَنَّهُ
حَرَفَ الْكَلَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَتَمَسَّكَ بِمَسْأَلَةٍ وَتَرَكَ الْحَرْكَ كَمَا مَطَّلَ الصَّغَارَى وَكَهْ
فَعَلْ هَذَا الْفَضْلُ يَنْبَغِي أَنَّ الْبَكْرِي أَحَدَ لَفْظِ الْإِسْتِغَاةِ وَهِيَ تَقْتَضِيهِ إِلَى الْإِسْتِغَاةِ
بِالْحَيِّ وَالْمَيِّتِ وَالْإِسْتِغَاةِ نَاجِي بَدْعٍ فِيهَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ حُجْلٌ حَكَمٌ ذَلِكَ كَمَا
وَاحِدًا وَلَمْ يَكْفِهِ حَتَّى حُلَّ السُّؤَالِ بِالشَّخْصِ مِنْ مَسْمُومِ الْإِسْتِغَاةِ وَلَمْ يَكْفِهِ
ذَلِكَ حَتَّى حُلَّ الطَّالِبِ مِنْهُ أَمَّا طَلَبُ مَنْ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُ فَاسْتَسْتَبْهَتْ بِهِ سَمِعَ اللَّهُ
نَمْ حُلَّ الْإِسْتِغَاةِ بِكُلِّ مَيِّتٍ مِنْ بِي وَصَالِحٍ مَائِزَةٍ فَدَحَلَ عَلَيْهِ الْخَصْمُ مِنْ وَجْهِهِ
مِمَّا لَهُ حُلَّ الْمُتَوَسِّلِ بِهِ بِدَعْوِهِ فِي دَعَاءِ اللَّهِ مُسْتَعَانًا بِهِ وَهَذَا لَا يَجُوزُ فِي
لُغَةِ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ لِاحْتِقَاقِ وَلَا مَحَارِمٍ مَعَ دَعْوَاهِ الْإِحْمَاعِ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الْمُسْتَعَانَ
هُوَ الْمُسْتَوَلُّ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ لَا الْمُسْتَوَلُّ بِهِ ، التَّائِي طَلَبُهُ أَنْ تَوْسَلَ الصَّحْبَةُ فِي حَيَاتِهِ
فَإِنْ تَوْسَلًا بِذَاتِهِ ﷺ لَا بِدَعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ فَكَوْنُ التَّوَسُّلِ بِهِ بِدَعْوَتِهِ
كَذَلِكَ وَهَذَا غَلَطٌ . الثَّالِثُ أَنَّهُ أَدْرَجَ السُّؤَالَ أَيْضًا فِي الْإِسْتِغَاةِ بِهِ وَهَذَا صَحِيحٌ
حَائِزٌ فِي حَيَاتِهِ وَهُوَ قَدْ سَوَّى فِي ذَلِكَ بَيْنَ حَيَاتِهِ وَبَيْنَاتِهِ وَمِمَّا أَصَابَ فِي نَقْطِ
الْإِسْتِغَاةِ لَكِنْ أَخْطَأَ فِي التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ وَهَذَا مَا عَلَيْهِ يَتَقَلَّبُ عَنْ أَحَدٍ
مِنَ الْعُلَمَاءِ لَكِنَّهُ هُوَ جُودٌ فِي بَعْضِ كَلَامِ السَّاسِ مِثْلَ الشَّيْخِ يَحْيَى الْبَصْرِيِّ
فِي شَعْرِهِ قِطْعَةً مِنْهُ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ لَهُ كِتَابُ الْمُسْتَغِيثِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ
فِي الْيَقِظَةِ وَالْمَنَامِ وَهُؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَالِمِينَ بِمَذَارِكِ الْأَحْكَامِ الدِّينِ
يُؤْخَذُ بِقَوْلِهِمْ فِي تَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَلَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ
شَرْعِيٌّ وَلَا يَتَقَلَّبُ عَنْ عَالَمٍ مَرْضِيٍّ بِلِ عَادَةٍ جَرَوْا عَلَيْهَا وَكَانَ بَعْضُ الشَّيْخِ الْوَحِيدِ
أَعْرَفَهُمْ وَلَهُمْ فَضْلٌ وَعِلْمٌ وَزَهْدٌ إِذَا نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ خَطَأَ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ
خَطَوَاتٌ مَعْدُودَةٌ وَاسْتِغَاةٌ بِهِ وَهَذَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَلِهَذَا لَمَّا بِهِ مِنْ نَبِهِ

من فضلاتهم ندموا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام بل مشابهة لعباد الاصنام ، انتهى .

وقال في الرسالة السنية فاذا كان على عهد رسول الله ﷺ ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يرفى أيضاً من الاسلام لأسباب منها الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغار في المسيح عليه السلام فكل من غلا في بي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرتي أو أغثنى أو ارزقني أو أنا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا ترك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده لا شريك له ولا يدعى معه إله والدين يدعون مع الله الهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلاق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون إنما نعبدهم ليقربونا الى الله زلي ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله سبحانه رسله تنهى عن أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة ، انتهى .

وقال أيضاً من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعاً نقله عنه صاحب الفروع ، وصاحب الانصاف ، وصاحب الاقناع وغيرهم والمقصود أن شيخ الاسلام رحمه الله جعل الاستغاثة بغير الله من الشرك الاكبر المخرج من الملة .

وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي رحمه الله في رده على السبكي في قوله إن المبالغة في تعظيمه - أي الرسول ﷺ - واجبة ان أريد به المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيماً حتى الحج إلى قبره ، والسجود له ، والطواف به ، واعتقاد أنه يعلم الغيب ، وأنه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وأنه يقضى حوائج السائلين ، ويفرج كربات المكروبين ، وأنه يشفع فيمن

يشاء ويدخل الجنة من يشاء ، فدعوى المبالغة في هذا العظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين ، اهـ .

(وأما قوله) فالغوث منه تعالى إنما يكون خلقاً وإيجاداً والغوث من النبي ﷺ إنما يكون تسبياً وكسباً .

فأقول : هكذا كانت شركوا الجاهلية حذر النعل بالنعل كابوا يدعون الصالحين ، والالبياء ، والمرسلين طالبين منهم التشفاعة عند رب العالمين كما قال تعالى (وعبدون من دون الله مالا يصرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ، وقال تعالى : (ما جئهم إلا لمقربونا الى الله زانين) على أن القول بأن اسناد الغوث الى الله تعالى اسناد حقيقي باعتبار الخلق والإيجاد وإلى الانبياء والصالحين اسناد محازي باعتبار التسبب والكسب بديهي الصلحان . بيانه من وجوه (الأول) أنه لو كان مناط الاسناد الحقيقي اعتبار الخلق ، والإيجاد كما توهمه صاحب الرسالة لزم أن يكون اسناد أفعال العباد كلها إلى الله تعالى حقيقياً ، فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق لأفعال العباد هو الله تعالى . وهذا يقضي أن يتصف الله تعالى حقيقة بالإيمان ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم . والحج ، والجهاد ، وصلة الرحم ، وغير ذلك من الأعمال الحسنة . وكذلك يتصف حقيقة بالأعمال السيئة من الكفر ، والشرك ، والفسق ، والفجور ، والربا ، والكذب والسرقة . والعقوق ، وقتل النفس ، وأكل الربا وغيرها ، فانه تعالى هو الخالق لجميع الأفعال حسنها وسيئها ، والترام هذا فعل من لا عقل له ولا دين ، فانه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدود ، واجتماع الأوصاف المتضادة ، بل المتناقضة .

وقد قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن نيمية قدس الله روحه وبور ضريحه ، في كتاب الاستغاثة في الرد على ابن البكري لما استدل بقوله تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) على ما لفته من أصاليه وما موه به من أباطيله وأساجيله .

قال في أنزاعه حيوانه على ما في القرآن الكريم من آيات ، قال في آيات القرآن الكريم : « أن أفعال العباد لا تسود أن نفس منهم تبارك الله عما يشركون » ، قال في آياته جلالة : « ومن قال انه لم يخلقها لا يجوز أن يقال : لا يخلقها الله ، ولا يخلقها غيره ، ولا يخلقها لا ركب ولا طاف ولا ركع ولا تحدد ولا صام ولا سعى ولا سكن الله سمى الذي أكل وشرب وقعد وركب ، وطاف ، وركع ، وتحدد ، وصام ، وسعى ، وسكن ، كانت أفعالا محمودة أو مذمومة ، وسواء كانت سببا لحرق الهادة أم لا . » ، فلا يقال : ان موسى ما ضرب بعصاه البحر ولا الحجر ولكن الله ضرب ، ولا يقال ان نوحا ما ركب في السفينة ولكن الله ركب ، ولا يقال ان اسحق ما ارتفع بل الله ارتفع ، ولا يقال ان محمدا ﷺ ما ركب الهرام بل الله ركب ، وأمثال هذا . والفعل المختص بالخلق لا يضاف الى الله إلا على بيان أن الله خلقه وجعل صاحبه فاعلا كقول الخليل عليه السلام (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن درني) وكما قال (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمية لك) وقال تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) ولا يقال ان الله يقيم الصلاة ويدعو الى النار ، ولا أنه قد أسلم ، وقال تعالى (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا) ولا يوصف الله بالهلوع والجزع . وجماع الامر أن الله لا يوصف بمخلوقاته . وهذه هي أدلة السلف وأهل السنة على أن كلام الله ليس مخلوقا ، قالوا : لأنه سبحانه لا يوصف بما خلقه في عبده ، فاذا خلق في غيره حركة ، أو طعما ، أو ريحا ، أو لونا كالسواد والبياض لم يوصف بأنه هو المتحرك بها ، ولا بأنه متروح أو أبيض ، أو أسود . واذا خلق في غيره سمعا ، أو بصرا ، أو حياة ، أو قدرة لم يوصف بذلك . واذا خلق في غيره كلاما لم يوصف بأنه هو المتكلم به ، يعبرون عن ذلك بأن الصفة اذا فامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل ولم يعد على غيره ، واشتق لذلك المحل منه اسم ولم يشتق لغيره ، فاذا خلق في محل حركة ، أو علما أو قدرة كان ذلك المحل هو المتحرك العالم القادر لا الخالق لتلك الصفة فيه ، انتهى .

(والثاني) أنه لو كان مناط الاسناد المجازي اعتبار التسبب والكسب

كما زعم هذا الزعيم لزمه أن يكون الإنسان حقيقة إنساناً ، ولا كاذباً ، ولا فاحراً ، ولا كاذباً فيسطل البحار ، ويأبى المرائع المحنة والبل ، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين . والثالث : أن دعوى كون الأنبياء والصالحين سبياً للغوث وكسباً له ، محساج إلى افادة الدليل ، ودونه لا تسمع ، وبالجملة فهذه شبهة داحضة ، روسوسة زاهقة ، تنادي بأعلى نداء على صاحبها بالجهل والسفه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وقد علم بصريح المظهر أن الله تعالى إذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك المحل . فإذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المنحرك بها ، وإذا خلق لوباً أو ريحاً في جسم كان هو المتلون المزروح بذلك ، وإذا خلق علماً ، أو قدرة ، أو حياة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحي . فكذلك إذا خلق إرادة وحجاً وبغضاً في محل كان هو المريد المحب المبغض ، فإذا خلق فعل العبد كان العبد هو الفاعل ، فإذا خلق له كذباً وظلماً وكفرآ ، كان هو الكاذب ، الطالم ، الكافر ، وإن خلق له صلاة ، وصوماً وحجاً ، كان العبد هو المصلي ، الصائم ، الحاح . والله تعالى لا يوسع بشيء من مخلوقه ، بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم إلى آخر كلامه رحمه الله .

فعلى زعم هذا المالحد أن الله تعالى هو الكاذب ، الطالم ، الكافر حقيقة لأن الله هو الخالق لذلك والموجد له حقيقة وإسناده إلى العبد مجاز ، سبحات هذا بهتان عظيم .

وقال صنع الله الحلبي رحمه الله : والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال ، أو أدراك عدو ، أو سبع ، ونحوه كقوله : يا يزيد يا للمسلمين بحسب الأفعال الظاهرة . وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير ، أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض ، وخوف الغرق ، والضيق ، والفقر ، وطلب الرزق ونحوه ، فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره . إلى أن قال : وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن تكون أولياء الله

بهذه المثابة فهذا ضن أهل الأوتان . كذب الحبر الرحمن (ثم شفعاؤنا عند الله ما عبدهم - إلا ليقرربنا الى الله زلي - ألتخذ من نومه آهة إني يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينعدون) فان ذكر ما ليس من تنأيه النفع ولا دفع الضر من بي وولي وغيره على وجه الامداد - منه انراك مع الله اذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا حيره ، الله .

فصل

(قال العراقي) وقد جور أحله العلماء الاستغانة بالموسل بالنبي ﷺ ولا يعارض جوازها بحبر أبي بكر رضي الله عنه ، فهووا بنا نستغيب برسول الله ﷺ من هذا المنافق . فقال انني عريخ . « انه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله » لأن من رواه ان سبعة والكلام فيه مشهور ولو فرضنا ان الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى (وما رميت إلا كما رميت ولكن الله رمى) وقوله عليه الصلاة والسلام : « ما انا بحلتكم وكركم الله حمدكم » فيكون معنى الحديث السابق اني وان يستغاث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغانة على من يحصل منه غيب ورو تسببا وكسبا أمر بطقت به اللغة وجوزه النرع فتعين تأويل الحديث المذكور ويؤيد ما بيناه في تأويله حديث البخاري في الشفاعة يوم القيامة ، فبما عم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ .

والجواب أن نقول : قد تقدم في كلام شيخ الاسلام ان تسمية ما بين كذبه على أجلة العلماء وأنه لم يجزء إلا أباس ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الاحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام ، ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضى بل عادة جروا عليها وقال أيضا في أثناء كلام له ، ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ، ولا غيرهم لا بلفظ الاستغانة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك ،

بل يعلم أنه هوى عن كل هذه الأسور ، وأن ذلك من التبرك الذي حرمه الله ورسوله ، ولكن لغلبة الجهل وفلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن نكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام ألا تفتن لها . وقال هذا أصل دين الاسلام ، انتهى .

(وأما قوله) ولا يعارض جوازها يحبر أى بكر رضى الله عنه قوموا بنا نستغيت برسول الله ﷺ الى آخره

(فالجواب) أن يقال : الكلام على هذا من وجوه (أحدها) أن ابن طيبة حرج له البخارى ومسلم جاوز الفطره ولا يقدح فيما رواه ابن لهيعة إلا جاهل بالصناعة والاصطلاح ، وهو قاضى مصر وعالمها ومسندها ، روى عن عمه ابن أبى رباح والأعرج وعكرمة وحام ، وعنه زهبة بن الحجاج وأبو المؤمنين في الحديث وعمرو بن الحارث والالب بن سعد وابن وهب ، وحام طعن في ابن لهيعة بقول بعض الناس لزمه الطعن في كثير من الأكاابر المحدثين كسعيد المقبرى وسعيد ابن أناس الجري وسعيد بن عروبة واسماعيل بن أبان وأزهر بن سعد السمان البصرى وأحمد بن صالح المصرى وأبى ليثان ، وأما لحم من خرج لهم البخارى وغيره من الأئمة ، وعلى كل حال ، فهو خير من هؤلاء الذين أجازوا الاستغاثة برسول الله ﷺ ، وأعلم بكتابات الله وسنة رسوله منهم وبأقوال أهل العلم (الثانى) أنهم معارضون بأجل مهم وأفضل وأعلم بمحدود ما أنزل الله على رسوله كما سذكروه عنهم ان شاء الله تعالى .

(الثالث) أن ابن لهيعة كان اماماً محدثاً من أفاضل العلماء ولم ينقمه أحد بالغلو في الانبياء ولا الصالحين ، ولا بسىء من العقائد المبتدعة المحدثه في الاسلام ولكنه كان يدلس عن الضعفاء ، ثم احترقت كتبه ، وليس هذا الحديث من الاحاديث التى دلس فيها ، فمن هنا قال فيه من قال ، قال عمرو بن على : من كتب عنه قبل احتراق كتبه مثل ابن المبارك وابن المقرئ أصبح ممن كتب عنه بعد احتراقها وقال ابن وهب كان ابن لهيعة صادقا ، وقال ابن وهب أيضاً ، حدثني

الموصوف انصار المذهبين ، بحيث استجروا ، أو لم يستجروا ، بالخط
 الاستغاثة يستندوا ، ثم العبادة ، وبالأقل قد حمله إلى الله سام الله وأسمائة
 ذكره عليه السلام إطلاعه عليه ، ويقدر عليه حماية الحجاب ، الترحيل
 وبألدريمة الدماء ، وأن كان يجوز اصطائه بما يجر إليه المحلوى شفايد حجاب
 "وحيد من مقاصد الرسول ومن في أحد هذه التسمية المحلوية ، ثبت ذلك من
 له (وما دميت ، أدركت ، ولكن الله وحى) قال الرمي للمسيح من الرسول
 إصالح التراب إلى أعينهم كلها ، لأن هذا لا يقدر عليه إلى الله ، ربما يسر
 الرمي المنبت من ربه عليه السلام فقد فوض رسول الله عليه السلام عضمة من الزاب والخص
 ورمى به قبلهم حقيقة لا محازاً ، وهذا من حصائص الرسول عليه السلام لا يمكن
 لأحد بعده ، ولو كان هذا لأحد بعده لم يكن فيه مبرجة لرسول الله عليه السلام ،
 فله لم يبق أحد منهم إلا وقع في عينيه من ذلك الزاب تنبؤهم نحو أرواحه
 آلاف رحل فزهمهم الله بسبب هذه الرمية حقيقة لا عندها ولا معها بل بها .
 وكذلك فوله عليه الصلاة والسلام ، ما أبا حمايتكم ولكن الله حاكم على
 حبه فان الله هو الذي حملهم بأن يسر لرسول الله عليه السلام دور ذات حمولة
 حياهم بأمر الله لأنه عليه السلام عند ما سور منهي لا يصل دائما إلا أمر الله له ،
 فنبه الحمل إلى الله حقيقة فضا . ودرأ وإلى من حملهم بأذن الله السبي السري
 حقيقة لا مجاراً . وحمله انما أمر مقدور عليه غير مسمع فكان من المعلوم أن
 رسول الله عليه السلام كان متصرفا بأمر الله مفعلاً له فالله سبحانه أمره بحملهم فنفذ
 أوامره فكان الله هو الذي حملهم وهذا معنى فوله « أنى لا أعطى أحدا شيئاً
 ولا امنعه » ولهذا قال : « وأما أنا قاسم » فالله سبحانه هو المعطى على لسانه
 وهو يقسم ما قسمه بأمره .

(قوله) فيكون معنى الحديث السابق أنى وأن يستغاثى بالمستغاث به في
 الحقيقة هو الله تعالى .

(أقول) هذا التأويل مخالف للفظ الحديث ولمعناه وقد تقدم الكلام عليه
 فلا معنى لصرفه عما يقتضيه إلى ما لا يدل عليه لغة ولا شرعاً .

(وفوله) وبالحيلة فاعلان لغص الاستغاثه على من يحصل منه غوت
ولو سديا وكسبا . أمر سلفت به النعمة بجوزة السرع

(فأقول) بهذا كثر على اللغة وعلى التوسع ، أما النعمة فان الافعال العادية
القائمة بفاعلها تنسب اليه وتضاف اليه حقيقة من اصافة الفعل إلى فاعله فيقال
أكل وشرب وقام وفعل وحكى ودعا واستغاث حقيقه لا محاراً باجماع العقلاء ،
وأما ترعا فان الله قد رتب حصول الخيرات في الدنيا والآخرة ، وحصول
الشروع في الدنيا والآخرة ، والتعاطي ونسوان في كتابه على الاعمال ترنس
الحراء على الشرط ، والمعقول على العلة والمسبب على السبب وهذا في القرآن
يزيد على ألف مرصع كما نسدم بانه في كلام ان التسم رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) ويريد ما ينادى في آريل حبيب البحارى في الشفاعة يوه
القبامة فبما هم كذلك استغاثوا آدم ثم موسى ثم محمد عليه السلام

فالجواب أن هول هذا ليس بما نحن فيه فان الاستغاثه بالمخلوف على نوعين
(أحدهما) أن يستغاث بالمخلوف الحى فيما يندرج على الخوف فيه مثل أن يستغاث
المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر ويحمل نفسه وبين عدوه الكافر
ويدفع عنه سبعا صائلا أو لصاً أو نحو ذلك . ومن ذلك طلب الدعاء لله من
بعض عباده لبعض وهذا لا خلاف في جوازه ، والاستغاثه الواردة في
حديث المحشر من هذا القبيل فان الانبياء الذين استغاثت اعبادهم يوم القيامة
يكونون أحياء وهذه الاستغاثه إنما تكون بأن تأتى أهل المحشر هؤلاء الانبياء
يطلبون منهم أن يشفعوا لهم الى الله سبحانه ويدعوا لهم بفصل الحساب
والاراحة من ذلك الموقف ولا ريب أن الانبياء قادرين على الدعاء فهذه
الاستغاثه تكون بالمخلوق الحى فيما يقدر على الغوت فيه والثانى أن يستغاث
بمخلوق ميت أو حى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وهذا هو الذى يقول فيه
أهل التحقيق انه غير جائز .

(فان قلت) هؤلاء المستغاثون بالأموات أو الغائبين أيضاً يطلبون منهم أن
يشفعوا لهم الى الله تعالى ويدعوا لهم بقضاء حاجاتهم وهم قادرين على ذلك

فتكون استنساخهم بدء من قبيل النوع الأول (فيل) هذا فيه خلل من رجوع (الأول) ان فيه ذهول عن قيد : حتى والمراد بالحناء الدموية لا الررخية (والثاني) ان طاهر ألقاظهم مثل فولح يارسول الله اشف مريضى واكشف عني وهب لى ولدآ ووز فاراسعاً ونحو ذلك دان على أنهم لا يطلبون منهم الشفاعة بل يطلبون شفاء المريض وكشف الكربة وإعطاء الولد والرزق ونعم غير فاذير على تلك الأمور . (الثالث) أن هؤلاء المستخبتين بالأموات والغائبين يدعونهم ويستغيثون منهم من أما كن مختلفة ومواضع بعيدة معتقدين أن الاموات والعائين يعلمون استغاثتهم ويسمعون دعاءهم من كل مكان وفى كل زمان ولا ريب أن هذا إثبات لعلم الغيب لهم الذى هو من الصفات المختصة بالله تعالى فيكون شركاً وبهذا وبما تقدم يندفع تأويل الحديث على ما تأوله عليه من المحال الباطل والله أعلم .

فصل

قال العراقي : لنا على جواز التوسل والاستغاثة دلائل منها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) قال ابن عباس إن الوسيلة كلما يتقرب به الى الله تعالى . والوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالأفعال وهو تحكم بل ظاهر الآية تخصيصها بالدوات فانه تعالى قال فى هذه الآية (اتقوا الله) والقوى عبارة عن فعل المأمور به وترك المنهى عنه فاذا فسرنا الوسيلة بالأعمال كان الأمر بابتغاء الوسيلة اليه تأكيداً للأمر بالقوى بخلاف ما إذا أريد بها الدوات فان الأمر حينئذ يكون تأسيساً وهو خير من التأكيد .

والجواب أن نقول : قد استدلل بهذه الآية طاغية العراقي داود بن جرجيس على نحو مما ذكره هذا إلا ان هذا أسقط من جواب داود نسبة الكلام الى البغوى وهذا لم يذكره عنه وأجابه على ذلك شيخنا الشيخ عبد اللطيف فقال : والجواب أن يقال : الله أكبر على هؤلاء الضلال الكاذبين على الله وعلى رسله البدلين لدينه المحرفين للكلم عن مواضعه وهذا الكلام الذى ذكره العراقي جمع فيه من التحريف والالحاد والكذب والقول فى كتاب الله برأيه ما سيمر بك بيانه مفصلاً ، وفى الحديث : من قال فى القرآن برأيه - وفى رواية بما لا يعلم -

فليتبوا مقعده من النار . رد ذكر الحافظ . كما مر على قوله تعالى (يا أيها
الذين آمنوا آمنوا بالله راستمعوا له) . كما ورد قول هذا العراقي وبطله
قال رحمه الله تعالى : أمر سبحانه المؤمنين بعبادة وهي إذا فورست بالطاعة كان
المراد بها الاستكفاف عن المحارم وترتب أسبغى عنه وقد قال بعدها (وابتغوا إليه
الوسيلة) قال سفيان الثوري عن طاحنة عن عطاء عن ابن عباس أي القرية وكذا
قال مجاهد وعطاء وأبو رابل والحسن وقتادة وعبد الله بن كسير والسدي وأبو زيد
قال قتادة أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه ، وفراً ابن زيد (أولئك الذين
يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين
المفسرين فيه واشهد ابن جرير قول الشاعر :

إذا غفل الواشون عداً لوصلنا وعاد الضالين سناً والرسائل

والوسيلة هي ما يتوصل به إلى تحصيل المقصود ، انتهى . وقال البغوي : أي
اطلبوا إليه الوسيلة ، أي العربة ، فعليه من توسل إلى فلان بكذا أي نفرت إليه
وجمعها وسائل . وقال البيضاوي على قوله (وابتغوا إليه الوسيلة) أي ما يتوسلون
به إلى ثوابه والزلفى منه من فعل الطائعات ، وترك المعاصي من وسل إلى كذا إذا
تقرب إليه وقال في الكلام على آية الاسراء (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى
ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله العربة بالطاعة أيهم أقرب بدل من
واو يبتغون أي يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب
وقال بن كثير وقوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب)
روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر
عن عبد الله في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة)
قال ماس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا وذكر رواية عن ابن مسعود كانوا
يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن وذكر عن ابن عباس قال عيسى وأمه
وعزير وعنه الشمس والقمر قال مجاهد عيسى وعزير والملائكة واختار ابن جرير
قول ابن مسعود لقوله يبتغون وهذا لا يعرب به عن الماضي فلا يدخل فيه عيسى
والعزير وقال الوسيلة هي القرية كما قال تعالى ولهذا قال (أيهم أقرب) ، انتهى .

واختار سبع الإسلام ان الآلة نعم من ذكر غيرهم من عباده المسكرين
 من أولياء الله. رعباده الصالحين غيرهم. ما ذكره البغوى فان المفسرين
 ذكروا ابتغاء الوسيلة وهو طلب القربة. فتقدم قول البيضاوى فى قوله أيهم
 أقرب أنه بدل من الواى فى بينهم . وقال أبو سفيان العكبرى أيهم مبنى
 وأقرب خيرهم وهو استفهام والجملة فى موضع نصب يدعون وعلى كلا القولين
 لا يصح ما ذكره البغوى من توسل بعضهم ببعض وفى الخلاص أولئك الذين
 دعونهم آلهة يبتغون بطلبون الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة أيهم بدل من راء
 يبتغون ، أى يبتغيها الذى هو أقرب اليه ، فكيف بغيره اذا عرف هذا نبيز
 فساد قول البغوى فى آية الاسراء فان التوسل فى التعرف السريع قبل ما يتوسل
 به الى الله من الإيمان به والعمل انصالح الذى تترده ويرصاه كما فى حديث الثلاثة
 الذين آووا الى الغار فانطبت عليهم الصخرة هذا هو التوسل المعروف كما علمه
 أهل الإسلام من المفسرين وغيرهم . ومن قول قتادة ، أى تقربوا اليه بطاعته
 والعمل بما يرضيه ، ونقدم قول ابن كثير بعد حكاية هذا ، وهذا مما لا خلاف
 فيه بين المفسرين ، فذكر الاجماع على ان المراد القربة بالعمل الصالح وما يرضاه
 تعالى ثم لو سلم صحة ما ذكره البغوى ، فليس المراد أن بعضهم يدعوا من هو
 أقرب منه ويسأله الشفاعة والتقرب ، بل التوسل يطلق عنده على سؤال الله
 بجاه المقربين وبحق الصالحين لا كما يظنه عباد القبور من أن التوسل هو دعاء
 الصالح نفسه وقصده بالمسألة والطلب من دون الله والتقرب اليه بالذبح والنذر
 وغيرهما من العبادات ، فان هذا عين الشرك الذى نزلت الآية بابطاله والرد
 على أهله ، فان الجاهلية من الأميين والكتائبين يدعون الملائكة وعيسى
 وأمه والعزير ويتوجهون اليهم فى حاجاتهم وملياتهم ويتقربون اليهم بصرف
 الأموال ذبحاً ونذراً ، فرد الله عليهم هذا الفعل من صنيعهم ، وأخبرهم أن
 هؤلاء المدعوين لا يملكون كشف الضر ولا تحويله من حال الى حال ،
 لأن من عبد الانبياء والصالحين يدعى أنه يكشف الضر بواسطتهم وعلى
 أيديهم ، كما يقوله عباد القبور . فأخبرهم تعالى أن هؤلاء المدعوين عبيده ،

كما أن الداعين عباده وأنهم برحمة ويخافون عذابه والخائف الراجي لا يصلح أن يكون مدعياً ومجرباً لأنه الآلة الكريمة وما دلت عليه وما سبقت له وأطر حقيقة دعوى العرائ وما فعله الغلاة في الأولياء والصالحين ومسألتهم وتعظيمهم ليس من العبادات كالبدع والنذر لهم وعلى أبطال دعواه أيضاً في التوسل الشركي بالصالحين ودعائهم ومسألتهم وبهذا تعرف أنه مشافى لله ورسوله يستدل بالآية الكريمة على قبيض ما دلت عليه وفهم منها عكس ما دعت إليه ويمكننا حال القلوب المنكوسة تصور الأشياء على خلاف ما هي عليه وأهل العلم كافة استدلوا بهذه الآية على أبطال التوسل الشركي الذي هو دعاء الصالحين . والعرائ استدل بها على جوارده واستجابته ، فبعداً للقوم الظالمين .

وأما قول العرائ فظاهر الآية عام في الأفعال والدوات هذا قول داود وقال صاحب هذه الرسالة والوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالأفعال وهو تحكم بل ظاهر الآية تخصيصها بالدوات .

قال شيخنا فهذا بكذبه ويضله مامر من اجماع المفسرين على أن الوسيلة هي التقرب الى الله بطاعته وبما يرضه مما شرعه وأذن فيه والتوسل الذي يريده العراقي بذات الصالحين هو دعائهم ومسألتهم وتعظيمهم بالعبادة ونقدم كلام ابن القيم في أنه يستحيل أن تأتي شريعة من الشرائع باباحة ذلك .

وقوله ومن ادعى التخصيص بأحدهما فقد نكح في هذا القول من سوء الأدب مع الشارع والجرأة على الله وعلى رسوله ما يعلمه أهل العلم بدينه الذين عقلوا عن مراده وعرفوا أنه أخص القرب التي يحبها ويرضاها ونهى عن مجاوزتها الى البدع والضلالات فالخصص للقرب والوسائل هو الله ورسوله قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ثم اقتحم العراقي وأتى بقوله يضحك منها صبيان المكاتب فقال على أن ظاهر سياق الآيات تخصيصه بالدوات فأتى على ما قاله المفسرون قاطبة فهدمه واجتث أصله ورده

من لا يؤمن بالكتاب ولا يخاف سواء الحساب واستدلاله، على تلك الدعوى الضالة بأن التقوى فعل المأمور وترك المنهى عنه وإذا فسر ابتغاء الوسيلة بالأعمال يكون تأكيداً فيكون مكرراً وإذا أريد التوسل بالدوات يكون ناشئاً وهو خير من التأكيد هذا كلامه بحروقه وكفى بهذا خزيًا وفضيحة وتسجيلاً على جهالة وانه ما عرف شرعاً ولا لغة ولا ديناً وهذا سرود بوجوه .

(الأول) ان ابن كثير قرر أن التقوى إذا قرئت بالطاعة أو الوسيلة كان المراد بها الاكفاف عن المحارم وترك المنهى كما في هذه الآية والوسيلة هي التقرب الى الله بأنواع الطاعات وأصناف العبادات وسراده أمها إذا أطلقت ولم تقترن بغيرها دخل فيها فعل المأمور وترك المحذور وهكذا اسم العبادة والطاعة نعم عند الإطلاق وتخص مع الاقتراح والتقييد . فالدراقي لم يعرف معنى التقوى في هذا المحل وخطب خطب عشواء .

(الوجه الثاني) أن الوسيلة ما يقرب الى الله تعالى والتقوى تطلق على ما يتقى به عذابه ويرجى به ثوابه فلو قيل بهذا الإطلاق هنا فالقرب الى الله وطلبه أخص مما قبله .

(الوجه الثالث) ان التأكيد يكون خبراً من التأسيس اذ اقتضاه الحال وقصد رفع المجاز وإبطال توهمه أو قصد بيان خصوصية الفرد المعطوف والاهتمام به كما في قوله تعالى (الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) .
(الوجه الرابع) أن التأسيس لا يجري هنا ولا يصح قصده .

فصل

قال العراقي : ومنها قوله تعالى (أولئك الذين يستغنون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة وتفسير الآية أن الكفار يعبدون الأنبياء والملائكة على أنهم أرباب فيقول الله لهم أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون الى الله بمن هو أقرب فكيف تجعلونهم أرباباً وهم عبيده مفتقرون الى ربهم متوسلون اليه بمن هو أعلى مقاماً منهم .

والجواب أن يقال : وهكذا قال داود بن جرجيس وقد أجابه الشيخ

فقال والحوائف أولاً لولا ما به من الخسران من ربه من الضالة الكاذبة
التي تتضمن الكذب على الله وحرمان كتابه ، وتغيب عنه ، والقول عليه بغير
علم لما جارت حكاية هذا الالفاظ وعمله ، والله سبحانه ذكر أقوال أعدائه
وأعداء رسله في معرض إرد لها ، وإصطفاها ، والتسجيل على ضلالة أهلها ، فاما
ما نقله عن البغوى فقد حرفه وكذب فيه ، وهذه عبارة البغوى نسرقها بحروفها ،
قال في قوله تعالى : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) يعنى
الذين يدعونهم المشركون آلهة ويعبدونها . قال ابن عباس ومجاهد : هم عسى
وأمه وعزير والملائكة ، والشمس ، والقمر ، والنجوم يبتغون أى يطلبون إلى
ربهم الوسيلة أى القربة ، وخيل الوسيلة الدرجة العليا ، أى يتضرعون إلى الله
في طلب الدرجة العليا ، وقيل الوسيلة كما ينصرف به إلى الله عز وجل ، وقوله :
(أيهم أقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيترسبون به . وقال الزجاج
(أيهم أقرب) يبتغى الوسيلة إلى الله ، ويتقرب إليه ، بالنسبة الصالح هذه عبارة
البغوى بحروفها .

وقد تصرف فيها هذا الضال حذف منها قول ابن عباس والشمس والقمر
والنجوم ، وحرف قوله يطلبون إلى ربهم الوسيلة أى القربة ، فقال العراقى كل
ما يتقرب به إلى الله ، وعبارة البغوى القربة وحذف قول البغوى ، وقيل
الوسيلة الدرجة العليا أى يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا وزاد في
قوله ينظرون أيهم أقرب إلى الله فقال العراقى وأعلى جاهاً وزاد ويتشفعون به
إلى ربهم هذا تحريفه لكلام البغوى .

قلت وأما صاحب الرسالة فانه ألطف في التحريف وأجراً على الله بالكذب
من داود فان نسب الكلام إلى البغوى وحرفه ونصرف فيه وزاد وهذا
جزم ان تفسير الآية أن الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على أنهم أربابهم
كما ذكر داود وذكر هذا كما ذكر داود إلى آخره والمقصود انهم يغتفون من
عين واحد . قال الشيخ في جوابه والرجل يشتهى يأخذ ما يهوى ويدع ما هو
الأولى والأقوى فأول عبارة البغوى ترد قوله ينظرون أيهم أقرب إلى الله

فيتوسلن في القرآن التسمير والفساد والحرية لا يأتى من الله ولا ملائكة رسل
وعيسى لم ير قتل ولا حجة ولا شيطان على أن يرضى به آل الله ببعض ريتوسل
به ويقصده في حاجاته وملها: فما باله البذر وما شير مسلم ردد فقام كلام
المفسرين وأهم لم يرتضوا هذا ولم يملأ أحد منهم وتهدم عيون من كسر في
تفسير قتادة لا خلاف بين المفسرين في ذلك، ونصدم قول أن حفص
والبيضاوي والجلالين فعند العراقي عن هذا كله رخصك الاتهام كما قال
ابن القيم: وأعرض التصاريح عن الأصول المحكمة وتمسكوا بالمشابهة على أن
عبارة البغوى ليس فهم ساهل ودليل لعباد القور بل هي نادى على شدة فأن
التوسل الذى يسيرون اليه وينصرفون اليه سلبه عند الاطلاع على البراءة السريعة
ومنه دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كالأسباب العارضة وقد يراد بالتوسل في عرف
بعض الناس سؤال الله تعالى بحق أهله وبناته وعلى كل فليس فيه دليل لسوء الموقر
والغائبين كما يفعله عباد القبور من الصليين والمسركين ويحتمل أنه أراد بنونه
أن ينظرون أيهم أقرب جتوسلن به حتى يصححاً سرعاً ومن الأغداء منهم
وسلوك سيئهم واقنعاء آثارهم قال تعالى: أذانت الدن منى الله فهاهم
أقده) وقد يمين هذا الاستعمال من رخص إحسان الطن بالهلاء.

وقول العراقي في معنى الآية إن استشار يبدون الألباء والملائكة على أنهم
أربابهم يريد به أن المشركين يعتقدون أن آلهتهم تقاتل وترزق وتزبر وهذا
قد رده القرآن وأبطله في غير موضع كما عدم نزيه والراقى يابى إلى هذا لتلا
يدخل ما فعله عباد القبور فيما نهى: "أرأيت من اتخذ الآلهة من دون الله
وعبادتها معه وهذا لازم لعباد القبور لا محيص عنه والحكم يدور مع علته
والقرآن كفر المشركين وأسكر عليهم دعاء غير الله ومحبة سواه وتعظيم ما يدعى
معه بالذبح والنذر وسائر العبادات قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون
الله أنداداً يحبونهم كحب الله) ، وقال: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا
يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) ، وقال تعالى: (ومن يدع مع الله إلهاً آخر
لا برهان له به) ، وقال تعالى: (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك

فان فعلت فالك اذا من الظالمين (وقال تعالى) وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) والآيات في المعنى كثيرة بين تعالى انه كفرهم وأسكر عليهم وتوعدهم بالنار على عبادة غيره ودعا سواه بالعصاة فعل العبد الذي هو الحب مع الله والخضوع والتعظيم والدعاء رغبا ورهبا واضلا الارباب على الآلهة كقوله تعالى (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) وقوله (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) ونحو ذلك انما يراد به ما ذكرنا لأن المعبود يسمى رباً وهذا مما لا خلاف فيه بين المفسرين بل السدس يسمى رباً فتدبه لهذا فقد زل بهذه الشبهة كثير من المنتسبين الى العلم والدين ثم ذكر الشيخ كلاما طويلا عن شيخ الاسلام قال في آخره وهذا كان من أنباغ هؤلاء من بسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ونصوم ونداءات لهذا ونقرب اليها ثم يقول ان هذا ليس بشرك وانما الشرك اذا اعتقدت أنها المدبرة الى فاداء جعلتها سدياً وواسطة لم أكن مشركا ومن المعلوم بالاضطرار من دين المسلمين ان هذا شرك ، انتهى . فتأمله فان فيه حكاية قول سلف هذا العراقي وفيه أن ما قاله العراقي تشرك يعلم بالاضطرار من دين الاسلام والله المستعان .

وأما قول العراقي فيقول الله تعالى أوأمك الذين تعبدونهم يتوسلون إلى بمن هو أقرب يعني فهم محتاجون فقد كذب على الله ما عني سبحانه وتعالى بهذا المعنى ولا أراده تبارك وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً ما أجر هذا المتكلم على الله وعلى كتابه وعلى دينه قدرهم يخصوصوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وتقدم قول المفسرين .

وقول شيخ الاسلام ان هؤلاء المدعوس عبيده كما أن الداعين عبيده واهم يرجون رحمته ويخافون عذابه نعوذ بالله من اقتحام هذه المهالك والتوئب على تلك الدركات التي تهوى بصاحبها إلى أسفل سافلين قال تعالى (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن واللاتم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وقال تعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خيرا أم يأتي آمنا يوم القيامة عملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير) .

فصل

قال العرافي: ومنها قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ارجدوا الله توابا رحيمًا) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك صريح دلالة على جواز النوسل به ﷺ وقبول المنوسل به كما يفهم من قوله تعالى (لو جئوا الله توابا رحيمًا) وأنت تعلم أن استغفاره ﷺ لأسته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الأحاديث الواردة مما سنقله لا يقال إن الآية وردت في قوم معينين فلا عموم لها لآما بقول إنها وإن وردت في قوم معينين في حياته ﷺ تعم بعموم العفة كل من وجد فيه ذلك الوصف سواء كان في حال حياته أو بعد موته ﷺ.

والجواب أن بقول: قد سفي هؤلاء إلى الاستدلال بهذه الآية السبكي نحو ما قال هذا وأحابه الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي رحمه الله تعالى فقال: أما استدلاله بقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) الآية، فالكلام فيها في مقامين: أحدهما عدم دلالتها على مطلوبه، الثانية بيان دلالتها على بقيضه، وإنما يتبين الأمران بفهم الآية وما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا الحجى، إليه في حياته ليستغفر لهم، وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا الحجى إذا ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون) وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضى بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطوائف دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم حيث لم يحجى إلى رسول الله ﷺ يستغفر له فإن الحجى إليه يستغفر له توبة وتنصل من الذنوب وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضى التوبة جاء إليه فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، وهذا كان فرقا بينهم وبين المنافقين، فلما استأثر

الله عز وجل بوجه صحيح ، بل هو الذي لا يملك الموت . فمن أين أتى من قال : كذب الله تعالى . كذبوا في حق الله عز وجل ، ومن
قطب بأقنى إلى فرعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكذبوا به . وكذبوا في حق الله عز وجل ، ومن
فل هذا من أحد وجهي حذر الكذبة . وأورد عطل الصحابة
والتابعون وهم خير الفروع على ، لا طلاق لهذا الزايم الذي دم الله سبحانه من
تخلف عنه ، وجعل التخلف عنه من أسرار الرافضات ، ووقف له من لا يؤبه له
من الناس ، ولا يعد في أهل العلم فكيف أعتس بهذا الأئمة الاسلام وهذا الامام
من أهل الحديث ، والفقه ، والتفسير . ومن لهم لسان صدوق في الامة ، فلم
يدعوا اليه ، ولم يحضروا عليه . ولم يرسلوا اليه . ولم يجعله أحد منهم البتة ،
بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما نسو العلاقة فيما يكرهه ويهي عنه من
الغلو والشرك الجفافة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية . ولما كان هذا
المنقول شجى في حلوف الغلاة ، وفدى في عيونهم ، ورية في قلوبهم ، قابله
بالكذيب والطعن في الناقل ، ومن اسنحيا منهم من أهل العلم بالآثار قابله
بالتحريف والتبديل وبأنى الله إلا أن يعلى مزار الحق . ويظهر أدليه ليهدى
المسترشد ، ونقوم الحجة على المعاند فبعلى الله باحق من يشاء . ويضع برده
وبطره وغمص أهله من بشاء ، وباللَّهِ العجب أكان ظلم الأمة لأنفسها وبينها بين
أظهرها موجود ، وقد دعيت فيه الى الحجى ، ليسغفر لها . ودم من تخلف عن
الحجى ، فلما توفى ﷺ ارتفع ظلها لأنفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم الى الحجى
لبستغفر له ، وهذا يبين أن هذا التأويل الذى تأول عليه المعارض هذه الآية
تأويل باطل قطعاً ولو كان حقاً لسبقوا اليه علماً وعملاً ، وارشاداً وصيحة .
ولا يجوز احداث تأويل فى آية . أو سنة لم يكن على عهد السلف ، ولا عرفوه ،
ولا بينوه للأمة ، فانه ينضمن أنهم جهلوا الحق فى هذا ، وضلوا عنه ، واهتدى
اليه هذا المعارض المستأخر ، فكيف اذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه ،
وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب فى رده ، وانما شبه عليه بعض التنبيه .
وما يدل على بطلانه قطعاً أنه لا يشك مسلم أن من دعى الى رسول الله ﷺ فى
حاته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن الحجى وأباه مع قدرته عليه كان

مدموما غاية الامم . صراط مستقيم . لا تكبرك لك من دعوى
ومن سوى بني النضير ، وبنو النضير ، بن ربيع النضير ، فقد جاهدوا بالباطل .
وقال على الله . وكلامه . ورسوله . وآله . عليه . السلام . واما دلاله الآية على
خلاف تأويله فهو انه سبحانه صدرها بفوائدها . وما أرسلنا من رسول الا ليطاع
بإذن الله ، ولو أنهم إذ ظاهروا أنفسهم جاؤرك فاستغفروا الله واستغفرهم
الرسول (وهذا يدل على أن محبتهم اليه ليستغفر لهم إذ ظهروا أنفسهم طاعة له .
ولهذا دم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يهل مسلم فعد أن تلى من ظلم نفسه به .
موته أن يذهب الى قبره ويسأله أن يستغفر له . وإن كان هذا طاعة له لكان حين
القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفقى هذا هؤلاء الغلاة الصفاة ، وهذا
بخلاف قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فإنه بنى الإيتان
من لم يحكمه ، وتحكيمه هو تحكيم ما جاء به حياً وميتاً ، ففى حياته كان هو الحكم
بينهم بالوحى ، وبعد وفاته نراه وخلفاؤه يصرح ذلك أنه قال « لا تجعلوا قبرى
عيداً ، ولو كان يشرع لكل مذهب أن يأتى الى قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم
أعياد المذنبين ، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به ، ولو كان مشروعا لأمر به
أمته وحضهم عليه ، ورغبهم فيه ، ولكان الصحابة وتابعوهم بإحسان أرغب
شئ فيه وأسبق اليه ، ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع
الأسانيد أنه جاء الى قبره استغفر له ، ولاشكا اليه ، ولا سأله ، والذي صح عنه
حجى القبر للتسليم فقط ، هو ابن عمر ، وكان يفعل ذلك عند قدومه من السفر ،
ولم يكن يزيد على التسليم شيئاً البتة ، ومع هذا فقد قال عبيد الله بن عمر العسرى
الذى هو أجل أصحاب نافع ، أو من أجلهم ما يعلم أحد من أصحاب النبي ﷺ
فعل ذلك إلا ابن عمر ، ومعلوم أنه لا هدى أكمل من هدى الصحابة ،
ولا تعظيم لرسول الله فوق تعظيمهم ، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، فمن
خالقهم إما أن يكون أهدي منهم ، أو يكون مرتكباً لنوع من البدع ، كما قال
عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لقوم رأيهم اجتمعوا على ذكر يقولونه : لا تتم
أهدى من أصحاب محمد ﷺ . أو أتم على شعبة ضلالة ، فتبين أنه لو كان

استغفاره لمن حازه مستغفراً بعد موته ممكناً أو مشروعاً لكان كمال شفقه
ورحمته بالآمة تقتضى ترغيبهم في ذلك وحضهم عليه ، انتهى
(وأما قوله) فقد عاقى تعالى قبول استغفارهم باستغفاره وهذا حق ولكنه
في حال حياته لا بعد وفاته .

(وقوله) وفي ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به ﷺ وقبول
المتوسل به .

فأقول : نعم هذا حق فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون به في حال
حياته كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسل
إليك بنبينا فتسقينا ، وأما توسل إليك بعد موتنا فاسقنا ، فلو كان التوسل به بعد
وفاته جائزاً لما عدل الفاروق إلى عمه العباس مع إمكان التوسل به عند قبره
لو كان جائزاً ، ومن المعام أن التوسل المشروع إنما هو بدعائه كما تقدم بيانه ،
وكما سيأتي ان شاء الله . بل في ذلك أصرح دلالة على المنع من التوسل به التوسل
الشرعي بعد وفاته بدليل أنه لا أكمل من هدى الصحابة ، ولا تعظيم للرسول
فوق تعظيمهم ، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، ومع ذلك لم يكن أحد منهم
قط يأتي إلى قبره ويقول يا رسول الله : فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، ومن
نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت .

(وأما قوله) وأنت تعلم أن استغفاره ﷺ لآمته لا يتقيد بحال حياته
كما دلت عليه الأحاديث الواردة بما سنقله .

فأقول : لو كان طلب الاستغفار منه ﷺ جائزاً بعد وفاته عند قبره أو من
مكان بعيد منه ، أو كان مشروعاً لأمر به أمته وحضهم عليه ، ورغبهم فيه ،
ولكان الصحابة رضي الله عنهم وتابعوهم باحسان أرغب شيء فيه وأسبق إليه ،
ولم ينقل عن أحد منهم قط ، وهم القدوة بنوع من أنواع الأسايد أنه جاء إلى
قبره ليستغفر له ، ولا شكا إليه ، ولا سأله ، وقد تقدم بيان هذا .

(وأما قوله) لا يقال ان الآية وردت في قوم معينين فلا عموم لها إلخ .
فأقول : نعم الأمر كما أقر به الخصم في هذا المقام من أن الآية وردت في

قوم معبّين من أهل النفاق يدل عليه قوله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) فهي تعم ما وردت فيه وما كان مثله فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه من كل منافق قيل له تعال الى ما أنزل الله وإلى الرسول فصدّ عن الرسول صدودا وتحاكم الى الطاغوت . ثم جاء الرسول في حياته فاستغفر الله واستغفر له الرسول في حياته ، وأما المؤمن الذي عصي وظلم نفسه فجاء قبر الرسول ﷺ فاستغفر الله فليس مثله لما تقدم بيانه .

فصل

(قال العراقي) ومنها قوله تعالى (استغاثه الذي من تبعته على الذي من عدوه) فنسب الله تعالى الاستغاثة الى غيره من المخلوق ، وكفى به دليلا على جوازها ، فان قيل ان المستغاث في هذه الآية حي وله قدرة ، وانما كلاسنا في الميت ، أوجب بأن نسبة القدرة اليه ان كانت استقلا لا فهي كفر ، وان كانت بقدرة تعالى على أن يكون هو السبب والوسيلة ليس إلا فلا ، فرق بين الحي والميت ، فان الميت له كرامة ، واذا لم تنسب الى الله حقيقة والى غيره محازا كانت الاستغاثة ممنوعة ، ومن هنا تعلم سر نبي النبي ﷺ الاستغاثة عن نفسه عند ما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : قوموا بنا نستعيت برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال عليه السلام « لا يستغاث بي انما يستغاث بالله » مع أن النبي ﷺ كان حينئذ حيا وله قدرة ، فانما قصد ﷺ بي الاستغاثة الحقيقية فاراد تعليم أمته انها لا تكون إلا الله .

(والجواب) أن يقال هذه شبهة داود وانما تصرف فيها هذا ولم يخرج عن مقصوده بشيء فقال شيخنا رحمه الله : وقوف أهل البصائر على هذا الكلام يكفي في رده وابطاله ويان ما فيه من الجهل الغليظ وهذا الصنف من الناس انما أوتوا من بعدهم عما جاءت به الرسل وكونهم أجانب عنه ليسوا من أهل الوراثة النبوية فهم في ظلمات بعضها فوق بعض وهذه الآية الكريمة فيها الخبر عن الاسرائيلي لأنه استغاث موسى على القبطي الذي هو من عدوه ، والافعال العادية القائمة

بفاتحتها بسبب انهم لم يسموا الله تعالى "المعصية" بل ساءوا . فقال اكل
 وسرر ، وقام ونام ، وقال ومنك من يدعي ان الله تعالى خلقه لا بخارج باجماع العقلا
 ولم يخالف في اسماة الاله الى غير ذلك ، مقدسة الا انهم هم أهل الناس وأصلهم
 عن سواء السبيل . وهذا لم يقربهم من الله تعالى حتى سجدوا عابدا بالنسبة التي في الآية ،
 مع أن الاستدلال بها يتجسس من جعل المصراعين وعدم فهمه من الله وفقد نسب
 الرب ببارك وتعالى إلى أعدائه ما نسبوه إليه من اتحاد الصاحبة بالولد وجعل
 النركا ، منه والنسبة لا يسجد لها من جعل ما يفوت بل الدليل في حكاية على
 وجه التقرير وعدم الإنكار قال تعالى (وثانرا اخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في
 السموات والأرض كل له قاسون) وقال تعالى (وقال اليهود عزيز بن الله
 وقالت النصارى المسيح ابن الله) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا أن الله هو
 المسيح بن مريم) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وقال
 تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لعلهم ينصرون) فهذا كله منسوب الى فاعله
 حقيقة أفعال بجوازه ؟ وأنه لو كان ممنوعاً لما جازت النسبة ، وقال هذا محاز
 أصبح نفيه عنهم ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، والعراقي جاهل
 الدين والمذهب واللسان بل الجاهلية لا نقول ان النسبة الى الفاعل محاز ولا نقول
 أنها تدل على عدم المنع مما نسبته الى فاعله والعرض بيان ما في كلام هذا من الفساد
 المتناهي ، والآية ليست مما نحن فيه فان الإغاثة المتبينة ليس الدليل على اثباتها
 النسبة وانما هو ما جاءت به الشريعة الكاملة من جواز معاطاة الاسباب العادية
 واستعانة الخلق بعضهم بعضاً في الخلقة والدليل من الآية ترك انكاره وسيافه على
 وجه التقرير ، ومسألة المخلوق محرمة في الاصل وانما البحث في الاسباب العادية
 للضرورة والحاجة ، ولهذا بايع النبي ﷺ بعض أصحابه على أن لا يسألوا الناس ،
 فكان أحدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد بأوليه .

وفول العراقي : وأما ما قيل ان هذا حي ، وله قدرة ، فان كان نسبة القدرة
 اليه استقلالاً فهو كفر ، وان كان بقدرة الله وهو سبب ووسيلة فلا فرق بين
 الحي والميت (يقال) هذا تخليط وهذيان ، فان المسلمين متفقون على قول

مسألة الله كماله سبحانه ، في زرع قدرته به الى ان يخلق كما رماه امور ،
خلق في الخلق اختياراً وبتدبيره بها ما شاء ، انما يريد ، والميت ليس
له قدرة الخلق ، ولا يتكلم بل يعطى حمله ، يورثه ربهم ، ولا يسل ولا
يستقي ولا يرجع اليه في شيء ، من اللسان عليه قدرة ، يرسل الحيوان يفرقه
بين الخلق والميت .

والعراقي يقول : لا فرق عنده بين الخلق والميت ، قال تعالى : وما يسرون
الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من سماء وما أنت تسمع من في القبور .
واستغاثه الميت ليس سباً كاستغاثه المخلوق فيما يدر فيه ، ولم يجعل هذا
سباً الا عماد الاصنام الذين هم أصل خلق الله ، يحملون الاموات سباً
ووسيلة ، والميت ليس في شرع الله ، وما جاءت به رساله أن يدعو لمن دعاه
والكرامة ليست فعله بل هي فعل الله ، والمكرم لا يدعى ولا يستغاث به ولا
يرجى لشيء من الشدائد ، بل هذا فعل المسركين كما تقدم ، والقول بأن الله يقدره
ظن وخرص لا يرجع اليه في دينه الا صال يتمسك الاوهام الوتنية .

(وفوله) وجميع راجع الى قدرة الله لا ينقذه من المحذور ، فان المسركين
يعترفون بربوبية الله لآلهتهم وعلمون أنها لا تسنقل شيء دونه ، ولا تجوز
نسبة الاغاثه الى الموتى والغائبين وغير محاراً لاختصاصه تعالى بالعلم والقدرة
والغوث الباطني ، والنبي صلى الله عليه وآله في الاستغاثه عن نفسه حماية للتوحيد وصيانة لحجاب
وأدباً مع ربه ، لا لأن الاغاثه لا نسب الى المغيب بالتسبب العادي حقيقة
وانما تنسب مجازاً كما توهمه الغبي الاكبر ولم يرد تعليم أمته ، ان الاستغاثه انما
نسب للمخلوق مجازاً فان ما جاء به من الكتاب والسنة دال على اضافة الفعل
لمكتسبه ومن قام به ، ولذلك رتب الثواب والعقاب والجزاء والحساب ولم يقل
قول العراقي الا القدريه المجبرة ومن نحنا نحوهم من الجهمية ورد عليهم أهل السنة
بما يطول ذكره نقلاً وعقلاً ، وقالوا لو كان مجازاً لصح بنى أفعال المكلفين عنهم
وكانوا بمنزلة الجمادات التي يحركها الغير ويفعل بها من غير قصد لها ولا اختيار
ويكون التعذيب والثواب يرجع الى مجرد المشيئة والإرادة من غير فعل للعبد

يستحق به التواب والعقاب ، وأما إضافة الاغائة والابيات الى الغيث والريبع كما فى الحديث وكما فى قولهم أببت الرريع البقل فلم يجعل الغيث فاعلا ، كما زعمه هذا الاعجمى الذى لا يعقل شيئا من اللغة غاية ما قالوا إنه محاز عقلى كما يعلم من رسالة السكاكى والاضافة قد تقع ولو إلى أدنى ملائسة .

(وقول العراقى) فجعل الغيث هو فاعل الاغائة مع أنه عرض هذا بما يدل على أنه لا يفرق بين العرض والجوهر ومن بلغ جهله الى هذا الحد سقط الكلام معه والقصد اعلام الطالب أن أعداء نبيخنا من أجهل الورى وأصلهم الى آخر كلامه رحمه الله .

فصل

(قال العراقى) ومنها قوله تعالى : (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) ، قال بعض المفسرين إن العهد قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعليه فعنى الآية لا يشفع الشافعون إلا من قال لا إله إلا الله وهم المؤمنون كقوله تعالى : (لا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهو معنى بعيد أن يكون حينئذ تقدير الآية لا يملكون الشفاعة لأحد الا من اتخذ الى آخره ، وفيه من التكلف ما فيه والاحسن أن يكون تفسير قوله لا يملكون بمعنى لا ينالون ، فيئذ يصح الاستثناء بدون تقدير شيء ، وفيل معناه لا يملك الشفاعة الا من قال لا إله إلا الله ، أى لا يشفع الا المؤمنون ومثله قوله تعالى : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق) والشفادة بالحق هى قول (لا إله إلا الله) وحيث كان المراد من التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين والطلب منهم هو استشفاعهم ، وقد اخبر تعالى أنهم يملكون الشفاعة فأى مانع من طلب شيء مما ملكوه باذنه تعالى فيجوز أن تطلب منهم أن يعطوك مما أعطاهم الله تعالى ، وانما الممنوع هو طلب الشفاعة من الاصنام التى لا تملك شيئا منها ، (والجواب) أن يقال : ما أعظم جراءة هذا الملحد على كلام الله بوضعه على غير موضعه وعلى توهين ما قرره أئمة التفسير من السلف رضوان الله عليهم

فذكر كلام أئمة التفسير ليتبين صلال هذا الملحد وعدم ادراكه فبقول : قال
الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري يقول تعالى ذكره لا يملك هؤلاء
الكافرون ربهم يا محمد يوم يحسر الله المتقين اليه وفدا . الشفاعة حين يشفع
أهل الايمان بعضهم لبعض عند الله فيشفع بعضهم الا من اتخذ منهم عند الرحمن
في الدنيا عهداً بالايمان به وتصديق رسوله والاقرار به والعمل بما أمر به . ثم
ساق بسنده الى أن عباس قوله (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ، قال العهد
شهادة أن لا اله الا الله وبشراً الى الله من الخول والفترة ولا يرجون الا الله .
وبسنده عن اس جريح قال : المؤمن يومئذ بعضهم لبعض شفعا (إلا من اتخذ
عند الرحمن عهداً) قال عملاً صالحاً . وبسنده الى فتادة قال اي بطاعته ، وبسنده
الى عوف ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن شفاعة لمن مات من امني
لا يشرك بالله شيئاً » ومن في قوله (الا من) موضع نصب على الاستثناء ولا يكون
خفصاً بضمير اللام ولكن قد يكون نصباً في الكلام في غير هذا الموضع وذلك
كقول القاتل أردت المرور اليوم الا العدو فاني لا أسر به فستثنى العدو من
المعنى وليس ذلك كذلك في قوله (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهداً لأن معنى الكلام لا يملك هؤلاء الكفار الا من آمن بالله فالمرء منون ليسوا
من اعداد الكافرين ومن نصبه على أن معناه الا من اتخذ عند الله الرحمن عهداً
فانه ينبغي ان يجعل قوله لا يملكون الشفاعة للمتقين فيكون معنى الكلام حينئذ :
(يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهداً) فيكون معناه عند ذلك (الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) فاداً جعل
لا يملكون الشفاعة خبراً عن المجرمين فان من تكون حينئذ نصباً على انه
استثناء منقطع فيكون معنى الكلام لا يملكون الشفاعة لكن من اتخذ عند
الرحمن عهداً يملكه ، انتهى .

وقال الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى (لا يملكون الشفاعة) أي ليس لهم
من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبراً عنهم (فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم) وقوله (الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) هذا استثناء

منقطع بمعنى لا يمكن أن يتجوز عند الرحمن عهداً ومرداً - جهاداً أن لا إله إلا الله
 والقسام بحفظها . قال علي بن أبي طالب : إني لأحبه من ابن عباس ، إلا من اتخذ عند الرحمن
 عهداً . قال العهد منه : أنه لا إله إلا الله وسراً إلى الله من الحول والقوة ولا
 يرجو إلا الله عز وجل وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عثمان بن خالد الواسطي ،
 حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسمودي عن عون بن عبد الله عن
 ابن أبي فاختة عن الأسود بن بريد قال : قرأ عبد الله يعني ابن مسعود هذه الآية
 ، إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ثم قال : اتخذوا عند الله عهداً فإن الله يقول
 يوم القيامة من كان له عند الله عهد فأنظروا يا أبا عبد الرحمن فعلنا قال :
 قولوا اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فاني أعهد إليك في هذه
 الحياة الدنيا ، أنك أن تكلني إلى علي يسرى من السر وباعدني من الخير ، وأن
 لا أئق إلا برحمتك ، فاجعل لي عندك عهداً تؤدبه إلى يوم القيامة أنك لا تخلف
 الميعاد ، قال المسمودي فحدثني زكريا عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود
 كان يالحق بهن خائفاً مستجيراً مستغفراً راعياً راعياً إليك ، ثم رواه من وجه
 آخر عن المسمودي بنحوه ، انتهى

فإذا تبين لك كلام أئمة الهدى ، وأن الاستثناء في آية مريم لا يفيد انبات
 الملك . والأكثر على أنه منقطع أو على القول بأنه متصل فلا حجة فيه بل هو
 كقوله تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له فولا)
 فلا استثناء دليل على حصولها ووفوعها ، لا على أنها تملك كسائر الأملاك العادية
 وكما يظنه أهل الجاهلية ، وكما يقول هذا الملحد إن الله ملكهم الشفاعة فأى مانع
 من طلب شيء مما ملكوه باذنه تعالى ؟ إلى آخر كلامه . ومراده أنهم يملكونها
 كما يملك الملاك أموالهم فيتصرفون فيها بما يشاءون ، وهذا خلاف ما دل عليه
 القرآن والسنة ، وأجمع عليه علماء الأمة فانه قد دل القرآن والسنة واجماع الأمة
 على أن الشفاعة بيده سبحانه ملكاً له خاصة لا يتقدم أحد فيها إلا باذنه ولا تنال
 إلا من رضى قوله وعمله من أهل الايمان والتوحيد والاحاديث صريحة في أنه ﷺ
 - وهو سيد الشفعاء - لا يشفع ابتداءً وأنه يحد له حداً ويعين له من أراد الله

رحمته ، واكرام بابه بالشفاعة فيه . ثم حيد ما هو معروف . ذلك بتصريف
قال تعالى (ولا يملك الدين) . رعه من من دونه الشفاعة ، وقوله (لا يملكون
الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) وقد تقدم الكلام فيها وان بعض
المفسرين قرر أن الاستثناء منقطع ليس فيه اثبات للملك لله بل بمعنى الاستدراك
من مضمون الجملة . ويدل هذا نصوص الكتاب والسنة .

قال شيخ الاسلام : وقوله تعالى (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً
الا ما شاء الله) فيه قولان فيل هو استثناء متصل ، وأنه يملك من ذلك ما شاء الله
الله ، وقيل هو منقطع وانحوى لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً بحدان ، وقوله
(الا ما شاء الله) استثناء منقطع أى لى يكون من ذلك ما شاء الله ، كقول
الخليل ، ولا أخاف ما يشركون به الا أن يشاء رى شئنا . أى لا أخاف أن
نفعوا شيئاً لكن إن شاء رى شئنا كان . والا لم يكن والا فهم لا يفعلون شيئاً
وكذلك قوله (لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) ثم قال (الا لله
بالحق) فتفخه الشهاده كقوله (لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال
تعالى (قل لله الشفاعة حريماً) وبسط هذا له ، وصح آخر ، انتهى .

إذا عرفت هذا فنقول هذا اماحد فأى مانع من طلب شيء مما ذكره باذن
الله تعالى ، فيجوز أن تطلب منهم أن يعطوك مما أعطاهم الله تعالى (نية قال) المانع
من ذلك ألك قد أثبت بسبب . مع حصولها ، والله سبحانه وتعالى لم يزل
الاستغاثة بغيره ودعاءه والالتجاء اليه سبباً لمحصل اذن الله للشافع أن يشفع .
وانما السبب كمال التوحيد بانخلاص الدعاء لله والاستغاثة به لا بغيره والطلب
من الله تعالى أن يشفع فيه عبده لا طلبها من العبد ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى :
ومن أنواعه أى الشرك طلب الخواارج من الموتى والاستغاثة بهم ، وهذا أصل
شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً
لمن استغاث به وسأله أن يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع
عنده فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله الا باذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله
سبباً لاذنه وانما السبب كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن وهو
بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها ، وهذه حال كل مشرك ، فجمعوا

بين الترك بالمعبود وتغيير دينه بمعاداة أهل التوحيد واسبة أهله الى التنقص بالأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأرياءه الموحدين بنمهم وعيهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راصون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما اكفر المستجيبين لهم وما يحا من شرك هذا الشرك الأكبر الا من جرد توحيد الله وعادى المشركين في الله وتقرّب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه والاله ومعبوده ، جرد حبه لله وخوفه لله ورحاه لله وذله لله وتوكله على الله واستغاثته بالله والتجاء الى الله واستعان به بالله وقصده الله متبعاً لأمره متطلباً لمرضاته ، اذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل الله فهو لله وبالله ومع الله ، انتهى .

(وأما قوله) وأما الممنوع هو طلب الشفاعة من الأصنام التي لا تملك شيئاً منها .

(فأقول) هذا لم يقله أحد من أهل العلم وإنما هي نسبة عراقية وتعلقات خيالية ، لا تليق الا بعقول هؤلاء الوثنية الذين ليس لهم معرفة بالأحكام الشرعية فبعداً للقوم الظالمين .

فصل

قال العراقي : ومنها ما رواه ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا اليك فاني لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت انتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك ان تنقذني من النار ، وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت » اقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون الف ملك فقد توسل النبي عليه الصلاة والسلام ، في قوله « اني أسألك بحق السائلين » عليك بكل عبد مؤمن وأمر أصحابه ان يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله ولم يزل السلف من التابعين

وس يتبعهم يستسمعون هذا الدعاء . من وجوهه الى الصلوة ولم يذكر
عليهم أحد .

(فالجواب) أن يقال : هذا الحديث مراد عطية العوفي ورواه صحيح . قال
شيخ الإسلام لم يكن يتدبر خبره هو من هذا الباب فان حق السائلين عليه سبحانه
أن يحجبهم وحق المتلعبين أنه أن يقيمهم فأسؤاله والتواضع له للحصول اجابته
وانابته فهو من التوسل به والتوجه به ، وأما سبب بدو خبره أنه قسم لكان قسماً
بما هو من صفاته فان اجابته واناسد من أدواله رأوا له فصار ممكناً حصوله بغيره
في الحديث الصحيح « أعود برصادك من منقطات ونما فإناك من عفو بركات وأعوذ
بك منك لا أحصى بناء عليك أنت كما أنبت على نفسك ، والتواضع لا يصح
مخلوف كما نص عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة إلى آخر كلامه فتبين من كلام
الشيخ أن السؤال بحق السائلين هو إجابتهم وسؤاله بحق الطائين إجابتهم فمكون
السائل بهاتين الصفتين سائلاً بصفات الله فان الإجابة والانابة من أفعاله وأقواله
سبحانه وتعالى وسؤاله بأسمائه وصفاته والتوسل بها ثابت بالكتاب والسنة قال
تعالى (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وفي الحديث عن عبد الله بن مريدة عن
أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأنت أنت الله
الذي لا إله الا أنت الأحد الممد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد
فقال « دعا الله باسمه الأعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب »
رواه الترمذي وأبو داود الى غير ذلك من الأحاديث وكذلك التوسل بالأعمال
الصالحة كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة كما روى عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال
« بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم
غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا
علمتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها » الحديث متفق عليه وهو في
الصحيحين . فليس في حديث أبي سعيد الخدري ما يدل على ما ادعاه هذا الملاحد
من التوسل بذوات الانبياء والاولياء والصالحين فضلاً عن دعائهم والاستغاثة
بهم والالتجاء اليهم وبهذا يتبين عدم معرفتهم بمعاني ما أنزل الله على رسوله

ومعاني كلام رسوله ، أن هذا المستحسن وأتباعه أحباب من ذلك لا عهد لهم به ولا تمييز عندهم فاذن المسحون

(قال العراقي) ومنها قوله يُتَّبَعُ أغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والالساء الذين من قبلي إلى آخر الحديث رواه الطبراني في الكبير وصححه ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفاطمة هذه أم علي كرم الله وجهه التي رتب النبي ﷺ إلى آخر كلامه .

(والجواب) أن يقال في مسنده روح بن صلاح المصري ضعفه ابن عدى وتصحيح الحاكم له لا يحدى سبباً فانه جمع في مسنده من الاحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة جملة كثيرة وقد روى فيه جماعة من الجرحين في كتابه في الضعفاء . وأما رواية الطبراني له فيقال لهذا المحدث كم في الطبراني حديث يخالف هذا ويدل على وجوب التوسل بأسماء الله وصفاته وإمامة الوجوه إليه كما أعمى عينك عنها ، هل هناك تنبيه اعلمها مري الجهل والطوى ؟ وقد تكلم في هذا الحديث غير واحد وقال نسيح الاسلام قد بالغت في البحث والاستقصاء فما وجدت أحداً قال بجوازه الا ابن عبد السلام في سنن بيتنا عليه أفضل الصلاة والسلام أترى هذا الحديث خفي علماء الامة لم يعملوا ما دل عليه تم لو سلمنا صحته أو حسنه ففيه ما سيأتى في حديث الاعشى أن المراد بدعاء نبيك إلى آخره وأي وسيلة لذوات الانبياء لمن عصى أمرهم وخرج عما جاءوا به من التوحيد والشرع ، قال شيخ الاسلام فادأ قال الداعي أسألت بحق فلان - وفلان لم يدع له - وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص أو بحبته وطاعته بل بنفس دانه وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب ، انتهى .

فصل

(قال العراقي) ومنها ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني . فقال : « ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير لك ،

قال : فادعنه فامرهم ان يتوصوا ويحسن رصده ويذعن بهذا الدعاء . اللهم اني
أسألك وأتوجه اليك انيك محمد بنى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربي فى
حاجتى ليقضى ، اللهم فسمعته فى . فنادى وقد أصر وخرج هذا الحديث البخارى
أيضا فى تاريخه وابن ماجة والحاكم فى المستدرک باسناد صحيح وذكره الجلال
السوطى فى الجامع الكبير والصغير فقد أصر النبي ﷺ الرجل الضير أن يناديه
وبتوسل به الى الله فى قضاء حاجته . قد نقول الوهابه ان هذا اما كان فى حياة
النبي ﷺ فليس يدل على حراز التوسل به بعد موته فمحيب أن الدعاء هذا قد
استعمله الصحابة والتابعون أيضا بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم ، يدل عليه
ما رواه الطبرانى والبيهقى أن رجلا كان يختلف الى عمار رضى الله عنه زمن
خلافته فى حاجة ولم يكن يطر فى حاجته فنكى الرجل ذلك لعمار بن حنيف
فقال له : إئت الميضاة فوصا ثم إلب المسجد فصل ثم قل اللهم انى أسألك
وأتوجه اليك بنينا محمد بنى الرحمة ، يا محمد انى أتوجه بك الى ربك لتقضى
حاجتى وتذكر حاجتك ، فالتقى الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عمار رضى الله
عنه فجاءه الباب فأخذ بيده وأدخله على عمار فاجلسه معه وقال اذكر حاجتك
فذكر حاجته فقضاها ثم قال له : ما كان لك من حاجه فادكرها فلما حرج
الرجل من عنده لقي ابن حنيف فقال له . جزاك الله خيرا ما كان يطر فى
حاجتى حتى كلمته لى ، فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد أناه ضرر فشكى اليه دهاب بصره ، الحديث . فهذا
توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم على أن النبي ﷺ حتى فى قبره
فلبست درجته دون درجة الشهداء الدين صرح الله تعالى بأنهم أحياء عند
ربهم يرزقون .

والجواب أن يقال : هذا الحديث - أعنى حديث الاعمى - غير محفوظ وفيه
مقال مشهور ، وفى سنده أبو جعفر عيسى بن ابى عيسى بن ماهان الرازى
التميمى قال الحافظ بن حجر فى التقریب الاكثر من على ضعفه ، وقال احمد
والنسائى ليس بالقوى ، وقال أبو حاتم صدوق ، وقال ابن المدينى ثقة كان يخط ،

وقال مره يكف حديثه إلا أن سقط ، وكان انقلابه في - الحفظ ، وقال
 ابن حبان بنفرد هذا كبر عن المسافر - وقال أبو زرعة : بهم كثير آ ، وقال
 الحافظ في التقریب أيضاً في رحمة الرازي اتقى - أرجح الرازي التيسر مولايم
 مشهور بكنيته واسمه عيسى بن آدم - حماد بن عبد الله - ما حان وأصله من مرو ،
 وكان يتجر إلى الرازي صندوق - الحفظ خدمه وحساً عن - مرو من كبار السابعة
 مات في حدود الستين ، انتهى

وعلى تقدير صحة وسبوه فإني يدل على ما توهمه هذا الحديث ، وبينان هذا
 الحديث يعلم أنما توهمه هؤلاء الخلاة عبر جميع فتو له : اللهم اني أسألك أي
 أطلب منك وأتوجه اليك بنبينا محمد صرح باسمه مع ورود النهي عن ذلك
 تواصلاً منه لكون التعليم من نبيله ، وفي ذلك قصر السؤال الذي هو أصل
 الدعاء على الله تعالى الملك المتعال : ونكسه توسل بالنبي ﷺ بدعائه ولذا قال
 في آخره : اللهم فتشفعه في إذ شفاعته لا تكون إلا بالدعاء لربه قطعاً ولو كان
 المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التحقيب مسمى إذ التوسل بقوله بنبينا
 كاف في إفادة هذا المعنى فتو له : يا محمد اني توجهت بك إلى ربي . قال الطيبي :
 الباء في بك للاستعانة . وقوله : اني توجهت بك بعد قوله أتوجه اليك فيه
 معنى قوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) فيكون خطاباً لحاضر معين
 في قلبه مرتبط بما توجه به عند ربه من سؤال بنيه بدعائه الذي هو عين
 شفاعته ، ولذلك أتى بالصيغة الماصوثة بعد الصيغة المضارعية . المفيد كل
 ذلك أن هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه فكأنه استحضره وقت
 دعائه ، انتهى .

وقال شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم ، والمبت لا يطلب منه
 شيء لا دعاء ولا غيره ، وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبي ﷺ
 أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي ﷺ دعاء أمره فيه أن يسأل
 الله قبول شفاعته بنيه فيه ، فهذا يدل على أن النبي ﷺ شفع فيه وأمره أن
 يسأل قبول شفاعته ، وأن قوله أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة ،

أى بدعائه وشفاعته كما قال عمر : كنتا نتوسل إليك بنبينا ، فلفظ التوسل والوجه في الحديثين بمعنى واحد ، ثم قال : يا محمد يا رسول الله انى أوجه بك الى ربى فى حاجتى لقبضها اليهم فشفعه فى . فطلب من الله أن يشفع فيه بنبه . وقوله : يا محمد يا بنى الله ، هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى فى القلب فيحاطب المشهود فى القلب كما بقول المصلى : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يفعل مثل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره فى نفسه ، وان لم يكن فى الخارج من يسمع الخطاب ، فلفظ التوسل بالشخص والوجه به والسؤال به فيه اجمال وانتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة . يراد به التسبب لكونه داعياً وشافعاً مثلاً ، أو لكونه الداعى محباً له ، مطعماً لآسره ، مقنناً به ، ويكون التسبب اما بمحبة السائل له ، واناعه له ، واما بدعاء الوسيطة وشفاعته . ويراد به الاقسام به ، والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لامه ولا عن السائل ، بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله . فهذا الثانى هو الذى كرهوه ومهوا عنه ، وكذلك السؤال بالنبي . قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب لكونه سبباً فى حصول المطلوب ، وقد يراد به الاقسام . الى آخر ما قال رحمه الله اذا عرفت هذا فليس فى حديث الاعمى ما يدل على التوسل به ودعائه ، والاتجاه اليه بعد وفاته ، وانما فيه أنه توسل بدعائه كما كان الصحابة يتوسلون بذلك ويسألونه الاستغفار والدعاء .

(وأما قوله) قد تقول الوهاية أن هذا انما كان فى حياة النبي ﷺ الخ . فنقول نعم .

(وقوله) فنجيب أن الدعاء هذا قد استعمله الصحابة والتابعون أيضاً بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم .

فنقول : قد علمنا أنك أجبت كما أجاب من قبلك ، ولكن بجهام قد أهرق ماؤه فهو يرعد ويبرق ولا ماء فيه .

(وأما قوله) يدل عليه ما رواه الطبرانى والبيهقى أن رجلاً كان يختلف الى عثمان وساق الحديث كما تقدم .

(وجوابه) نعم أحسن ، أن هذا الحديث لا يصح عن سنده روح بن صلاح وقد ضعفه بن حدى ، إلا قال أن بعضهم أن إمارات الوصي لا تحق عليه فكيف يعارض به جميع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعمل أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وهل سمعت أحداً منهم جاء إليه بعد وفاته إلى قبره الشريف فطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله رغم حريصون على مثل هذه المئترات لاسباب والنفوس مولعة بقضاء حوائجها وتشبهت بكل ما تقدر عليه ، ولو صح عند أحد منهم أدنى شيء من ذلك لرأيت أصحابه يتناوبون قبره الشريف في حوائجهم زمرأ زمراً ، ومثل ذلك تترفر الدواعي على نقله . ولا وسع الله طربقاً لم يتسع للصحابة والتابعين وصلاح علماء الدين ، حر كان ابن عمر يأتي إلى القبر المكرم ويقول : السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ثم ينصرف وكذلك أنس وغيره ، فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة ، ثم اعلم أن هذا الحديث مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم ، وقد قال ﷺ « كل عمل ليس عليه أمر يا فهو رد » وأما دعوى هؤلاء الغلاة أن الصحابة استعملوا هذا الدعاء بعد وفاته ، فإن هذا مما يعلم بالضرورة أنه من الكذب على الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان هذا الاستعمال صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعي على نقله ، ولما عدل الفاروق إلى التوسل بدعاء العباس ومعاوية بيزيد بن الأسود الجرشي ، ولما كان يمكنهم لو كان هذا الحديث صحيحاً معروفاً عندهم أن يتوسلوا بالنبي ﷺ ولا يطلبون من العباس أن يدعو لهم ، وما يوضح لك الأمر وإن هذا الحديث غير صحيح أن رواته مختلفون في متنه وسنده مع أنه لم يذكر في شيء من الكتب المعتمدة ، وإنما ذكره مثل البيهقي والطبراني والترمذي وأبي نعيم ، وهؤلاء يذكرون مثل هذه الأحاديث الضعيفة أو الموصوعة على وجه التنبيه ، وقد رأى علماء الإسلام الجهابذة النقاد ظلمات الوضع لأئمة عليه فأعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه والله أعلم .

(وأما قوله) فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى أنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

فأقول . بل درجته فوق درجته الشهداء و أكمل حالاً ، وما نال الشهداء تلك
 المنزل إلا بالإيمان به ، و تصديقه ، و الجهاد معه و في سبيله فلا أسير و أجر و
 و أجر من آمن به إلى يوم القيامة ، و لكنهم كما قال الله تعالى (عند ربهم) فهو
 أعلى منهم درجة و وسيله و أفرهم إليه منزله ، و إذا كان لا يدعى ، و لا ينو سل به
 بعد وفاته فهم من باب الأولى والأخرى .

فصل

(قال العراقي) و منها ما رواه البيهقي و ابن أبي شعبة باسناد صحيح أن الناس
 أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه
 إلى قبر النبي ﷺ وقال يا رسول الله استسق لأمتك فاهم هل كوا فأتاه رسول
 الله ﷺ في المنام وأخبره أنهم يستقون و استدلالنا هذا ليس بالرؤيا للنبي ﷺ
 فإن رؤياه و إن كانت حقاً لا تثبت بها الأحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائي
 و إنما الاستدلال بفعل أحد أصحابه ﷺ في اليقظة وهو بلال بن الحارث فاه
 أتى قبر النبي ﷺ وناداه و طلب منه أن يستسقى لأمة

(فالجواب) أن نقول : قد كفانا مؤنة إيضاح عدم الاعتبار بالمنامات وأنه
 لا يثبت بها حكم شرعي لكن نقول هذا الحديث فيه مقال مشهور ، قال الحافظ
 في الفتح ، و روى ابن أبي شعبة باسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان ، عن
 مالك الدار و كان خازن عمر رضي الله عنه قال أصاب الناس قحط في زمن
 عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ في المساء فقبل له أثت عمر ، الحديث .
 و قد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث
 المزني أحد الصحابة فعلم أن ما روى باسناد صحيح ليس فيه أن الجاني أحد
 الصحابة وما فيه أن الجاني أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف ، قال الذهبي في
 الميزان سيف بن عمر الضبعي الأسدي ، و يقال التميمي البرجمي ، و يقال السعدي
 الكوفي مصنف الفتوح والردة وغير ذلك هو كالواقدي ، يروي عن هشام
 بن عروة و عبد الله بن عمر و جابر الجعفي و خلق كثير من المجهولين كان اخباريا

عارفا ، روى عنه جماعة من المشايخ ، روى أبو معمر التميمي والنضال حماد العتيكي وجماعة
 قال عباس بن يحيى صديق روى مثنى عن يحيى : فليس خير منه ، قال
 أبو داود ليس بشيء ، وقال أبو حاتم مروي . وقال ابن حبان أنهم بالزندقة ،
 وقال ابن عدي عامة حديثه منكر البيهقي سمعت جعفر بن أبان سمعت ابن نمير
 يقول سيف الضمبي تميمي كان جميع يقول حدثني رجل من بني تميم ، كان سيف
 يضع الحديث وفد أنهم بالزندقة . انتهى للمختص . قال الحافظ في التقریب سيف
 ابن عمر التميمي صاحب الردة و هو مال له الضمبي و يقال غير ذلك الكوفي صعيد
 في الحديث عمدة في الاخبار أحسن ابن حبان القول فيه . انتهى . وقال الذهبي
 في الكاشف قال ابن معين وغيره صعيد ، وقال في الخلاصة سيف بن نمير
 الاسدي الكوفي صاحب الردة عن جابر الجعفي وأبي الزبير وعنه محمد بن عيسى
 الطباع وأبو معمر الهزلي ضعفوه ، انتهى . فهذا ما قبل في حديث بلال
 ابن الحارث الذي رواه البيهقي وابن أبي شبة وإن كان غير حديث بلال فغاية
 ما فيه أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن
 يخرج يستسقي بالناس وهذا ليس من هذا الباب الذي نحن بصدد الكلام فيه فإن
 هذا قد يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ قال شيخ الاسلام : وأيضا ما يروى
 أن رجلا جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكا إليه الجذب عام الرمادة فرآه وهو يأمره
 أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس ، فإن هذا ليس من هذا الباب
 ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ وأعرف من هذا وقائع ، وكذلك
 سؤال بعضهم للنبي ﷺ أو لغيره من أمته حاجة فتقضى له . فإن هذا قد وقع
 كثيرا وليس مما نحن فيه وعليك أن تعلم أن إجابة النبي ﷺ أو غيره لهؤلاء
 السائلين ليس هو مما يدل على استحباب السؤال ، فإنه هو القائل ﷺ أن
 أحدهم ليسألني المسألة فأعطيه إياها فيخرج يتأبطها ناراً ، فقالوا يا رسول الله
 فلم تعطهم قال : فيأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل ، وأكثر
 هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من ضيق الحال لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم
 كما أن السائلين في الحياة كانوا كذلك وفيهم من أجيب وأمر بالخروج من

المدينة فهذا القدر اذا وضع يكون كرامة لصاحب القبر اما انه يدل على حسن حال السائل فلا ونرى بين هذا وهذا ، انتهى . فبين من كلام العلماء ان الحاقى إلى قبر النبي ليس هو بلال - الخارب كما زعمه المعتزى لانه اعتمد على أن هذا فعل صحابي وحاشا لله من ذلك فانهم كانوا أعلم بآله وبدينه ورسوله وهم أبعد الناس عن سلوك ما يؤهمه الخلافة عبطاء . التهمة السراقية ولله الحمد والممة .

فصل

(قال العراقي) ومنها ما ذكر في صحيح البحارى من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه عن استسقاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه في زمن خلافته بالعباس عم النبي ﷺ لما استند الفسط عام الرمادة فسقوا ، وفي المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى أن عمر رضى الله عنه لما استسقى بالعباس رضى الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فافقدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى .

(والجواب) أن نقول : فقد ثبت في صحيح البحارى عن أنس أن عمر استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال : اللهم انا كنا إذا أجدبنا ، توسل اليك بنينا فتسقينا ، وانا توسل اليك بحم ربي فاسقنا فسقون .

قال شيخ الإسلام : فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته ، وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته فيدعوا لهم ويدعون معه كالإمام والمؤمنين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ، ولما مات ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ، ولهذا قال الفقهاء : يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين ، والأفضل أن يكونوا من أهل بيت النبي ﷺ ، وقد استسقى معاوية بن عبد الله بن الاسود الجرشي ، وقال : اللهم انا نستسقى بيزيد بن الاسود يا يزيد ارفع يديك فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى أمطروا ، وذهب الناس ولم يذهب أحد من الصحابة الى قبر بي ولا غيره يستسقى عنده ولا به ، انتهى .

فهذا هو التوسل الماتر رويح بهذا من المقول عن "الصحة لا كما يلفقه هؤلاء الغلاة من الاحاديث الموضوعة والمعونة ان لا نسب بها الاحكام السريعة ، وأما ما ذكره عن القسطنطين في المواهب اللدنية ، فانه ثبت أنه من الموضوعات لأنه لم يذكره بسند يعتمد على مثله ، وفي المواهب اللدنية من الموضوعات والاحاديث المعلولة والاتصال المردودة بما لا يحصى فلا يغني عن مثل هذا النقل والله أعلم .

فصل

تم قال العراقي الملهد : لا فرق في التوسل بين الالبياء وغيرهم من الصالحاء بين كونهم أحياء أو أمواتاً لأنهم في كلا الحالتين لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير في شيء وإنما الخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا تبريك له في كل ذلك .

(والجواب) أن يقول فيه كلام من وجوه (الاول) انه يعتقد كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل حتى نطقت ألسنتهم بما أطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً ويصرحون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء .

(والثاني) أن محرد عدم اعتقاد التأثير والخلق والإيجاد والاعدام ، والنفع والضرر إلا لله لا يبرىء من الشرك ، فإن المشركين الذين بعث الله الرسول اليهم أيضاً ، كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق ، بل لا بد فيه من اخلاص توحيده وأفراده ، واخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله ، والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ، ومنه لا بغيره ولا من غيره وكذلك النذر والذبح والسجدة كلها تكون لله .

(والثالث) أن مجرد كون الأحياء والاموات شركاء في أنهم لا يخلقون شيئاً

وليس لهم تأثير في شيء . لا يستصحب أن يكون الأحياء والاموات متساويين في جميع الأحكام حتى يلزم من حوار التوسل بالأحياء حوار التوسل بالاموات وكيف وليس معنى التوسل بالأحياء إلا التوسل بدعائهم ، وهو ثابت بالأحادية الصحيحة ، وأما التوسل بالاموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن ، انتهى من كلام بعض المحققين . إذا عرفت ما تقدم من المعلوم أن الكفار الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وقاتلهم واستحل دماءهم وأسوأهم كانوا مقربين أن الله هو الخالق الرازي المحيي المميت النافع النضر الذي بدر جميع الأمور ويعتقدون أن الله هو الفاعل لهذه الأشياء كلها ، وأنه لا مشارك له في الإيجاد تبيء وإعدامه ، وأنهم لا يحلونه نهياً وأنه ليس لهم تأثير في شيء . وإنما الخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له ، وإنما كانوا يدعون الأنبياء والملائكة والاولياء والصالحين ويلتجئون اليهم ، ويسئرونهم ويسألونهم على وجه التوسل بحاجتهم وشفاعتهم ليقرّبوهم إلى الله زلفى وليشفعوا لهم عنده ، لأنهم أقرب إلى الله وارفح درجة ومنزلة . ولم يدخلهم ذلك في الاسلام وقاتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدين كله لله ، والدعاء كله لله . والدج والنذر لله ، والاستغاثة والاستعانة والالتماء اليه لا لغيره ولا من غيره ، فالافرار بتوحيد الربوبية وحده لا يدخل في الاسلام بل لا بد معه من توحيد الله بأفعال العبد الصادرة منه من أنواع العبادة المتقدم ذكرها ، وهذا هو الذي قاتل عليه رسول الله ﷺ كفار العرب .

﴿ وأما قوله .. وأما من يعتقد التأثير للأحياء دون الاموات فلمهم أن يفرقوا بين التوسل بهم والتوسل بالاموات .

﴿ فأقول ﴾ لا يجوز لأحد أن يعتقد أن الأحياء يقدرّون على ما لا يقدر عليه إلا الله فإن اعتقاد ذلك شرك وإذا كان الأحياء لا يقدرّون على شيء من ذلك فالاموات بطريق الاولى وإنما يجوز من الحي طلب الدعاء منه والاستغفار والتوسل بدعائه وشفاعته ، إذ هو قادر على ذلك ، وأما الميت فقد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً لمن استغاث به أو دعاه أو سأله أن

يشفع له ، كما قال ﷺ . إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، الحسنة وهذا يدل على انقطاع الحسن والحسين كذا من الميت ، وإن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك على أنه ليس لأبي نصر في ذاته فضلاً عن غيره ، فاعبر عن حركته نفسه فكيف يتصرف في غيره ، وأما الأحياء القادرون على الأسباب الظاهرة المادية من الأمور الحسية ، في قتال أو إدراك عدو أو دفع سبع صائل وغيره فهذا لا مانع منه ، وهذا ليس في فئدة الأموات (وما يستو الأحياء ولا الأموات) ومن سري ما يما فهد حرج بين ما فرق الله بينه ، وكذلك عتوا وعناداً .

وأما قوله : أما نحن فنؤمن أن الله هو الخالق لكل شيء . (واخلقكم وما تعلمون) .

فأقول : كون الله تعالى هو الخالق لكل شيء ، وإن الله خلق العبد وعمله قال تعالى : (والله خلقكم وما تعلمون) مما لا مريه فيه وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة وإنما بنى الفعل حقيقة عن فاعله ومن قام به الفدرية المجبر الذين يزعمون أن العبد مجبور وأنه لا اختيار له ولا مشيئة كما هو مبسوط موضعه فإذا زعمتم أن دعاء الأموات والاستغاثة بهم والالتجاء إليهم والتعا عليهم إنما هو باعتبار التسبب والكسب العادي وإنما المستغاث به في الحقيقة هو الله فاسناد الغوث إلى الله تعالى اسناد حقيقي باعتبار الخلق والإيجاد وإلى الأبد والصالحين اسناد مجازي ، فإذا كان ذلك كذلك لزم أن يكون اسناد أفعال العبد كلها إلى الله تعالى حقيقياً فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق لأفعال العبد هو الله تعالى وهذا يقتضي أن يتصف الله تعالى حقيقة بالإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم وغير ذلك من الأعمال الحسنة ، وكذلك يتصف حقيقة بالأعمال السيئة ، من الكفر والفسوق والفجور والزنا والكذب والسرقة ، والعقوق وقتل النفس وأكل الربا وغيرها ، فإنه تعالى هو الخالق لجميع الأفعال حسنها وسيئها والتزام هذا فعل من لا عقل له ولا دين ، فإنه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث واجتماع الأوصاف المتضادة :

التناقضة ، وأيضاً بأنه لو كان هناك أسباب الخلق لكانت أسباب السبب والسبب في زعمهم ، لزم أن لا يكون الإنسان حمة سترنا ولا كانار ولا ناراً ولا فاحراً ولا كاداً فيبطل الجزاء ، والحساب ، ونلغى الشرايع والخفة والنار ، وهذا لا يمتوربه أحد من المسلمين ، راسخاد أعمال العبد اليه حشفة من إضافة الفيل إلى فاعله لا حاراً لا يناع فيه من عرف بدأ من الآفة فالعبد فعمل حقيقة وما كل حقيقة وينرب حقيقة ويهب حقيقة ونمصر اخاء طالما أو مطالما حقيقة ، والله سبحانه خلق العبد وما يعمل .

(وأما قوله) فالله ما ينة التي نعلم بالنب عن التوحيد ، ونحور التوسل بالاحياء قد دخل الشرك في توحيدها من حيث لا تدري لكونها اعتقدت تأنيب الاحياء ، مع أنه لا تأنيب في الخفة إلا الله تعالى .

(فأقول) هذا قول من لا يعمل ما يقول فان الرباية ما أحازت من التوسل بالاحياء إلا ما فعله أصحاب رسول الله ﷺ ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اللهم انا كنا اذا أحدبنا توسل اليك ببينا فتسبنا ، واما نوسل اليك بعص نبينا فاسقنا فتوسلوا دعاء العباس ، كما كانا نوسلن بدعاء النبي ﷺ ، فان كان هذا شركاً دخل عليهم ، فقد دخل على أصحاب رسول الله ﷺ ، وان لم يكن شركاً فالشرك هو العدول الى من قد اعطع عمله ولا يملك نفسه بقداً ولا ضرراً ، فكيف بمن دعاه واستغاث به .

وأما التوسل بالاحياء فيما يقدرون عليه من الأسباب العادية فهذا مما لا خلاف في جوازه بين العلماء والله أعلم .

(وأما قوله) والتوسل والتشفع والاستغاثة بمآل واحد فانما المقصود منها التبرك بذكر أحباء الله الذين قد يرحم الله العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتاً فالوحد الحقيقي هو الله تعالى ، وانما هؤلاء الأسباب عادية لا تأثير لهم في ذلك . (فأقول) التوسل والتشفع الشرعي هو التوسل والتشفع بدعائهم في حال حياتهم وطلبهم من الله تعالى كما تقدم بيانه ، وأما بالمعنى الاصلاحى المحدث وهو دعاؤهم والتبرك بهم والالتجاء اليهم وتعليق الآمال بفيض نوالهم فيما لا يقدر

عاليه إلا الله تعالى ، فلا فرق بين المدعى بهم ، هذا الاعتبار وهذا هو
الشرك سواء كان المدعى حياً أو ميتاً ، وسواء اعتمد الدأين أو لم يعتقد كما تقدم
بيانه بأدلته فيما مضى .

فصل

قال العراقي المالحد : وأما قول العاصي من المسلمين يا عبد القادر أدركني
ويأبدوني المدد متلاً ، فحمل على البحار العقلي كما يحمل عليه قول القائل ، هذا
الطعام أشبعني وهذا الماء أرواني ، وهذا الدواء سقاني . فإن الطعام لا يشبع ،
والماء لا يروي ، والدواء لا يشفي . حقيقة بل المشبع والمروي والشافي الحقيقي
هو الله تعالى وحده وإذا تلك أسباب عادية يسبب لها الفعل لما يرى من حصوله
بعدها في الطاهر .

(فالجواب) أن يقال : قد تقدم في كلام شيخ الاسلام قوله « فكل من
غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل أن يقول : ياسيدي
فلان انصرني ، أو أغثنى ، أو ازرقني ، أو أمانني حسبك ونحو هذه الأقوال
إن هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل » إلى آخر كلامه وتقدم
قوله : « وأيضاً فإن من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم
ويسألهم كفر اجماعاً ، وقال صنع الله الحلبي : فمن اعتمد أن لنغير الله من بي ،
أو ولي ، أو روح . أو غير ذلك في كشف كربة . وقضاء حاجة تأثيراً فقد وقع
في وادي جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير ، وأما كونهم مستدلين
على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن نكون أولياء الله بهذه المثابة فهذا ظن
أهل الأوثان كذا أخبر الرحمن (هم شفعاء وما عند الله : ما نعبدهم إلا ليقربوا
إلى الله زلني : أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئاً ولا ينقذون) فإن ذكر من ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي
وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير
إلا خيره ، انتهى . وقال الامام ابن عقيل في فنونه ، لما صعبت التكليف على

الجهال والطغام من أوصاع السرع إلى بعض أوصاع وصعوبها لأنفسهم
فسهلت عليهم إبداء مدحها بها بحب أمر غيبيهم وهم عندي كفار بهذه الأوصاع
مثل تعظيم القبور ومخيلتها ، وطلب الدوايح من الموتى ، ودس الرقاع في القبور
فيها يامولاي افعل بي كذا وكذا انتهى .

(وقوله) فيحمل على المحار العقلي .

فيقال لهذا الملهد - الجواب من رحوه (الأول) ان هذه الالفاظ دالة
دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى .

(والثاني) لو سلم هذا المحمل لاستحال الارتداد وانسد باب الردة الذي
يعقده الفقهاء في كل مصنف وكتاب من كتب اهل المذاهب الاربعة وغيرها ،
فان المسلم الموحدة متى صدر منه قول أو فعل موحى للكفر يجب حمله على
الحجاز والاسلام والتوحيد فريضة على ذلك المحار .

(والثالث) انه يلزم على هذا ان لا يكون المشركون الذين يطلق كتاب الله
بشرهم مشركين فاهم كانوا يعبدون ان الله هو الخالق البراري ، الضار النافع
وان الخير والسر بيده . لكن كانوا يسبون الاصنام لتفريبهم الى الله ربهم ،
فلاعتقاد المذكور قرينة على ان المراد بالعبادة ليس بمعناه الحقيقي ، بل المراد
هو المعنى المجازي اي التكريم متلا ، مما هو جوابكم فهو جوابنا .

(والرابع) ان هؤلاء الذين أولئتم عنهم في تلك الالفاظ الدالة على تأييد
غير الله فما تفعلون في اعمالهم الشركية من دعاء غير الله ، والاستغاثة ، والنذر ،
والذبح ، فان الشرك لا ينوقف على اعتقاد تأثير غير الله ، بل اذا صدر من احد
عبادة من العبادات لغير الله صدر مشركا سواء اعتقد ذلك الغير مؤثرا أم لا .
وقد تقدم الكلام على الأسباب العادية وما يقال فيها فيما مضى .

(وأما قوله) ومعظم الأمة اجمعوا على جواز التوسل به ﷺ وبغيره
من الصحابة والصالحين ، فقد صدر من كثير من الصحابة والعلماء من
السلف والخلف .

(فأقول) أما اجماعهم على جواز التوسل بهم التوسل الشرعي بدعائهم

وسفاعتهم في حال حسانهم بهذا من ، رؤسا بجملة وادتهم لحاد الله ، وقد تقدم بيانه ،
واما بالتوسل التركي فيه ، من على كثر ما حاط به في ايام النبوة عليه ، لا ينكره
إلا مكابر .

(وقوله) واجتماع أكرههم على احرام راذل نراك لا يحور بقوله عليه في
الحديث الصحيح وقيل المتواتر لا تدين أمتي على عدالة . واموله تعالى (كنتم
خير أمة أخرجت للناس) فكيف تحتسب كلهم أو أكرهها على عدالة .

فأقول : المقصود بالآمة في الحديث هم أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية
المنصرون إلى قيام الساعة ، وهم المؤمنين بقرآن الحديث الصحيح ، وستفترق
أمتي على ثلاث وسبعين ذرية كلها في النار إلا واحدة ، قيل يا رسول الله من
هم ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي . من كان على مثل
ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ فهو من الامة الذين اجماهم حبة
وهم الفرقة الناجية ، قليلا كانوا أو كثرأ ، بخلاف عباء القبور المتخذين
الانبياء والاولياء ، والصالحين ولا تخرج يدعونهم مع الله ، وبشركوهم في عبادته ،
ويستغيثون بهم في المهمات والملمات ، وطلبون منهم قضاء الحاجات ، وتفريج
الكربات ، وإغاثة اللهفات ، فهؤلاء لبسوا من أمة الاحابة الذين استجابوا لله
والرسول ، بل هؤلاء مجتمعون على خلاف الكتاب والسنة مخالفون لما عليه
الامة من أهل السنة والجماعة مجتمعون على الضلالة .

وقد قال الفضيل ان عياض ما معناه : الزم ضرى الهدى . ولا يغرك قلة
السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ، ولا تغتر بكثرة الهالكين . وقال بعض
السلف : اذا وافقت الشريعة ، ولا حظت الحقيقة . فلا تبال وإن خالف رأيك
جميع الخليقة .

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان « فالبصير الصادق
لا يستوحش من قلة الرفيق ، ولا من فقدته إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل
الاول (الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين
وحسن أولئك رفيقا) منفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق طلبه ،

إلى أن قال وما أحسن ما قال أبو ندامة عبد الرحمن بن اسماعيل في كتاب
 الحوادث والبدع حيث جاء الأمر بدع الجماعة ، فالمراد به لزوم الحق واتباعه
 وإن كان المنهك به قليلاً . والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه
 الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ، ولا ينظر إلى كثرة أهل الباطل
 بعدهم ، قال عمر وابن ميمون الأودي صحبت معاذاً باليمن ثم عارفته حتى واربته
 في التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أئمة الناس عبد الله بن مسعود فسمعتة
 يقول : عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة ، ثم سمعته يوماً من الأيام وهو
 يقول : سبى عليكم ولادة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها
 فهي الفريضة ، وصلوا معهم فإياكم لکم نافله ، فقلت : يا أصحاب محمد ما أدرى
 ما تحدثونا ، قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ، ثم تقول :
 صل الصلاة وحدك وهي الفريضة ، وصل مع الجماعة وهي النافله . قال يا عمر
 وإن ميمون . قد كنت أظنك من أئمة أهل هذه القرية تدري ما الجماعة ؟
 قلت : لا . قال : إن جمهور الناس الذين فارقوا الجماعة ، الجماعة ما وافق الحق
 وإن كنت وحدك .

وقال يعين بن حماد : إذا فسدت الجماعة فليك بما كانت عليه الجماعة قبل
 أن تفسد ، وإن كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ . وعن الحسن قال :
 السنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجاني فاصبروا عليها رحمكم الله ، فإن
 أهل السنة كانوا أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الاثراف في
 أترافهم ، ولا مع أهل البدع ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذلك
 أنشاء الله فكونوا ، وكان محمد بن أسلم الطوسي الامام المتفق على امامته من
 اتبع الناس للسنة في زمانه حتى قال : ما بلغني سنة عن رسول الله ﷺ إلا
 عملت بها ، ولقد حرصت أن أطوف بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك ،
 وسئل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم الذي جاء فيهم الحديث
 « إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم » من السواد الأعظم قال
 محمد بن أسلم الطوسي : هو السواد الأعظم ، انتهى . وكلام العلماء في الجماعة

الذين هم السواد الاعظم كثير جداً ذكروا أنهم هم الذين كانوا على ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم ابراهيمنا ذكر أقوالهم لخروجنا عن المقصود باختصار والمقصود أن الأمة التي لا تجمع على صلاة هم أهل السنة والجماعة وإن قلوا ، وأن الأكثرين هم الذين قال الله فيهم (وإن نطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) .

فصل

قال العراقي : ومن أدلة جواز الاستغانة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ ذكر في قصة هاجر أم اسماعيل عليه السلام أنها لما أدركها وولدها العطر جعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتاً ولا ترى شخصاً فقالت : أغت ان كان عندك غوث . فلو كانت الاستغانة بغير الله شركاً لما طلبت الغوث ولما ذكر النبي ﷺ لأصحابه ولم ننكره ولما نقله الصحابة من بعده وذكر المحدثون .

(والجواب) أن بقول الكلام فيمن يستغاث به عند الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله أو سؤال ما لا يعطيه إلا الله ولا يمنعه إلا الله وأما ما عدا ذلك مما يجري فيه التعاون والتعاضد بين الناس واستغانة بعضهم ببعض في الأمور العادية فهذا لا يمنع منه ونقول به وليس الكلام فيه ولفظ الاستغانة لفظ مشترك بين ما يجوز وبين ما لا يجوز فاما ما يجوز فما قدمنا ذكره مما هو في مقدور العبد والذي لا يجوز وفاعله يكون مشركاً هو طلبها من الأموات والغائبين من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كما نطق بذلك الآيات والاحاديث النبوية وقصة هاجر قد أورها البخاري في باب قوله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) من كتاب أحاديث الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمقصود من القصة أن هاجر عليها السلام لم تطلب إلا من حاضر محسوس وليس ما طلبته مما اختص طلبه بالله سبحانه فانها طلبت من المصوت ما يسد جوعتها ويروى غلتها كما يقول المنقطع في الطريق العادم الزاد والماء اذا مرء عليه أحد وأحس به اغتنى بما عندك من ماء وطعام

واعطى مما تفعل الله به عبادك من دلائم ، فيقال لهذا انه طالب مالا يمدد عليه
الا الله والنجا في سنده الى من سواه ، فقاتل الله اهل الكفر والضلال كيف يحب
الشیطان بعقولهم حتى اوردتهم المهالك ، انتهى باختصار من قول بعض اهل
التحقيق من اهل العلم .

فصل

قال العراقي . ومنها ما رواه البخاري في حديث الشفاعة ، ان الخلق ينهضون
في هول القيامة استغاثوا بآدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى وكلهم
يعتذرون ويقول عسى ، ذهبوا الى محمد فياتون اليه عليه السلام فيقول أما لها ، الحديث
فلو كانت الاستغاثة بالخلق منوعة ، لا ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لا صحابه رضى الله عنهم
وأجاب الماعون أن هذا يكون يوم القيامة حيث يكون للنبي صلى الله عليه وسلم قدرة ورد عليهم
انهم في حياتهم اللدنية لا قدرة لهم إلا بنوع التسبب فكذلك بعد الموت
على أنهم أحياء في قبورهم وتسبيون .

(والجواب) ان يقول . فان بعض المحمدين من اهل العلم في جرده ، ان
استغاثة الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم وقبله بآدم ثم نوح الى آخر حديث الشفاعة فهذه
شفاعة بالدعاء ، والاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث من منجسة عدلا ونسرا
ومن ذلك الرفقة يستغيت بعضهم بعضاً أى في مهماتهم التي يقدرون عليها وكذلك
ما طلب الناس منه وحى الشفاعة التي هي الدعاء وكذلك يقول سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم
في آخر الحديث فاجىء فاحمد وأهـ . اللهم الله من التناء والدعاء سبباً لم يلهمه
لغيره صلى الله عليه وسلم فعند ذلك يأذن الله بالشفاعة ويقول له كما ورد في الحديث :
يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وهذا ظاهر جداً وأما ما أورده
على الجواب من أن المستغاث بهم قدرة كسبية وتسبباً فتنسب الاغاثة اليهم بهذا
المعنى سواء كانوا أحياء أم أمواتاً وسواء كانت الاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث
أم لا مدفوع بأن كون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها عن مشيئة رب البرية
لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله ولا يستعان به ولا يتوكل عليه ولا يلجأ

في ذلك اليه فلا يقال لاحد شئ أو مس - فريب أو بعدد ارزقي أو أمتني أو أحي
ميتي أو اشف مريضى الى غير ذلك لما هو من الافعال الخاصة بالواحد الأحد
الفرد الصمد بل يقال لمن له قدرة كسبية فد حرت العادة بحصولها ممن أهله الله
لها أعنى فى حمل ستاعى أو غير ذلك والقرآن باطق بحصر الدعاء عن كل أحد
لا من الاحياء ولا من الاموات سواء كانوا انبياء أو صالحين أو غيرهم وسواء
كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها فان الامور العير المقدورة للعباد لا تطلب
إلا من خالق القدر ومنشىء البتسركيف والدعاء عبادة وهى مخصصة به سبحانه
بقى ما أدلى به العراقى واضرابه علينا من حياة الانبياء لبتوصلوا به الى ترويح
مدعاهم من استحسان دعائهم وطلب إغاثتهم وأولوه بأن مرادهم من ذلك
الاستشفاع طلب أن يدعوا لهم فنقول هذا حق ثابت فنعتقد حياتهم صلى الله
تعالى عليهم وسلم حياة برزخية فوق حياة الشهداء وأن بيننا عليه السلام قد جعل عند
قبره الشريف ملك يبلغه سلام المسلمين الذين عند ضريحه المكرم والتائبين عنه
وأن الانبياء جميعهم طريون لا تأكل الارض أجسامهم الشريفة ولكننا نمنع
أن يطلب منهم شئ فلا يسألوا شيئاً بعد وفاتهم سواء كان بلفظ الاستغاثة
أو توجه أو استشفاع أو غير ذلك لجميع ذلك من وظائف الألوهية فلا يليق
جعلها لمن يتصف بالعبودية من البرية فان ادعى أحد أن حياتهم صلى الله تعالى
عليهم وسلم اذا ثبتت الرواية بها حقيقة كما هو الأصل فى حمل الالفاظ على
حقائقها ولم تثبت قرينة على التجوز بها فبقى على حقيقتها أجنباء قائلين لا شك
أنه لا يراد بهذه الحياة الحقيقية ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال
وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك من وظائف الحياة وحيث انتفت حقيقة
هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها وبحصول الانتقال بالموت الحال به عليه السلام -
وأرواحنا له الفداء - كما قال تعالى : (انك ميت وانهم ميتون) وقال عز من
قائل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل) الآية ،
وحلول الموت به عليه السلام أمر لا يمكن انكاره - الى أن قال - ثبت الحياة الاخرى
برزخية وهى متفاوتة فحياة الشهداء فوق حياة المؤمنين وحياة الانبياء أعلى من

حياة الشهداء، فمقتصر على ما ثبت هنا في النصيرص القطعية من الاحوال المستحسنة المرضية، انى آخر كلامه رددت الكلام على قوله فكذلك بعد الموت على أنهم أحياء في قبورهم ينسيون وان المبت قد انقطع عمله فلا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فكيف بمن استجاب به وهذا ظاهر والله الحمد والممة .

فصل

قال العراقي . رمها ما رواه الطبراني عن زيد بن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ قال : « اذا أصل أحدكم نسئاً أو أراد عوياً وهو بأرض ليس فيها انس فليقل يا عباد الله أعينوني فان لله عباداً لا يراهم » لا يقال أب المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسالمو الجن أو رجال الغيب ، وهؤلاء كلهم أحياء فلا يستدل بالحديث على الاستغانة بالاموات والكلام فيهم ، لأنما يقول لا صراحة في الحديث بأن المقصود بعباد الله هم من ذكر لا غير ، ولو سلمنا فالحديث حجة على الوهاية من جهة أخرى . وهى بدء الغائب الذى لم يحرزوه كبدء الميت ولا يفيد الوهاية طعننا ببعض رواة هذا الحديث فانه قد روى بطرق شتى يعضد بعضها بعضاً فقد رواه الحاكم فى صحيحه وأبو عوانة والبخاري بسند صحيح عن النبي ﷺ بهذا اللفظ أنه قال : « اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا » وقد ذكر هذا الحديث شيخ الاسلام ابن نيسة فى كتابه الكلم الطيب عن أبى عوانة فى صحيحه وابن القيم فى الكلم الطيب له والنووى فى الاذكار والجزرى فى الحصن الحصين وغيرهم ممن لا يحصى من المحدثين وهذا لفظ رواية ابن مسعود مرفوعاً ورواية ابن مسعود موقوفاً عليه : فليناد أعينوني يا عباد الله .

(والجواب) ان يقول : كل أسايد هذه الروايات لا تخلو من مقال وعلى تقدير صحتها فليس فيه إلا بدء الأحياء والطلب منهم ما يقدر هؤلاء الأحياء عليه وذلك مما لا يمجده أحد ، وأين هذا من الاستغانة بأصحاب القبور

الأولاء والصالحين وكذا... دلائل... حال... كما برزهم ، من المصوفة
فهو مردود بل هو من الخرافات... ربه... الوجود والاقطاب
والاربعة وما أسسه دلائل .

(وأما قوله) ولو سلمنا ذلك... على الوهابية من جهة أخرى ، وهي
نداء الغائب الذي لم يحوز له كندا الميت .

(فأقول) هذا مردود ابتداءً بما سبق ، أن هؤلاء العباد ليسوا بمائبين وعدم
رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم فإنا لا نرى الحنطة ومع ذلك فهم حاضرون ولا نرى
الجن ومع ذلك فهم حاضرون وكذلك الساسير والنفوس... ويحوي ذلك فإن على
الرؤبة ليس هو الوجود فقط .

قال العراقي : ونقل عن عبد الله بن أحمد حنبل . قال سمعت أنى يقول حجبت
حس حجج فضلت في احدا من الضريق وكنت ماسياً لثغرات أقول يا عباد الله
داوما على الطريق ، فلم أزل أقول ذلك حتى وفعت على الطريق فهل للوهابية
التي تدعى نسبتها الى الامام احمد جاز له أن يطلب الدلالة على الطريق من غير الله
وهو غائب من غير أن يراه .

والجواب أن نقول : هكذا ذكره هذا العراقي ولم نعره الى كتاب وقد
رأيت في الآداب الكبرى لابن مفلح عن ابن الامام احمد (وجوابه) ما تقدم
وهو أن هؤلاء العباد ليسوا بغائبين وعدم رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم ، كما تقدم
وهذا لا يفيد شيئاً غير ما تقدم إيضاحه .

ثم قال العراقي : ومن شبه الوهابية في تكفير من استغاث ونادى غائباً من
نبي أو ولي قد مات ان الذين ينادون نبياً أو ولياً مستغيثين به قد يكون نداؤهم
في أماكن متعددة في زمان واحد ويكون عددهم كثيراً جداً بما يبلغ مئات ألوف
وهم يعتقدون أن المستغاث به يحضر حين بدائه في ذلك الآن وهذا بصرف
النظر عن كونه كفراً وشركاً لما فيه من جعل ذلك المنادى موصوفاً بما هو من
صفات الرب عز وجل ممتنع عقلاً فمن البديهي أن الجسم الواحد لا يكون في
زمان واحد موجوداً في أماكن متعددة .

قال والخبر : أنه ليس من معتقد المسلمين أن الله تعالى يوحى إلى عباده من
بذاته في الآمال. أمثلة فان كانت تلك من غير ذلك، الحضور محال وأما
المعتقد حضور البركة بحلق الله تعالى إلى تلك الأماكن المتعددة لطفاً منه
ورحمة المستعيب الكرامة المستجاب به وليس في ذلك محال . فان رحمة الله
تعالى واسعة اس لها حر .

(والجواب) أن، قال : (أ) من غير هذا من معتقد المسلمين ويحاشا الله
بل هو من معتقد من أمثلة تلك غيره في عبادة . ويقال : (ثانياً) يرى
حضور البركة بحاق الله تعالى أيادها في تلك الأماكن المتعددة دعوى مجردة حر
الدليل ، وكيف يكون ذلك وعد قال تعالى : (أن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
ولو سمعوا ما استجابوا لكم) وقال تعالى : (فويلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم
إياها تعبدون فكفى بالله تبديلاً بيننا وبينكم ان كنا عن عبادكم لغافلين) وهذا
كما هو بين في القرآن فهو بعد في العمل فاداً كان المادعو في حال حياته واحتماع
حواسه وحركاته لا يسمع من دعاءه على البعد ولو مسيرة فرسخ فكيف يحوز
في عقل من له أدنى مسكة من عقل أنه اذا مات وفارقت روحه جسده وذهبت
حواسه وحركته بالكلية وصار رهيناً في أخرى جسداً بلا روح انه والحاله هذه
يسمع من البعيد ولو مسيرة شهر أو أكثر وكيف فكل عقل صحيح يحيل ذلك
ويعلم أنه من أحل المحال لكن هؤلاء المشركون فسدت عقولهم وفطرتهم وزين
لهم الشيطان ما يعتقدون من الكذب والمحال والتترك والضلال حتى آل الأمر
بهم الى أن زعموا في معتقدهم حضور البركة بحلق الله تعالى إياها في تلك
الأماكن المتعددة لطفاً منه ورحمة بالمستغيب به لكونه أشرك في عبادة الله
غيره ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (فان قيل) ان هذا
الذي أردناه من هؤلاء الأموات يحصل لنا من أرواحهم . قيل وهذا متف
في العقل ، كما نفاه القرآن وذلك أن أرواح الأنبياء والصالحين في أعلى عليين
فيتمتع عقلاً وشرعاً وفطرة وقدرا أن الأرواح التي فوق السموات السبع وفي
أعلى عليين أنها تسمع دعاء أهل الأرض وتنفعهم وتتصرف فيهم هذا محال

قطعاً وضلال مبين فان الله قال (ويوم عن دعائهم غافلون) فكل من دعى من
الأموات والغائبين والالسياء والصالحين ممن دونهم غاف عن دعاء داعيه
بنصوص القرآن العزيز الذى لا يأنه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل
من حكيم حميد فسبحان من أنزل كتابه روحاً وهدى ونوراً وبرهاناً يهتدى
به من هداه الله الى صراطه المستقيم

فصل

ثم قال العراقي : ثم ان الوهاية لما رمت المسلمين بهذا المعتقد الدين هم براء
منه ساقط على بطلانه ما ذكره الفقهاء فى شرائط النكاح وذلك اهم قالوا
لو تزوج رجل امرأة بشهادة الله ورسوله لا بنعقد النكاح وقالت لو كان النبي
يعلم نداء المستغيث به اذا ناداه من بعيد لكان علام الغيوب ولصح انعقاد
النكاح الذى قال الفقهاء ببطلانه . ثم لم يأت بجواب ينقض على الوهاية إلا عدم
حضوره المستغاث عند ندائه وانه لا يعتقد هو والمشركون الداعون غير الله
علم الغيب لأحد ثم اعتذر عن عدم انعقاد النكاح انه صيانة لحقوق الزوجية
وبما ذكر بعده بما لا ينقض على الوهاية مدعاهم لكن تجارى به كفره وعناده
الى أن قال وحينئذ لا يمكن لأحد الخصمين ان يتبت دعواه لشهادة الله ورسوله
إذ نحن لو فرضنا ان الله - تعالى عما يقول الظالمون - جسم ينزل الى السماء الدنيا
كما زعمت الوهاية بقول ما جرت عادته تعالى أن ينزل الى غرفة الخاتم فيؤدى
شهادته أمامه حسبما لنزاع الخصمين فتعالى الله وتقديس عن كفر هذا العراقي
والخادع وجراته على الله وعلى شرعه كيف تجارى به كفره الى هذه المقالة
والوهاية لا يقولون ان الله تعالى جسم كما تقدم بيانه بل يثبتون لله تعالى ما أثبتته
لنفسه وأثبتته له رسوله ولا يشبهون الله بخلقه فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن
جحد ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فقد كفر وليس ما وصف الله
به نفسه ووصفه به رسوله كفراً .

ثم قال العراقي الملحد : قد علمت أن الوهاية كفرت من نادى غير الله تعالى

كقوله يا رسول الله ونحو ذلك ، ونحن إذا أمعنا النظر رأينا أن كفر هذا الذي يقول يا رسول الله سبلاً لا يحلو ما من تكون لأنه يعتقد أن من ماداه يحضر بنفسه حين نداءه ويسمع نداه ويقضى بنعمته له حاجة وينجيه من الورطة التي ماداه من أجلها أو يكون لأنه يعتقد أن الذي يناديه يسمع نداءه بإسماع الله إياه بمحض قدرته وإن الله تعالى لا عبره يقضى حاجته بركة ذلك المنادي وأن الله تعالى ينجيه من الورطة التي هو فيها بحاج ذلك النبي وعلى كلا التقديرين ففيه من السقط ما فيه .

أما الأول فلأن من اعتقد أن أحداً غير الله تعالى يقضى الحاجة وينجي من الورطة فقد كفر سواء نادى ذلك الواحد أو لم يناده فلا وجه لتخصيص كفره بحالة النداء وأما نعلم أن لا أحد من المسلمين يعتقد هذا المعتقد ، وأما الثاني فلأن من كان قلبه عريقاً بالآيمان معتقداً أن الذي يقضى الحوائج وينجي من المهالك إنما هو الله تعالى لا غيره لا يحور أن يكون كافراً بمجرد نداء غائب معتقداً أن الله سبحانه يخلق فيه السماع .

(والجواب) أن تقول : إذا نادى المشرك من يدعو من دون الله في فضاء حاجة من حوائجه وينجيه من الورطة التي ماداه من أحبابها فقد أشرك مع الله في عبادته التي هو مختص بها سواء اعتقد حضوره حين نداءه وسماعه له أو لم يعتقد أو اعتقد أنه يقضى حاجته بنفسه أو لم يعتقد من فعل هذا فهو كافر مشرك لأن الله تعالى قد نبى سماع من يدعو من وفى استجابته لهم وأخبر أن من يدعو غافلاً عن دعائهم قال تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقال تعالى (وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) والكفار الجهال يعلمون أن الله هو الخالق وأن الأمور كلها بيده ، وأنه النافع الضار وأنه هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ولكنهم ما أرادوا إلا الجاه والشفاعة ممن يدعوونه فما يقوله هؤلاء هو كما يقوله من قبلهم من الكافرين سواء بسواء .

وأما الجواب عن الثاني فمن أن كذب عبده عرفاً ، لا يجنب لا يدعو مع الله
أحداً بل يخص الدعاء به وحده ، ولا يشرك معه أحداً ، سواء (فمن كان يرجو
لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك في عبادة ربه أحداً) فإن من دعا مع الله
أحداً من خلقه وأشركه معه في عبادته ، لا ينفعه اعتقاده أن الله هو القادر على
خلق الأشياء وهو يشرك معه غيره ، فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة .

فصل

قال الملحد : ومن الجهل ما قاتته الوهاية هنا من أن السمع يحكم بالظاهر
والظاهر من نداء أحد لغير الله أنه يعتمد في ذلك الغير علماً محيطاً بالغيب
وقدرة بالغة على قضاء الحوائج ونصرفاً تاماً في الكون مما هو مختص بالباري
عز وجل وبكون اعتقاده في كفره كفرأ وتشركاً .

قال : والجواب أن الظاهر من حال من نادى غير الله تعالى يدل على أنه
نادى غير الله فقط لأنه اعتقد في ذلك الغير قدرة ، وقضاء للحوائج وغير ذلك
ما ذكرته الوهاية ، والاعتقاد أمر باطن قد يدل بعض الظاهر عليه لكن النداء
ليس من قبيلها ، فقل للوهاية التي تجعل ظاهر النداء دالاً على الشرك والكفر
مالك لا تنطرون إلى ما للبسلم الذي تكفرو به من ظاهر الصلاة والصوم
 والزكاة وغير ذلك من أركان الدين ، فتعدونه دالاً على إيمانه ، وحسن اعتقاده
ومن العجيب أن ذلك المسلم الذي ينادى يصرح بعدم اعتقاده القدرة وما شاكلها
لمن ناداه وأنتم مع ذلك تجمعون ظاهر ندائه دالاً على ذلك الاعتقاد الذي نفاه
عن نفسه ، فليت شعري أي حكم لاستدلالكم بظاهر نداء الرجل على سوء
اعتقاده في مقابلة تصريحه لكم بحسن ما يعتقد .

(والجواب) أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه حتى رأوا حسناً
ما ليس بالحسن فإن من نادى غير الله ودعاه والتجأ إليه واستغاث به لا بدعوه ولا
يلجأ إليه ، ويستغيث به إلا لما يعتقد أنه ينفعه ويسمع دعاءه ويغيثه ، لأن الاستغاثة

طلب الغوب ، وهو ازيله السنة ، اذا طلب اعبد هـنا من غير الله فقد
أنكر بالله في عبادته غيره ، لأن الله هو المخلص بهذه الأسماء سواء اعتقد التأثير
منه أو لم يعتقد ولا ينفعه ذلك مع وجود الشرك . والمداة المحرمة من غير اعتقاد
لا يتصور وقوعه الا من محذور العقل الذي ينطق بما لا يفعل .
(وأما قوله) هـ مالكم لا تتطهرون الى ما للمسلم الذي تكفروه من ظاهر
الصلاة والصوم والزكاة الى آخره .

(فنفق قول) اذا أنكرت بالله في عبادته غيره لا تنفعه الصلاة والصوم والزكاة
وغيرها من الأعمال الطاهرة ، ولا تدل على حسن باطنه وهو عرى من التقوى
واخلاص الدين لله وحده . قال الله تعالى (وقد مننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباءً منثوراً) بوضحه أن المائتين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ بنسبهم
أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويصومون وينكحون ويجهلون
مع النبي ﷺ ، ولم يكن ظاهر الشهادة بين الصلاة والصوم والزكاة والجهاد دالا
على حسن اعتقادهم ، بل كانوا في النرك الأسفل من المارتحت عبدة الاوثان
والصلبان .

وأما جعلنا ظاهر ندائه دالا على ذلك الاعتقاد ، وان يفاد عن نفسه فلا نه
لا يكون في العقل أن من دعا غير الله لا يعتقد أنه لا يرجو بدعائه طلب نفع
أو دفع ضرر أو قضاء حاجة من يدعو ، فاذا اعتقد ذلك فيمن يدعو فلا ينفعه
ان ذلك انما يكون ببركة من يدعو لهجاهه عند الله وان الله هو الفاعل لذلك
خلقاً وإيجاداً مع وجود السبب الداعي الى الشرك المنافي للتوحيد لأنه لا فرق
بين الدعاء والنداء ، فمن دعا أو نادى غير الله فقد أشرك ذلك المنادى المدعو
مع الله في عبادته لأن المشركين الاولين لم يريدوا إلا الشفاعة بجاه من يدعو به
وبركته .

(قال العراقي الملقب) — الوهاية وتكفيرها من زار القبور —

لو سأل سائل عما تمذهب به الوهاية ماهو وعن غايته ماهي فقلنا في جواب
كلا السؤالين هو تكفير كافة المسلمين لكان جوابا على اختصاره تعريفاً كافياً

لمذهبها . وان من أعم أنظر فيما سمعت به رآها تتحدر في كل مسألة تكفير كافة المسلمين الذين رضى الله لهم الاسلام ديناً فقد كفرتهم لتنزيههم الله تعالى عن الجسمية ، وكفرهم لتقليدهم الآئمة المجتهدين في الدين وكفرتهم لاستشفاعهم بنبيهم ﷺ بعد موته وتوسلهم به الى الله تعالى وكفرتهم لزيارة القبور .

(والجواب) أن نقول : الله أكبر على هؤلاء الملاحدة الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً ويفسدون في الارض والله لا يحب المفسدين ، فلو سأل سائل عما نذمت به هؤلاء الغلاة النافون لعنوا الله على عرشه المعطلون لأسمائه وصفاته الجاحدون لصفات كماله ، ودعوت جلاله . المشركون بالله في عبادته غيره من مخلوقاته ، وعن غاية ما نريد بذلك فلنا هو الكفر الذي أجمع المسلمون على كفر من قام به ذلك . وطق القرآن والسنة بكفر من فعل ذلك واعتقده كما قدمناه بأدلة من الكتاب والسنة وإجماع العلماء .

وأما الوهاية : فيعتقدون أن الدين الذي رصيه الله للمسلمين هو دين الاسلام ومنه أن الله تعالى على عرشه . نائن من خلقه . ويعتقدون أن الله تعالى له وجه ويدان ، وأن الله تعالى يرى في الآخرة كما يرى القمر ليلة البدر ، وكما ترى الشمس صحوً أو لس من دونها محاب ، وأن الله ينزل الى السماء الدنيا كل آخر ليلة فينادى هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من داع فأجيبه حتى ينفجر الفجر ، وأن الله يشار اليه بالاصبع إشارة حسية ، كما أشار اليه أعرف الخلق به في أعظم مجمع وجد على ظهر الارض ، وأن الله تعالى يوم القيامة يجعل السموات على اصبع ، والارضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على اصبع ، والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، فيقول أما الملك كما صحت بذلك الاحاديث عن رسول الله ﷺ ، الى غيره مما جاء في الكتاب والسنة مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير تكيف ولا تعطيل . وأما الجسمية فلا يقولون بها نفيًا ولا اثباتًا ، لأنه يراد بها معنى صحيح ومعنى باطل ولأنه لم يرد بذلك قرآن ولا سنة ولا نطق بذلك الصحابة ولا التابعون ولا الآئمة المهتدون ، وأما رعه

أهم كفروا من أحد بالإجماع ، ركزوا من فله الأئمة المجتهدون ، من الكذاب
الواضح والافك الفاسح ، وآل ، تكفيرهم من دعا الأبياء والاولياء ، والصالحين
والتجاء اليهم واسعابهم في سعادته وسعادته ، وسعى ذلك شفعاً وتوسلاً ليكون
ذلك هو الشرك الصريح المخرج من الملل بدلائل الكتاب والسنة وإجماع علماء
الأمة من أئمة السلف ومن تبعهم . إيمان بعد قيام الحججة على من فعل ذلك

فصل

(قال الملحد) لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها ، أما
الاستشفاع والتوسل إلى الله بأصحابها والسيرك بهم ، كما في زيارة قبور الانبياء
والاولياء ، وأما الاعتبار بالصور المصنوعة تمكيناً للخضوع من قلبه وبلا للأجر
بقراءة الفاتحة والدعاء لهم بالمغفرة ، كما في زيارة قبور المسلمين أو يقصد تذكر
من مات من ذويه الاقربين وأحبائه الراحلين وأعرته الذين غالتهم يد المنون
فأسكتهم القبور بعد القصور فذهبوا عنه ذهاباً ليس وراءه إياب وغادروه
كثيلاً يندب الأسى ولسان حاله يقول :

ألا باراحلنا عننا مجدداً على مهل فديتك من مجدداً
فلا تعجل وسر سير الهوى لأنك راحل من غير عود
وتدفعه احساساته إلى زيارة قبورهم فيقف على دوارس أجداتهم حزينا
يسكب على ترابها عبرات الأسف ولسان حاله ينشد :

ذهب الدين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا
كم من أحلى صالح بوءته يدي لحدا
وليس في كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم الذي شهد أن لا إله إلا الله
وأن محمد رسول الله ولا أظن أن الجاهل الغر من الناس فضلاً عن العالم المتشرع
تدفعه جهالته أن يقصد بزيارة القبر عبادته ، وأن يعتقد كونه يقضى حاجته
فيخلق له ما يريد .

(والجواب) أن يقال : لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها

الاستشفاع والتوسل إلى الله بأصحابها وأنزلك بهم ، كما في رابرة قبور الأبياء
والأولياء ودعائهم هي الزيارة الشريفة التي ذكرها العلماء كما قال ابن القيم رحمه
الله تعالى في إغابة الألبان : وأما الزيارة السريفة فأصلها مأخوذ من عباد الأصنام
قالوا الميث المعظم الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتبه
الالطاف من الله تعالى ويفيض على روحه الخيرات ، فإذا علق الزائر روحه
به وأدناه منه فاض من روح الميزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها
كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له ،
قالوا : فتمام الزيارة أن تتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميث ويعكف بهمه
عليه ويوجه قصده كله وإفبائه عليه بحيث لا يبقى فيه النفات إلى غيره وكلما كان
جمع الهمة والقلب عليه أعصر كان أقرب إلى الشفاعة ، وقد ذكر هذه الزيارة على
هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما ، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها
وقالوا إذا تعلق النفس الناطقة بالآرواح العلوية فاض عليها منها النور ، وهذا
السر عبادت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنعت لها الدعوات واتخذت
الأصنام المجسدة لها ، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعياداً
وتعليق الستور عليها ، وإيقاد السرح عايتها ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي
قصد رسول الله ﷺ بإبطائه ومحوه بالسكية ، رسد الذرائع المفضية إليه ،
فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده ، وكان ﷺ في شق وهؤلاء في
شق ، وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي
ظنوا أن آلتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى . قالوا : فإن العبد إذا
تعلق روحه بروح الوجه المقرب عند الله وتوجه بهمه إليه وعكف بقلبه
صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله وشهوا
ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان فهو شديد التعلق به فما يحصل
لذلك السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به ،
فهذا سر عبادة الأصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله وتكفير
أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذرائعهم وأوجب لهم النار ،

والقرآن من أوله إلى آخره ، من الرأى على أهله وإبطال منكرهم ، قال تعالى
(أم اتخذوا من دون الله شفعاء قال أو بار كانوا لا عدوكم من شئنا ولا يفعلون ،
قل : الله الشفاعة حجباً له ملك السموات والأرض) فأخبر أن الشفاعة لمن له
ملك السموات والأرض وهو الله وحده ، فهو الذى يشفع بنفسه إلى نفسه
يرحم عبده ، فبادن هو لمن يشاء أن يشفع فيه فصار الشفاعة فى الحقيقة إنما
هى له والذى يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له وأمره بعد شفاعة سبحانه وهى
إرادته من نفسه أن يرحم عبده ، وهذا صد الشفاعة الشريكة التى أنبت بها هؤلاء
المشركون ومن وافقهم ، ونهى ، أنى أطلبها سبحانه فى كتابه بقوله (واتقوا
يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يعبل بها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقوله
(يا أيها الذين آمنوا انقموا ما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة) وقال تعالى (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم
من دونه ولى ولا تنفع لهم شفاعة) وقال (الله الذى خلق السموات
والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى
ولا شفيع) فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل إذا أراد الله
سبحانه رحمه عبده أذن هو لمن يشفع فيه كما قال تعالى (ما من شفيع إلا من بعد
إذنه) وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده لا باذنه) فالشفاعة باذنه ليست
شفاعة من دونه ولا الشافع شفيعاً من دونه بل شفيع اذنه والمرفق بين الشفيعين
كالفرق بين الشريك والعبد المأمور ، فالشفاعة التى أطلبها شفاعة الشريك فله
لا شريك له والتى أنبت بها شفاعة العبد المأمور الذى لا يشفع ولا يتقدم
بين يدي مالك حتى يأذن له ويسأل اتفع فى فلان ، ولهذا كان أسعد
الناس بشفاعة سيد الشفاعة يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا
التوحيد وأخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه ، وهم الذين ارتضى الله سبحانه
قال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من
أذن له الرحمن ورضى له قولا) فأخبر أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد
رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع فيه ، فأما المشرك فانه لا يرتضيه ولا يرضى

قوله فلا يأتى للتسعة. ان الله لا يشفع الا بموافاقه. فانه سبحانه عنده ثمرين : رصاه
عن المشفوع له ، واذنه للشافع . ثم لم يرحل مجموع الامرين لم توجد الشفاعة .
وسر ذلك ان الامر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الامر شيء . وأعلى الخلق
وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون . وهم عبيد محض
لا يسبقونه بالقول ولا يقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئاً إلا بعد اذنه لهم
وأمرهم ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً فهم لما يكون مربيون . أفعالهم
مقيدة بأمره وادبه فاذا أشرك بهم المترك واتخذهم شفعا . من دونه ظنا منه انه
إذا فعل ذلك تقدموا وتشفعوا له عند الله فهو أجعل الناس بحق الرب سبحانه
وما يجب له ويمتنع عليه . فان هذا بمنع سببه قياس الرب تعالى على الملوك
والكبراء حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأولياهم من يشفع له عندهم في
الحوائج ، وبهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام واتخذ المشركون من دون الله
الشفيع والولى ، والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق والرب والعبد
والمالك والمملوك والغنى والفقر والذى لا حاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل
وجه إلى غيره ، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وهم
أعدائهم وأنصارهم الذين قيام الملك والكبراء بهم . ولولاهم ما ابسطت أيديهم
وألستهم في الناس ، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم وإن لم يأذنوا
فيها ولم يرضوا عن الشافع لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتتقص طاعتهم لهم
ويذهبون الى غيرهم فلا يجدون بداً من قبول شفاعتهم على الكره والرضا ، فأما
الغنى الذى غناه من لوازم ذاته وكل ماسواه فقير اليه بذاته وكل من في السموات
والارض عبيد له مقهورون بقهره مصرفون بمشيئته لو أهلكهم جميعاً لم ينقص
من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وآلهيته مثقال ذرة . وذكر آيات في المعنى ،
ثم قال - فتبين ان الشفاعة التى نفاها الله سبحانه في القرآن هى هذه الشفاعة
الشركية التى يعرفها الناس ويفعلها بعضهم مع بعض ، ولهذا يطلق فيها تارة بناء
على أنها هى المعروفة المتعاهدة عند الناس ، ويقيدها تارة بأنه لا تنفع إلا بعد
إذنه الى أن قال : فتتخذ الشفيع مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ومتخذ الرب

وحده آله بوجه دة ومحرمه وعجونه الذى يشرب له وطب
رضاه ويتباعد من سخطه هو الذى اذن الله سبحانه للسمع ان يسمع فيه
ودكر الآيات فى ذلك وذكر كلاماً حسناً تركه لطلب الاختصار .

(وأما قوله) واما الاعتذار بالهجوم الماخذ الى آخره .

(فأقول) قد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى اريارة الترعيزه وليس لنا أن
تقدم بين يديه لأنه قد حاشا بما يكفى وينسى وهو من أئمة المسلمين والعلماء
المحرمين ، قال رحمه الله تعالى بعد ذكر المفاسد التطيئة باتخاذ القبور أعياداً
ومنها أن الذى نمرجه الرسول ﷺ عند زيارة القبور إنما هو بذكر الآخرة
والاحسان الى المرور بالدعاء والرحم عليه والاستغفار له وسؤال اضافة له
فيكون الزائر محسناً الى نفسه والى المبت فطلب المستركون هذا الامر وعكسوا
الدين وجعلوا المقصود بالزيارة السرئ بالمبت ودعاءه والدعاء به وسؤالهم
حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم على الاعداء ونحو ذلك فصاروا
مسيئين الى نفوسهم والى الميت ولو لم يكن إلا مجرد ما نه تركه ما شرعه الله من
الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له فاسمع الآن زيارة أهل الايمان التى شرعها
الله تعالى على لسان رسوله ﷺ ثم وارن بنها وبين زيارة أهل الاثراك التى
شرعها لهم الشيطان واختر لنفسك . قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول
الله ﷺ إذا كان ليلتى منه يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول : السلام
عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً موجهون وانا ان شاء الله
بكم لا حقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ، رواه مسلم وفى صحيحه عنها
أضاً أن جبريل أنه فقال ان ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم ،
قالت : قلت كيف أقول يا رسول الله ، قال : قولى : السلام على أهل الديار
من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم
لا حقون ، .

وفى صحيحه أيضاً عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ
يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا : السلام على أهل الديار

وفي لفظ السلام عليكم أهل الدار - سن المؤمنين والمسلمين واما ان شاء بكم
لاحتقون فسأل الله لنا ولكم العافاة . وعن ريدة قال : قال رسول الله ﷺ ،
« كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا يقولوا هجرا ،
رواه أحمد والنسائي وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيارة القبور
سداً للذريعة فلما تمسك أبو حنيفة في فلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي
ترعه ونهاهم أن يقولوا هجرا فنزارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله
ورسوله فان زيارته غير مأذون فيها ومن أعظم الهجر الترك عندها قولاً وفعلًا
وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« زوروا القبور فانها تذكركم الموت » ثم ذكر أحاديث يحكيها مما تقدم ثم قال
فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأئمة وعلمهم إياها هل تجزئ فيها مما يعتمد
أهل الشرك والبدع أم تحدها مضادة لما هم عليه من كل وجه وما أحسن ما قال
مالك بن أنس رحمه الله لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولكن
كلما ضعف تمسك الأمم بجهود أنبيائهم عوصوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع
والشرك ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحملوا جابه حتى كان أحدهم إذا سلم على
النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا فقال
سنة بن وردان رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه يسلم على النبي ﷺ ثم يسند
ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو ونص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة
وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر فان الدعاء عبادة وفي الترمذي وغيرها
مرفوعاً الدعاء هو العبادة ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول
الله ﷺ السلام على أصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم وبالجملة فالميت قد
انقطع عمله فهو محتاج إلى من يدعو له ويشفع له ولهذا شرع في الصلاة عليه من
الدعاء له وجوباً أو استحباباً ما لم يشرع مثله في الدعاء للحى قال عوف بن مالك
صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له
وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد
ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وابدله داراً خيراً من داره

واهلاً حيراً من أهله وزوجها حيراً من روجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب
القبر أو من عذاب النار ، حتى تمت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله ﷺ
على ذلك الميت رواه مسلم وذكر أحاديث نحو هذا تم قال فهذا مقصود الصلاة
على الميت وهو الدعاء له والاستغفار له والشفاعة فيه ومعلوم أنه في مرة أشد
حاجة منه على نفسه فانه حينئذ معرض للسؤال وغيره وقد كان عليه السلام
يقف على القبر بعد الدفن فيقول : سلوا له التثبيت فانه الآن يسأل فعلم انه
أخرج الى الدعاء له بعد الدفن فاداً كنا على حنازله ندعو له لا ندعو
به ونشفع له لا نستشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل البدع وانسرك
قولا غير الذي قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع
به وقصدوا بالزيارة التي تترعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إحساناً إلى الميت
واحساناً إلى الزائر وتذكيراً بالآخرة سوال الميت والافسام به على الله
وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو نوح العبادة وحصور القلب عندها
وخشوعه أعظم منه في المساجد وأوقات الأسحار ومن المحال أن يكون دعاء
الموتى أو الدعاء بهم أو الدعاء عندهم مسروعا وعملا صالحا ويصرف عنه
القرون الثلاثة المفضلة نص رسول الله ﷺ هم يرزقه الخلف الذين يقولون
ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمنون فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور
بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه
طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان هل يمكن بشراً على وجه الأرض
أن يأتي عنهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أهم كانوا اذا كان
لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا فضلاً أن يصلوا عندها
أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم فليوقفوا على أثر واحد أو حرف
واحد في ذلك بل يمكنهم أن يأنوا عن الخلف التي خلفت بعدهم بكثير من
ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر حتى لقد وجد في ذلك
مصنفات ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين
ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه

من الأحداث واما آثار الصحابة فأكثر من أن يحاسب بها . ثم ذكر رحمه الله قصة
الرجل الذي وجد في بئر ماء الخمر . ثم قال . سمى هذه العصاة ما فعله
المهاجرون والأنصار من نعمة فبره الله بفتن به الناس ولم يبرروه للدعاء عنده
والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لحالوا عليه . السيرة . راعبده من دون الله
فهم قد اتخذوا من القبور أوتاناً من لا يداني هذا ولا تقربه وأقاموا له سدنة
وجعلوها معابد أعظم من المساجد فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها
والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحا لخص المهاجرون والأنصار هذا القبر عدلاً
لذلك دعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه
من الخلف التي خلفت بعدهم وكذلك التابعون هم بأحسن راحوا على هذا
السبيل وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير
وهم متوافرون فما مهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاء ولا دعا به ولا عنده
ولا استسقى به ولا استنصر به ومعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي
على نقله بل على نقل ما هو دونه . وحينئذ فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها والدعاء
بأربابها أفضل منه في غير تلك البقعة أو لا يكون فإن كان أفضل فكيف خفي
علما وعملا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم فكون القرون الثلاثة الفاصلة جاهلة
بهذا الفضل العظيم وتظهر به الخلف علماً وعملاً ولا يحوز أن يعلموه ويؤثروا
فيه مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فإن المضطر يتشبه بكل سبب وإن
كان فيه كراهة ما فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل
الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه هذا محال طبعاً وشرعاً فتعين القسم الثاني وهو أنه
لا فضل للدعاء عندها ولا مشروع ولا مأذون فيه بقصد الخصوص بل تخصيصها
بالدعاء عندها ذريعة إلى ما تقدم من المفاسد ومثل هذا مما لا يشرعه الله ورسوله
البتة بل استحباب الدعاء عندها شرع عبادة لم يشرعها الله ولم ينزل بها سلطاناً .
إلى آخر الفصل . فهذا كلامه رحمه الله في الدعاء عندها والدعاء بأربابها فكيف
بدعائهم وطلب الحوائج منهم والاستغاثة بهم كما تقدم في أول كلامه .

فصل

ونذكر نموذجاً من معتقد عباد القبور والصالحين وحقيقة ما هم عليه من الدين ليعلم الواقع عليه أي التريصين أحق بالأمن إن كان الواقف من اختصاصه الله بالفضل والمسلم ولا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم شفوياً وتوسلاً قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهياف من مفاصل اتخاذها أعياد الصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها راسلاً منها وتمغيز الحدود على ترباتها وعصاة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والبرق والحماية ونضاء الدين ونفخ الكربات وإغاثة اللهياف وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباء الأوثان يسألونها أو ثأنهم فلو رأيت صلاة المتخدين لها عبداً وقد نزلوا عن الكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وفلرا الأرض وكشفوا الرؤوس وارتفعت أصواتهم بالصبح وتبأكوا حتى نسمع لهم المسيح ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحبيح فاستغادوا بمن لا بدى ولا سيد وادوا ولكن من مكان بعيد حتى إذا دوا منها صاروا عند القبر ركعتين ورأوا أنهم قد أحرزوا من الاجر ولا أجر من صلى إلى القبائين فتراهم حول القبر ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورسوا ما وفد ملأوا أكفهم خيبة وخساراً فليغير الله بل للشيطان ما يراى هناك من العبرات ويرفع من الاصوات ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من نفرج الكربات واخلاء دوى الفاقات ومعافاة أولى العاهات والبلات ثم ابشوا بعد ذلك حول القبر طائفين تسبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين ثم أخذوا في التقييل والاستلام رأيت الحجر الأسود وما بفعل به وفد البيت الحرام ثم عفروا لديه تلك الجباه والحدود التي يعلم الله أنها لم نعفر كذلك بين يديه في السجود ثم كلوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق وفربوا لذلك الوثن القرايين وكات صلاتهم ونسكهم وقرانهم لغير الله رب العالمين . فلو رأيتهم ينفى بعضهم بعضاً ويقول أجزل الله لنا ولكم أجراً

وافراً وحطاً فاذا رجعوا سألوا ثلاثة لما يحضرون أن يدع أحدهم نواب حجة القبر
بحج المنخاف، إلى البت الحرام، مقول : لا . ويرجع بحث كل عام هذا ولم يحاوز
فيما حكينا دهم ولا استقصا . ترجع بدعتهم وحسبنا لهم ، ادعى فوق ما يخطر
بالبال أو يدور في الخيال وهذا كان مبدأ عبادة الاصنام في قوم نوح ، كما تقدم
وكل من ثم ادنى راحة من العلم والفقه يسل أن من أهم الأمور سد الدريعة إلى
هذا المحذور وإن صاحب السرخ أعلم عاقبة ما نهى عنه . وما يقول إليه وأحكم
في ميه عنه وتوعده عليه . وأن الخير والهدى في اتباعه ، صاعده والشر والضلال
في معصيه ومخالفته . م ذكر رحمه الله كلاماً طريلاً .

وقال شيخنا الشيخ عبد اللطيف قدس الله روحه . وينا بلغنا عن بعض علماء
زيد أن رجلين قصدا الطائف فمال أحدهما لصاحبه والمسئول عن منرشح للعلم :
أهل الطائف لا يعرفون الله إنما يعرفون ابن عباس فأحابه بأن معرفتهم
لابن عباس كافية لأنه يعرف الله فأى ملة صان الله ملة الاسلام لا تمانع هذه
الكفریات ولا تدافعها ، وذكر الزبيدي أيضاً أن رجلاً كان بمكة عند بعض
المشاهد قال لمن عنده أريد الذهاب إلى الطواف ، فقال بعض غلاتهم مقامك
هاهنا أكرم ومن وقف على كتاب مناقب الاربعة المعبودين بمصر وهم البدوي
والرفاعي والدسوقي ورابعهم فيما أظن أبو العلاء فقد وقف على ساحل كفرهم
وعرف صفة إفسكهم ، قال : وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الاسلام
في بيت رجل من أهل مصر وبقره رجل يدعى العلم فأرسل إليه صاحب البت
فسأله بجمع من الحاضرين فقال له كم يتصرف في السكون ، قال يا سيدي سبعة ،
قال من هم ؟ قال فلان وفلان وعدة أربعة من المعبودين بمصر ، فقال صاحب
الدار لمن بحضرته من الموحدين إنما بعنت لهذا الرجل وسأله لأعرفكم قدر
ما أتم فيه من نعمة الاسلام أو كلاماً نحو هذا . قال : وقد ذكر هذا شيخ
الاسلام في منهاجه عن غلاة الرافضة في على فعاد الامر إلى الشرك في توحيد
الربوبية والتدبير والتأثير ولم يبلغ شرك الجاهلية الاولى الى هذه الغاية بل ذكر
الله جل ذكره أنهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به ولذلك احتج عليهم

في غير موضع من كتابه بما اقرأه من البرية بالمدن على ما اسكروا من
الالهة ومن ذلك وهو من تلذت أم تم ما ذكره حسين بن محمد العمري في بعض
رسائله أن امرأة كتب نصرها فمادت وليها أبا الله فقد صرع ما نرى ولم يبق إلا
حبك ، انتهى .

قال الشيخ رحمتي ، عند من علم الله من مريد الهاشمي رحمه الله أن بعض
الغاربة قدموا مصر برسوف الخ فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين
رضي الله عنه بالقاهرة واستنكبوا نمس وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا
لصاحب القبر حتى أسكر عليهم سادة المشركين ومصر الحاضرين ، فقالوا هذا
حجة في سيدنا الحسين . وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن أن مثل هذا وقع
عندهم وحدثني الشيخ خليل الرندي بالحامع الارهر أن بعض أعيان المدرسين
هناك قال : لا بد في القاهرة إلا بادن أحمد البدوي قال ، فهات له .
هذا لا يكون إلا الله أو كلاما نحو هذا فقال حي في سيدي احمد البدوي
اقتضى هذا .

وحكى أن رجلا سأل الآخر كيف رأيت اجمع عند زيارة الشيخ الفلاني
فقال لم أر أكثر منه إلا في حبال عرفات إلا أني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط
ولا صلوا مدة ثلاثة أيام فقال السائل قد تحملها الشيخ قال بعض الافاضل رباب
تحمل الشيخ مصراعه ما بين مصرى وعبدين قد اتسع خرقه وتتابع فتقه وما
رشاش زقومه الزائر والمعتقد وسأكن البلد ، انتهى .

قلت وحدثني الشيخ اسحاق أنه رأى أيام رحلته الى مصر للطلاب هذا المجمع
العظيم الذي يسمونه مولد احمد البدوي فذكر انه اعظم بما رآه في جبال عرفات
قال ورأيت فيه سوفا طويلا للبغايا اللواتي أوقفن أنفسهن للزنا في هذا المجمع
صدقة لسيدهن احمد البدوي وليس هذا بعجيب ولا غريب من فعلهم فإنه
يجرى منهم في ذلك الجمع من الكفر بالله والاشراك به ما لم يصل إلى ساحله
كفر ابى جهل وأشياعه فالله المستعان .

وأما قول العراقي : وأما الاعتبار بالقوم الماضين تمكيناً للخضوع من
قلبه ونيلاً للأجر بقراءة الفاتحة .

(فأقول) أما قراءة الفاتحة من البدع المحدثه ولو كان في فرائدها نيل للأجر في ذلك المكان لأمر بها رسول الله ﷺ أصحابه .
(وأما قوله) وليس في كل هذا ما يسلم نكفير المسلم الى آخره (فيقال)
لهذا إن طلب الخوائج من الموتى والاستشفاع بهم والاستعانة بهم . اقض لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . ولا تنفعا الشهادتان مع الإشراك بالله شيئا وقد تقدم بيان ذلك .

فصل

(ثم ذكر العراقي) اختلاف العلماء في شد الرحال الى المناهد .
وهذه المسألة قد فرع منها ثمن أراد الوفوف على الصحيح من كلام العلماء فهو مبسوط في رد شيخ الاسلام على ابن الانخائي ورد الحافظ بن عبد الهادي على السبكي والحق في ذلك واضح فلا حاجة بنا الى التطويل بذكره مع وضوحه في كلام العلماء المحققين .

وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : وأما السفر الى محرد زيارة قبر الخليل أو غيره من مقابر الانبياء ، والصالحين ، ومتساعدهم ، وآثارهم فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين لا الاربعة ولا غيرهم ، بل لو نذر ذلك ، اذ لم يجب عليه الوفاء بهذا النذر عند الأئمة الاربعة ، وغيرهم بخلاف المساجد الثلاثة ، فانه اذا نذر الحج أو العمرة لزمه باتفاق المسلمين ، واذا نذر السفر الى المسجدين الآخرين لزمه عند أكثرهم كمالك ، واحمد ، والشافعي في أظهر قولييه لقول النبي ﷺ « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » رواه البخاري . وانما يجب الوفاء بنذر كل ما كان طاعة مثل من نذر صلاة ، أو صوما أو اعتكافا أو صدقة لله أو حجا ، ولهذا لا يجب بالنذر السفر الى غير المساجد الثلاثة لأنه ليس بطاعة لقول النبي ﷺ « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد » فغير المساجد أولى بالمنع مع ان قوله لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد يتناول السفر الى كل بقعة مقصودة بخلاف السفر للتجارة

وطلب العلم ونحو ذلك . فإن السفر لطلب تلك الحاجة حيث كان ، وكذلك السفر لزيارة الأح في الله . فإنه من المأمور حيث كان ، وقد ذكر بعض المتأخرين من العلماء أنه لا بأس بالسفر إلى المشاهد واحجوا بأن النبي ﷺ كان يأتي قباء كل سبب راكباً ومشيياً . أخرجاه إلى الصحيحين ولا حاجة لهم فيه لأن قباء ليس مسجداً بل مسجد وهو منهي عن السفر إليها بانفاق الاتم . لأن ذلك ليس بسفر مشروع ، بل لو سافر إلى قباء من ديرة أهله لم تحر ، ولو سافر إلى المسجد النبوي لم ذهب منه إلى قباء فمذا يستحب كما تسحب زيارة قبور أهل البقع وسنداء أحد انتهى

(ثم قال المراقى ، ويدل على سواد الرسل لزيارة القبور ما قاله عمر رضي الله عنه بعد صبح السام سكب الاحمار يا كعب ألا تريد أن تأتي معنا إلى المدينة فنزور سيد المرسلين ، قال نعم يا امير المؤمنين أما أفعل ذلك يدل عليه مجيء بلال رضي الله عنه من السام إلى المدينة لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه .

(والجواب) أن نفوا . هؤلاء الملا نعلمون نادبال الموصوعات ويعتمدون الاقوال المكذوبات ويحسبون أنهم على شيء ألا أهم هم الكاذبون . قال الحافظ بن عبد الهادي في جواهره للسبكي وهو مضال أولاً ببيان صحته وثانياً ببيان دلالة على مطلوبه ولا سبيل له إلى واحد من الأمرين . ومن المعلوم أن هذا من الأكاذيب والموصوعات على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتوح الشام فيه كذب كثير وهذا لا يخفى على آحاد طلبة العلم ، ولكن شأن هذا المعارض الاحتجاج دائماً بما يظنه موافقاً لهواه ولو كان من المنخقة والموفودة والمتردية ، وليس هذا شأن العلماء بل على المستدل بحديث أو أثر عليه أن يبين صحته ودلالته على مطلوبه . وهذا المنقول عن عمر رضي الله عنه لو كان ثابتاً عنه لم يكن فيه دليل على محل النزاع ، وقد عرف أن شيخ الإسلام لا ينكر الزيارة على الوجه المشروع ولا يكرها ، بل يحضها ويندب إلى فعلها ، انتهى .

أقول وكذا في الردابة لا سكر ونزلة على الروح المعنوية بل هي عندهم
من أفضل الأعمال والله المتدبر .

(تم ذكر العراقي) أن من القائلين بالحوار الإمام النجاشي والقسطلاني
والإمام الغزالي وهؤلاء يفتنون بأفضل سهم وأعلم وأنس رسول الله ﷺ
وأتباعه والسبعين لهم ، ومن العلماء المسلمين من تتدبر حال الإمام مالك رحمه
الله ولم يحالفه أحد من الأئمة الثلاثة ومنهم الإمام أبو عبد الله بن بطنة وأبو الوفاء
ابن عقيل وغيرهم من العلماء الراشدين .

(تم ذكر العراقي) مسئلة سماع أهل القبور وذكر من التحليل ما لا يزيد
عليه وقد أجاب على ذلك كله محمود شكري بن عبد الله بن محمود الألوسي في
تنمته وبه الكفاية فلا طائل بذكره إلا ما يقول : إن سماع أهل القلب فليب
بدر لكلام رسول الله ﷺ سماع حقيقي ، وكذلك سماع أهل القبور سلام
المسلم عليهم وردهم عليه . وأن إعادة الأرواح لتلك الاستباح بعد مفارقتها إياها
إنما هي إعادة عارضة لا إعادة مستقرة مستمرة بل لسماع الكلام ورد السلام
والسؤال فقط ، وأما دعوى إجابة الدعوات وغيابة اللهم فمات وتفرج الكربات
وقضاء الحاجات من الأموات فمن الممتنع عفا وترعاً وفطرة وفدراً كما هو
صريح نصوص الآيات القرآنية والاحاديث النبوية . ولكن قد ذكر هذا
الملحد في قصة المعراج رؤية النبي ﷺ لعيسى وموسى وإبراهيم ، فقال : وعن
ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : رأيت عيسى وموسى وإبراهيم
عليهم الصلاة والسلام ، رواء الشيخان ومالك في الموطأ والمقصود أن هذا
الملحد لما أتى إلى هذا المقام لم يذكر فيه أنه رأى في السموات على قدر منازلهم
فأخرس عن ذلك أخرس الله لسانه لأنه قد ذكر فيما تقدم من الحادثة أن
عروج النبي ﷺ إلى الله تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع يتقرب إليه بالطاعات
فيه لأنه ينكر أن يكون الله فوق السموات على عرشه فلذلك حدد عروج
النبي ﷺ إلى الله بذاته الشريفة .

(فتقول) الوهاية لهذا الملحد المعطل كيف جاز لك أن تحتج علينا بسماع

الشهداء والأيام... من رأى محمد بن عبد الله...
وموسى وإبراهيم وقد أرفع...
بأنه رأى جبرئيل في السماء...
إبراهيم في السماء...
رأى النبي ﷺ...
موضع يتقرب إليه...
أى مكان رأى ولا يدرك...
الشهداء بعضهم في حور...
وتأوى إلى فنادى...
رزقهم من الجنة...
أن أرواح المؤمنين في عليين...
وأهم أرفع منزلة من...
الأرواح التي فوق السموات...
الأرض وتنفعهم...
(وهم عن دعائهم غافلون)...
والصالحين...
لا يأتيه الباطل من بين يديه...
السؤال مسألة...
روحه حتى يرد السلام...
مسلم يمر على قبر أخيه...
يرد عليه السلام...
« ما من رجل يزور قبر أخيه...
وعن أبي هريرة رضى الله عنه...
عليه السلام وعرفه...
إن أبي الدنيا في كتاب القبور...:

فإن رسول الله ﷺ : ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحه حتى ارد عليه السلام ، وهذه الأحاديث تدل على أنهم ليسوا بأحياء في قبورهم بدليل قوله ﷺ : ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحه حتى ارد عليه السلام ، في هذا دليل على أن الأرواح قد فارقت الأشباح ، وإنما ترد الأرواح لرد السلام ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام سبق : على أن قوله ثم تعاد روحه في جسده لا يدل على حياة مسقرة وإنما يدل على إعادة لها إلى البدن وتعلق به الروح لم تزل منعلقة ببدنها وإن بلى وتمزق وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق سنأيرة الأحكام أحدها نعلقها به في بطن الأم حينها ، الثاني نعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض . الثالث نعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه . الرابع نعلقها به في البرزخ ، فانها وإن فارقت وتجردت عنه فانها لم تنأ عنه فراقا كلياً بحيث لا يبقى لها النفث إليه البتة ، وقد ذكرنا في أول الجواب من الأحاديث والآثار ما يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم وهذا الرد أعاده خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة ، الخامس نعلقها به يوم بحث الأجساد إلى آخر كلامه رحمه الله .

(وأما قوله) ومن الأدلة على أن الله تعالى يحيي الموتى في قبورهم فيسمعون قوله تعالى - حكاية على سبيل التصديق - (ربنا أمتنا اتنتين وأحييتنا اتنتين) فالمراد بأحدى الاماتين الاماة قبل مزار القبور ، وبالأخرى الاماة بعد مزار القبور فانهم لو لم يحيوا في القبور تابة ما صحت اماتهم تابة .

وأما جواب الوهاية أن الاماة الاولى هي حال العدم قبل الخلق . والثانية الاماة بعد الخلق ، فما يضحك الصبيان لأن الاماة لا تكون إلا بعد الحياة ، ولا حياة قبل أن يخلق الله الحياة . وأما جوابها أن الاماة الاولى هي اماة الناس بعد حياتهم في عالم الدر فهو أوهن من جوابها الاول لأن الناس في عالم الدر لم يكونوا غير أرواح خلقها الله تعالى فسألهم (أأست بربكم) فأجابوا قائلين : بلى ، وأنت تعلم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح للجسد ، وحيث لا جسد فلا موت نعم يجوز أن يفنى الله الأرواح بعد خلقها

في عالم النور ، راسك دنار اس من المات في سوء ما تهم .
 (فالجواب) أن قال . اس هذا بجواب الوهاية فقط ، بل قد ذكره
 ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح فقال : وأما قول أهل النار (ربنا أمتنا اثنتين
 وأحييتنا اثنتين) فمفسر هذه الآية الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى (كذب
 تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياناكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم) فكانوا أمواتاً
 وهم نطف في أصلاب أماتهم . وفي أرحام أماتهم ، ثم أحياهم بعد ذلك . ثم أماتهم .
 ثم يحييهم يوم النشور . فصار حواءك هو الذي يضحك منه الصبيان لأنه مكارة
 للقرآن لأن الله وحده . أخبر أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب أماتهم .
 وفي أرحام أماتهم (ولا نأثك مثل نخير - ومن أصدى من الله قيدا - ومن
 أحسن من الله حديثاً) ثم أحياهم سبحانه باخراجهم الى دار الدنيا ، ثم أماتهم
 سبحانه ثم يحييهم يوم النشور . وما ذكره ابن القيم رحمه الله قال أهل التفسير :
 قال الحافظ ابن كثير رحمه الله على هذه الآية يقول الله تعالى مخبراً عن الكفار
 أنهم ينادون يوم القيامة وهم في عمرات النيران يتلطون ، وذلك عندما باشروا
 من عذاب الله تعالى ما لا قبل لأحد - إلى أن قال .

(أما قوله) (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال النوري عن
 أبي اسحق عن أبي الاحوص عن ابن مسعود رضى الله عنه هذه الآية كقوله
 تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياناكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم
 اليه ترجعون) وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهذا هو
 الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية . وقال السدي : أمتوا في الدنيا ، ثم أحيوا في
 قبورهم فخطبوا ، ثم أمتوا ثم أحيوا يوم القيامة . وقال ابن زيد : أحيوا حين
 أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ، ثم خلقهم في الارحام ، ثم أماتهم
 ثم أحياهم يوم القيامة ، وهذان القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لأنه يلزمهما
 على ما قال ثلاث احياءات واماتات ، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس
 ومن تابعهما الى آخر كلامه رحمه الله ، فان كان ما قال أصحاب رسول الله ﷺ
 يضحك الصبيان فليس على وجه الارض صحيح إلا ما صححه هذا الملحد بمعقوله

الذى هو كلام المجادس، أنسبه به من كلام المحامين ، وحيث نسب تفسير اصحاب رسول الله ﷺ إلى الرضا، فاهللاً به أهلاً قائماً به قائلون ، وعلى ما أثبتوه معتمدون ، ولما سواه ما فرون .

(وأما قول العراقي) وأما جوابها أن الاماته الاولى هى اماته الناس بعد حياتهم فى عالم النذر فهو أوهم من جوابها الأول لأن الناس فى عالم النذر لم يكونوا غير أرواح الخ .

فأقول : هذا الجواب ليس هو للوهائية ، بل هو كلام ابن زيد وقد ضعفه ابن كثير كما تقدم وهو مبنى على خلاف العلماء فى خلق الارواح هل هو مقدم على أبدانها أم متأخر . والصحيح الذى تشهد به النصوص من الكتاب والسنة أن خلقها بعد خلق الابدان وذلك بعد ارسال الله ملك الارواح الى النطق فى بطون الامهات ينفخ فيها الروح والذى ثبت انما هو اثبات القدر السابق وتقسيمهم إلى شتى وسعيد . وأما الاحاديث التى وردت فى تقدم خلقها على أبدانها فلا يصح منها شيء ، والصحيح الثابت هو ما ذكره ابن القيم من الوجوه التى ذكرها فى الفصل الذى ذكر فيه الادلة على أن خلق الارواح متأخر عن خلق الابدان وبه الكفاية فمن أراد تحقيق المسألة فهى مبسوطه فى كتاب الروح فى هذا الفصل . واذا تقرر هذا فليس للوهائية كلام على هذه المسألة منسوب اليها فيكون هذا الجواب جواباً له ، بل هو جواب باطل فاسد على أصل لا يصح بدليل شرعى ثابت ، فان كان تكلم فى هذه المسألة أحد ممن تنسبونه إلى الوهائية فربما . وأما الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه فليس لهم فيها كلام معروف غير ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى والقول الذى يعتمد فى هذه المسائل كلها هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى فى الكفاية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية ، قال رحمه الله تعالى :

فصل

في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قواكم
قال الرسول بقبره حي كما
من فوقه أطباق ذلك اترب والا-
لو كان حياً في الخريج حياته
ما كان تحت الأرض بل من فوقها
أتراه تحت الأرض حياً ثم لا
ويرج أمته من الآراء وال-
أم كان حياً عاجزاً عن نطقه
وعن الحراك فما الحياة اللاء قد
هذا ولم لا جاء أصحابه
إذ كان ذلك دأبهم وبيهم
هل جاءكم أثر بأب صحابه
فأجابهم بجواب حي ناطق
هلا أجابهموا جواباً شافياً
هذا وما شئت ركائه عن الخ
مع شدة الحرص العظيم له على
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم
إن قلموه سبق البيان صدقتهم
هذا وكم من أمراً شكل بعده
أو ما نرى الفاروق ودُّ بأنه
بالجد في ميراثه وكلاله
قد قصر الفاروق عند فريقكم

توقيت يا كثرة الخلقان
قد كان فوق الأرض والرجان
سمان قد عرست على الحدران
قبل المات بنير ما فرقان
والله هذي سنة الرحمان
يفتيهموا بشرائع الايمان
حلف العظيم وسائر البهتان
وعن الجواب لسائل لهمان
أبتهموها أوضحوها ببيان
يتككون بأس الناجر الضمان
حي يشاهدكم شهود عيان
سألوه فتياً وهو في الاكفان
فأتوا إذا بالحق والبرهان
ان كان حياً ناطقاً بلسان
جرات للقاصي من البلدان
ارشادهم بطرائق التبيان
ويكون للتبيان ذا كتمان
قد كان بالتكرار ذا تبيان
أعني على العلماء كل زمان
قد كان منه المهد ذا تبيان
وبعض أبواب الربا الفتان
إذ لم يسله وهو في الاكفان

أَتَرَاهُم يَأْتُونَ حَوْلَ مَسْرِيٍّ
وَبَيْنَهُمْ حَيٌّ يَنْسَاهُ وَيَسْ
أَفْكَانٌ يَعْمَلُ أَنْ يَحْيِي بِقَوْلِهِ
يَا قَوْمُنَا اسْتَجِيرُوا مِنَ الْمَقْلَاءِ وَالْمَدِ
وَاللَّهُ لَا قُدْرَ الرَّسُولِ دَرَفَتْنَا
مَنْ كَانَ هَذَا الْقُدْرُ مَبْلُغٌ تَلَمَّه
وَلَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ أَنَّ رَسُولَهُ
أُخْفَاءُ أَنَّ اللَّهَ يَاعَهُ لَنَا
أَثَلَاتُ مَوْتَاتٍ تَكُونُ نُرْسَلُهُ
إِذَا عِنْدَ نَفْخِ الصُّورِ لَا يَبْقَى أَمْرٌ
أَفْهَلُ يَمُوتُ الرُّسُلُ أَمْ يَبْقَوْنَ إِذَا
فَتَكَلَّمُوا بِالْعِلْمِ لَا الدَّعْوَى وَجِيءَ
أَوْ لَمْ يَقْلُ مِنْ قَبْلِكُمْ لِلرَّافِعِ الْإِلَهِ
لَا تَرْفَعُوا الْأَصْوَاتَ حَرَمَةَ عَبْدِهِ
قَدْ كَانَ يُمْكِنُهُمْ يَقُولُوا أَنَّهُ
لَكِنُّهُمْ بِاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْكُمْ
وَلَقَدْ أَتَوْا يَوْمًا إِلَى الْعَبَّاسِ يَسْ
هَذَا وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَيْنِهِمْ
فَنَبِيَّهُمْ حَيٌّ وَيَسْتَسْقُونَ غِي

اسْتَأْذَنُوا أَسْمَاءُ عَنْ حِصَانِ
مَعْبُودٍ وَلَا نَأْتِي لَهُمْ بَيَانِ
إِنْ كَانَ حَيًّا دَاخِلَ الْبَنِيَانِ
مَعْبُودٍ بِالنَّقَرِ الرَّحْمَنِ
كَلَّا وَلَا لِلنَّفْسِ وَالْإِنْسَانِ
فَلَيْسَتْ تَرَى بِالصَّبْرِ وَالْكَيْدِ
مَيِّتٌ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
فِي الْقَبْرِ قَبْلَ قِيَامَةِ الْإِبْدَانِ
وَلَفِغَتْ مِنْ حُلُقِهِ مَوْتَانِ
فِي الْأَرْضِ حَبًّا قَطُ بِالْبَرْهَانِ
مَاتَ الْوَرَى أَمْ هَلْ لَكُمْ قَوْلَانِ
عُتُوا بِالْإِدْلِيلِ فَنَحْنُ ذُو الْأَذْهَانِ
صَوَاتِ حَوْلَ الْقَبْرِ بِالنَّكْرَانِ
مَيِّتًا كَحَرَمَتِهِ لَدَى الْحَيَوَانِ
حَيٌّ فَعَضُوا الصَّوْتِ بِالْإِحْسَانِ
وَرَسُولُهُ وَحَقَائِقُ الْإِيمَانِ
تَسْقُونَ مِنْ قَحْطٍ وَجَدِبَ زَمَانِ
عَرَضَ الْجِدَارِ وَحِجْرَةِ النَّسْوَانِ
رَبِّهِمْ حَاشَا أُولَى الْإِيمَانِ

فصل

فَمَا احْتَجُّوا بِهِ عَلَى حَيَاةِ الرُّسُلِ فِي الْقُبُورِ

فَإِنْ احْتَجَّجْتُمْ بِالشَّهِيدِ بِأَنَّهُ
وَالرُّسُلُ أَكْمَلُ حَالَةٍ مِنْهُ بَلَا
حَيٌّ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
شَكٌّ وَهَذَا ظَاهِرُ التَّبْيَانِ

فلذلك كانوا بأخباته أحسن من
وبأن عقد نسائه لم يمسح
ولأجل هذا لم يحل الخمر
أفليس في هذا دليل أنه
أو لم يرى المختار موسى ما
أفئت يأتي الصلاة وإد ذا
أيرد ميت السلام على الذي
أو لم يقل إني أريد إلى الذي
هذا وقد جاء الحديد بأنهم
وبأن أعمال العباد عليه تعد
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي

منه دائماً بالنقل والإيمان
منسأوه في عصمة برصيان
نهر واحدة مدى الأزمان
حي لمن كانت له أذنان
في قبره لصلاة ذي القربان
عين المحال وواضح الطلان
يأتي تسليم مع الاحسان
يأتي به هذا من البهتان
أحياء في الأحداث ذا تبيان
يرض دائماً في جمعة يومان
قد خص بالفصل العظيم الثان

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذاك حجة
إن الشهيد حياته منصوبة
هذا مع النهي المؤكد أننا
ونسأوه حل لنا من بعده
هذا وإن الارض تأكل لحمه
لكنه مع ذاك حي فارح
فالرسل أولى بالحياة لديه مع
وهي الطرية في التراب وأكلها
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا
فانظر إلى قلب الدليل عليهموا

سنا عليكم وهي ذات بيان
لا بالقياس القائم الأركان
ندعوه ميتاً ذاك في القرآن
والمال مقسوم على السهمان
وسباعها مع أمة الديدان
مستبشر بكرامة الرحمن
موت الجسوم وهذه الابدان
فهو الحرام عليه بالبرهان
أيضا وقد وجدوه رأي عيان
حرفاً بحرف ظاهر التبيان

لكن رسول الله حص سائر
غيره بين رسوله وسواه فاحد
شكر الاله لمن ذاك وربنا
قصر الرسول على أولئك رحمة
وكذلك أيضاً قصرهن عليه
زوجاته في هذه الدنيا وفي الآ
فلذا حرم على سواه بعده
لكن أتين بعدة ترعية
هذا ورؤيته الكليم مصلياً
في القلب منه حسبة هل قاله
ولذلك أعرض في الصحيح محمد
والدارقطني الامام أعلاه
أنس يقول رأى الكليم مصلياً
بين السياق إلى السياق تفاوتاً
لكن تقلد مسلم وسواه
فرواه الاثبات أعلام الهدى
لكن هذا ليس مختصاً به
فروى ابن حبان الصدوق وغيره
فيه صلاة العصر في قبر الذي
فتمثل الشمس الذي قد كان ير
عند الغروب يخاف فوت صلاته
حتى أصل العصر قبل فواتها
هذا مع الموت المحقق لا الذي
هذا وثابت البناني قد دعا ال
أن لا يزال مصلياً في قبره

بخصيصة عن سائر السوان
تعد الرسول لصحة الايمان
سبحانه للعبد ذو شكران
منه بهن وشكر ذي الاحسان
لنوم بلا شك ولا حسابان
حرى يقيناً واضح البرهان
إذ ذاك صون عن فراس ثان
فيها الحدود وملرم الأوطان
في قبره أثر عظيم الشأن
فالخلق ما قد قال ذو البرهان
عنه على عمد بلا نسيان
برواية معلومة التبيان
في قبره فاعجب لذا الفرقان
لا تطرحه فما هما سيان
من صح هذا عنده ببيان
حفاظ هذا الدين في الأزمان
والله ذو فضل وذو احسان
خبراً صحيحاً عنده ذا شان
قد مات وهو محقق الايمان
عاهها لأجل صلاة ذي القربان
فيقول للملكين هل تدعان
قالا سنفعل ذاك بعد الآن
حكيت لنا بثبوت القولان
رحمان دعوة صادق الايقان
إن كان أعطي ذاك من انسان

لكن رؤيته لم يروى ليلة الـ
 يرويه أصحاب الصحيح جميعهم
 ولذلك طس معارضاً لمسلاته
 وأجيب عنه بأنه أسرى به
 فراه ثم وفي الضريح وليس دا
 هذا ورد بيننا لسلام من
 ما ذاك مختصاً به أيضاً كما
 من زار قبر أح له فأتى بتس
 رد الاله عليه حقاً روحه
 وحديث ذكر حياتهم بقبرهم
 فانظر الى الاسماء تعرف سانه
 هذا ونحن نقول هم أحياء لا
 والتراب تحتهم ووفوق رؤوسهم
 مثل الذي قد قتلتموه سعائنا
 بل عند ربهموا تعالى مثمنا
 لكن حياتهموا أحل وطاهم
 هذا وأما عرض أعمال العبا
 وأتى به أثر فان مسح الحديد
 لكن هذا ليس مختصاً به
 فعلى أبي الانسان يعرض سعيه
 إن كان سعيّاً صالحاً فرحوا به
 أو كان سعيّاً سيئاً حزنوا وفا
 ولذا استعاضم الصحابة من روى
 يارب آتي عائد من خزنة
 ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة

سمعراج فوق جميع دي الأكوان
 والقطع موجه بلا صكران
 في قبره إذ ليس يجتمعان
 ليراد ثم مشاهداً بعيان
 بتناقض إذ أمكن الوقتان
 بأخي تسليم مع الاحسان
 قد قاله المسوت بالقرآن
 سليم عليه وهو ذو إيمان
 حتى يرد عليه رد بيان
 لما يصح وظاهر السكران
 إن كنت ذا علم بهذا الشأن
 كن عندما كحياة ذي الابدان
 وعن الشائل ثم عن إيمان
 بالله من إفاك ومن بهنان
 قد قال في الشهداء في القرآن
 أعلى وأكمل عند ذي الاحسان
 د عليه فهو الحق ذو امكان
 ث به حتى ليس ذا سكران
 أيضاً بآثار روين حسان
 وعلى أقاربه مع الاخوان
 واستبشروا بالذة الفرخان
 لوا رب راجعه الى الاحسان
 هذا الحديث عقيب بلسان
 أخزى بها عند القريب الدان
 المحبو بالغفران والرضوان

لكن هذا ذر احتصاص رادي
هذي هيايت لأقدام نوري
والحق فيه ليس تحسبه عقو
ولجهلهم بالروح مع أحكامها
فارض الذي رضي الاله لهم به
هل في عقولهموا بأن الروح في
وترد أوقات السلام عليه من
وكذلك ان زرت القبور مسالماً
فهموا يردون السلام عليك لا
هذا وأجواف الطيور الخصر مس
من ليس يحمل عقله هذا فلا
للروح شأن غير ذي الاجسام لا
وهو الذي حار الوري فيه فلم
وهذا وأمر فوق ذا لو قلته
فلذلك أمسكت العنان ولو أرى
هذا وقولي إنها مخلوقة
هذا وقولي إنها ليست كما
لا داخل فينا ولا هي خارج
والله لا الرحمن أثبتهم ولا
عطلتموا الأبدان من أرواحها

للمصطفى ما يسأل القلان
في ذا المقام الضات سبع الشان
ل اي الزمان لغلظة الاذهان
وصفاتها للألف بالابدان
أتريد تنقض حكمة الديان
أعلى التوفيق مقيسة بحسان
اتباعه في سائر الأزمان
ردت لهم أرواحهم للأل
كر لست تسمعه بذي الأذنان
سكنها لدى الجنان والرضوان
تظلمه وعذره على النكران
تهمله شأن الروح أعجب شأن
يعرفه غير الفرد في الأزمان
بادرب بالاسكار والمدوان
دالك الرفيق جريت في الميدان
وحدوثها المعلوم بالبرهان
قد قال أهل الأفك والبهتان
عنا كما قالوه في الديان
أرواحكم يا مدعي العرفان
والعرش عطلتم من الرحمان

فصل

(قال العراقي) ألوهاية ونكفيرها الخالف بعير الله والناذر والدايح ، فأن الله ألوهاية إنها تتحرى في كل أمر أسباب نكفير المسلمين عما يثبت أن همها الأكبر هو نكفيرهم لا غير ، فزاهها تكفر من يتوسل إلى الله تعالى بنبيه ﷺ ويستعين باستشفاعه إلى الله تعالى على قضاء حوائجهم ، وهي لا تخلع عصاهم والمروفي عن طاعة أمير المؤمنين الذي أمر الله تعالى في كتابه المبين لزوم طاعته كما سطرناه في مقدمات الرسالة ، ونحذ أعداء الدين أولياء يستمد منهم في إحضار القوى إلى نسيها إلى الفساد وتلجها في الغواية والسناد ، قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) حقاً للوهاية أنها لا تدري أن أولئك الأولياء الذين تتخذهم ذريعة لقهر المسلمين إذا ثبت قدمهم فاهم يقرروها ويهضموها أيضاً مع من تعدد خصماً مخالفاً لمذهبها .

(فأقول إليه بآب اللخنا) لقد - والله - علمتم أنكم لأنتم أخذان إخوان القردة والخنازير ، وإخوان عبدة الصليب أصحاب السعير ، وأنا لم نزرع إليهم ولم نستعن بهم في شيء من الأمور التي تزعمونها ، وأنا لم نتخذهم أولياء وقد علمتم أنه ليس في ديارنا لهم علماء ، ولا جعلنا في أوطاسنا فواصل ، ولم نلتزم في ملتنا قوايهم وتقديمها على شرع الله ورسوله ، ونحن برأ إلى الله منهم ومنكم ، كفرنا بكم وبدا بننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ولكن قد غلبت عليكم الفجة والتظاهر بالكذب والعدوان لكي تطفئوا نور الله بأفواهكم ويأني الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فانظر قاتلك الله يا عدو الله من قناصل أعداء الله ورسوله عنده ، ومن أعلامهم منصوبة في ديارهم ، ومن اليهود والنصارى والرافضة في جملة عساكرهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، وتدري من سعى

في الارض بالفساد رجع في الغواية والخذلان وساء في بحر الضلاله وتدرج برداء الشرك والجهالة .

.. وأما قوله من غير مرة إن دين الوهابية تكفير كافة المسلمين بكل أمر فهي تكفيرهم لتوسلهم بحاجه الانبياء والاولياء وديانهم (فأقول) أما تكفير عامة المسلمين فمن الكذب الواضح وقد بناد غير مرة وأما التوسل بحاجه الانبياء والاولياء فالوهابية لا يكفرون بمجرد التوسل بحاجهم وأما دعاؤهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم والالتجاء اليهم فهو كفر مخرج عن الملة وقد قدمنا أدلة ذلك وكلام أهل العلم في ذلك .

.. وأما قوله . وتكفيرهم بالخلف بغير الله (فأقول) وهذا أيضاً من الكذب على الوهابية والالوهام الوية .

.. وأما قوله . والنذر لذلك الغير والذبح له فسيأتى الكلام عليه قريباً .
.. وقوله . ولو سلطنا أن في بعض الاقوال التي تنسبها الوهابية الى المسلمين كفر آيصح أن يقال فيه إن قائل هذا القول يكفر لما صح أن تكفر جميع الامة أو تكفر شخصاً معيناً قال ذلك القول فقد يكون القائل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق أو لم تثبت عنده أو لم يتمكن من معرفتها وفهمها أو يكون قد عرضت له شبهات يعذر الله تعالى فيها .

.. فأقول . الوهابية لا يكفرون إلا من كفر الله ورسوله وقامت عليه الحجة التي يكفر تاركها ولا يلزم من تكفير من قام به الكفر وقامت عليه الحجة تكفير جميع المسلمين فان هذا من اللوازم الباطلة والاقوال الداحضة (وأما) تكفير الشخص المعين فلا مانع من تكفيره اذا صدر منه ما يوجب تكفيره فان عبادة الله وحده لا شريك له من الامور الضرورية المعلومة من دين الاسلام فمن بلغته دعوة الرسول وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة (وأما) الامور التي لا يكفر فاعلمها حتى تقوم الحجة إنما هو في المسائل النظرية والاجتهادية التي قد يخفى دليلها (وأما) عباد القبور فهم عند السلف وأهل العلم يسمون الغالية لأن فعلهم غلو يشبه غلو النصارى في الانبياء والصالحين وعبادتهم ،

مسألة توحيد الله واحلاص العبادة له لم . ارفع في وجوبها أحد من أهل الإسلام
لا أهل الأهل والأهل ولا غيرهم وهي معلومة من الدين بالضرورة كل من بلغته
الرسالة وأصوبها على ما هي عليه عرف أن هذا زبدتها وحاصها ، وسائر
الأحكام تدور عليه ، قال شيخ الإسلام ابن نيمية في الرد على المنكسرين لما ذكر
أن بعض أئمتهم توحيد منهم الردة عن الإسلام كثيراً قال ، وهذا وإن كان في
المقالات الخفية فقد يقال فيها أنه مخطيء ضال لم تتم عليه الحجة التي يكفر نازكها
لكن هذا يصدر منهم في أمور يعامها الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول
الله ﷺ بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونبيه عن
عبادة أحد سواه من الملائكة والنبين وغيرهم فإن هذا أظهر شرائع الإسلام
ومثل إيجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر
والميسر ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وفروعها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك
أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازي . قال وهذه
ردة صريحة . انتهى . فالشخص المعين إذا صدر منه ما يوجب كفره من
الأمور التي هي من ضروريات الإسلام مثل عبادة غير الله سبحانه وتعالى فإن
الله قد أقام الحجة بانزال كتبه وبعث رسله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسول وهذا مما لا اشكال فيه .

(وأما قوله) فقد يقول القائل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق
إلى آخره .

(فأقول) أما ما عدا الأمور الضرورية المعلومة من دين الإسلام فاما
لا نكفر من قال قولاً لم يبلغه النص في ذلك بتكفير من فعله لأن الترائع
لا تلزم إلا بعد البلوغ وكذلك من لم يثبت عنده النص أو قام لديه معارض
من نص آخر أو وقعت له شبهة يعذر الله بها هذا مما لا اشكال فيه عند
أهل العلم .

(وأما قول) هذا الجاهل المركب أو لم يتمكن من معرفتها وفهمها (فأنما)
هي من عدم معرفته بالفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة فإن من بلغته دعوة

الرسول فقد قامت عليه الحجة ان كان على وجه يمكن معه العلم ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الايمان والقبول والاعتقاد لما جاء به الرسول فان فهم الحجة نوع آخر غير قيامها قال الله تعالى (أم تحسب أن أكرهم بسمعهم أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) وقال تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) وقال تعالى (قل هل ينبتكم بالآخرين أعمالا الذين صل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه) الآية .
(وأما قوله) فالذي يؤمن بالله ورسوله فان الله قد يعفو له برحمته بعض الذنوب القولية والعملية .

(فأقول) هذا حق وذلك فيمن أتى ذنباً لا يخرج من الملة أو كان ذلك القول أو الفعل مما ليس بضروري في الدين كما تقدم بيانه وما من أشرك بالله في عبادته فقد قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأما من أتى بالشرك الاكبر فالله قد حرم عليه الجنة وأواه النار وان زعم أنه مؤمن بالله ورسوله وتلفظ بالشهادتين فان هذا لا ينفعه مع فعل الشرك المخرج من الملة كدعائه غير الله واستغاثته بمن سواه والالتجاء اليه وطلب الحوائج من الولاة فان هذا مناف لشهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وما نزل من الآيات في الوعيد على من اقترف ذنباً لا يخرج من الاسلام فهو تحت مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه ولا يكفر بهذه الذنوب الا الخوارج .

(وأما قوله) قال ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين ما ملخصه ان أهل السنة متفقون على أن الشخص الواحد قد يكون فيه ولاية لله تعالى وعداوة من وجهين مختلفين وقد يكون فيه ايمان ونفاق وايمان وكفر ويكون أحدهما اليه أقرب من الآخر فيكون من أهله قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) .

(فأقول هذا حق) فقد يكون الشخص فيه ولاية لله تعالى وعداوة وذلك كمثل الصحابي الذي كان يكتم من شرب الخمر فقال رجل : لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله ﷺ لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ، وكذلك كمثل الصحابي الذي كان يكتم من شرب الخمر فقال رجل : لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به كان فيه خصلة من النفاق كن اذا خاصم فجر واذا إئتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر وكذلك الكافر مع الايمان كقوله ﷺ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ومن حلف بغير الله فقد كفر الى غير ذلك من الأمور التي لا تخرج من الملة من الأقوال والأعمال وبالجملة فالقلب الذي لم يتمكن منه الايمان ولم يزهر فيه سواه حيث لم يتجرد للحق المحض الذي بعث الله رسوله بل فيه مادتان مادة منه ومادة من خلافه فتارة يكون الكافر أقرب منه للايمان وتارة يكون للايمان أقرب منه للكفر والحكم للغالب واليه يرجع فهذا وأمثاله لا يدخل في مسألة من صرف لغير الله سوا من العبادة فاما قد ينسأ فيما تقدم الأدلة على كفره من الكتاب والسنة وأقوال العلماء بالمخاطبة بادخال هذه الأمور في مسألة عبادة غير الله سفسطة ونمويه وسرح للحق بالباطل فسحقاً وبعداً للقوم الظالمين .

(وأما قول العراقي) أما الحلف بغير الله فلا يخرج مرتكبه عن الاسلام الى آخر كلامه (فأقول) قد كان من المعلوم أن مجرد الحلف بغير الله لا يخرج من الملة ومن زعم انما يكفر بهذه الاشياء كفرأ مخرجاً عن الملة فهو من أكذب خلق الله وأجراًهم على الفرية وقول الزور وقد ذكر ابن القيم رحمه الله ان من عظم مخلوقاً بالحلف تعظيماً كتعظيم الله فقد أشرك شركاً أكبر وقال لما عده من هذه الالفاظ ونحوها في شرح المدارج وقد يكون ذلك شركاً أكبر بحسب ما قام بقلب فاعله وحديث ابن عمر صريح في اطلاق الكفر والشرك بالحلف بغير الله فمن منع الاطلاق فهو مشاق لله ولرسوله ولكن ساق البخاري في صحيحه قول ابن عباس كفر دون كفر وشرك دون شرك وظلم دون ظلم .

(وأما قوله) من حلف بغير الله فقد كفر فقد حمله أئمة الحديث من شافعية

وحقيقه وحنانة ومالكوبة على أن المقصود به كفر النعمة (فأقول) هذا الحل صيف جدا إذا ما من معصية ردب بفعله المسكاف المخنار إلا وفيه من كفر النعمة بحسبه والشكر هو استعمال النعمة في طاعة معطيها ومسديها مع محبته والرضا عنه والتناء بها عليه والشكر صد الكفر من أحل بنىء من الشكر ففيه من كفر النعمة بحسب ذلك فتحصل ان كفر النعمة لا يختص بما أطلق عليه الشارع الكفر من الافعال فلا بد للنص من معنى يخصه وحكمة في تخصيص بعض الافراد وهذا معلوم بالشرع والفطرة إذ تخصيص بعض أفراد الجنس من غير تخصيص يقتضى ذلك تحكم محض ونرجح بلا مرجح .

(وأما قوله) حتى إن أصحاب الشافعي قالوا بأنه مكروه تنزيها لا تحريما فالخلف الذي قد اختلف فيه العلماء أنه مكروه أو حرام لا يجوز أن يقال في مرتكبه إنه كافر خارج عن الملة (فأقول) اما كونه مكروها كراهة تنزيه لا كراهة تحريم فهذا مما لا دليل عليه من الكتاب والسنة بل هو عرف حادث والكراهة في عرف الكتاب والسنة وقدماء العلماء تطلق على التحريم قال الله تعالى بعد ذكر المحرمات (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وكما في الحديث « ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ، فلا عبرة بخلاف من خالف ما يقتضيه الكتاب والسنة بالاصلاح الحادث وأما دعوى أن ذلك يخرج عن الملة فقد بينا أنه من الكذب والبهتان .

فصل

(ثم قال العراقي) وأما النذر لغير الله فقد صرح الشيخ تقي الدين ابن تيمية وابن القيم وهما من أعظم من شدد فيه بعدم جوازه وكونه معصية لا أنه كفر وشرك مخرج عن الاسلام فلا يجوز الوفاء به ولو تصدق بما نذر من ذلك على من يستحقه من الفقراء كان خيرا له عند الله فلو كان الناذر لغير الله كافرا لما أمراه بالصدقة لأن الصدقة لا تقبل من الكافر بل أمراه بتجديد إسلامه .

(والجواب أن نقول) قد أجاب على هذه الشبهة شيخنا الشيخ عبد اللطيف

رحمه الله في رده شبهات داود ابن جرجس فقال رحمه الله : ليس في
 كلام الشيخ وكلام ابن القيم ما يدل على أن النذر الواقع من عباد القبور لمن
 يدعونه ويقتصدونه لحوائجهم وانجاتهم في الدنيا. انه ليس بشرك بل كلام الشيخ
 وابن القيم صريح في أنه نذر معصية واسراك بالله تعالى فكيف يسوقه وقد عده
 ابن القيم من أنواع الشرك الأكبر وقرنه بالموكل على غير الله والعمل لغيره
 والامانة والخضوع والذل الخير الله واستعاء الرزق من عند غيره وقد تقدم ذلك
 فراجع كلامه في موضعه. نحرف كذب هذا العراقي على الله وعلى رسوله وعلى
 أولى العلم من خلقه فرحم الله امرأً بطر لنفسه قبل أن تزل قدمه ويحاذ بينه وبين
 أهل العمل وكذلك الشيخ صرح بأنه معصية والمعصية تصدق بالترك وغيره
 من الكبائر اذا أطلقت واستدلال المعترض بأنه لم يقل هذا ، هذا النذر كفر
 مخرج عن الملة فاطلاى المعصية كاف في المتصود وأيضاً فالكفر اذا يطلق بعد
 قيام الحجة وقول العراقي فكيف يكفر من نذر لأحد الانبياء وقصده لوجه
 الله في هذه العبارة شيئان (الأول) استبعاده تكفير من نذر للانبياء وجعله
 ذلك دون النذر للشجرة والبقعة مع أن الفتنة بقبور المعظمين أشد محنة من
 الشجر والبقاع وقد قال النبي ﷺ اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب
 الله على قوم اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد ، فالشرك بالانبياء والصالحين أخوف
 وأعظم فتنة كما هو معروف (والثاني) إضافة النذر لأحد الانبياء وقوله بعده
 وقصده لوجه الله فاذا كان النذر نفسه للانبياء والصالحين بطل قوله وقصده
 لوجه الله وانما يكون ذلك نذراً لله وحده وجعل الثواب لمن شاء من عباده
 ومسألة اهداء ثواب القرب الى الانبياء لا يخفى ما فيها من القول بالمنع على من
 له أدنى ممارسة والقصد هنا بيان تناقض العراقي وان كلامه يدفع بعضه بعضا
 وقوله فان ذلك لا يضر بالاتفاق كذب ظاهر فان قول الشيخين إنه يصرف الى
 الفقراء دليل على أنه يضر اذا صدر منه لغير الله وانه مأمور بالتوبة وصرف
 ذلك الى الجهة المشروعة وقد صرف النبي ﷺ مال اللات في الجهاد والمصارف
 الشرعية التي يستعان بها على عبادة الله وحده لا شريك له والاستدلال بصرفها

في ذلك المصرف الترعى على انها شرك وضلال أوجه من الاستدلال بذلك على أن النذر للاصنام ونحوها ليس بشرك .
(وأما قوله) فلو كان الناذر كافراً عندهما لم بأمره بالصدقة ، فإن الصدقة لا تقبل من الكافر .

(فالجواب) من وجوه : (الاول) أنه إذا أفلح عن الذب وصرف المال في مصرفه الترعى فهذا رجوع عما كان عليه ونوبة منه ، (الثانى) أنه لا يقال بالكفر مطلقاً لكل ناذر لغير الله حتى تقوم الحجة الرسالية ، وأما ما نقله عن ابن القيم فقد صرح فيه بأنه نذر معصية وانسراك . وشبهة هذا العراقى أنه لو كان شركاً مخرجاً عن الملة لما جاز صرفه للفقراء .

(فالعراقى) لم يفرق بين النذر والمنذور ، فكون النذر شركاً لا يمنع الاتفاح بالمنذور في الجهة الشرعية كما تقدم من فعله ^{بشيء} بمال اللات (الوجه الثالث) أن الذى يصرفه في المصارف الشرعية ولادة الأمر ، وأهل العلم ، وليس المقصود أن يصرفه الناذر نفسه ، فإن هذا لا يعتبر بل يرد إلى المشروع فسراً ويعامل بنقيض قصده وكلام الشيخ وأمثاله من أهل العلم ليس حجة مستقلة بل الحجة فيما يساق من الأدلة وقد تقدم أن القصد هنا بيان جهله بكلام الشيخ والكشف عن تحريف هذا العراقى لما نقله عن الشيخين ، وإلا فالمرجع إلى أدلة الكتاب والستة قال الله تعالى (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) ، وقال تعالى : (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) فوصف خواص عباده بالوفاء بالنذر وأثنى عليهم بذلك ، وفي الآية الاخرى الوعد بالاثابة والجزاء فثبت أنه عبادة يحبها الرب ويرضاها ، أى الوفاء به وما كان كذلك فيجب اخلاصه لله ، لأن صرف العبادة لغير الله شرك .

وفي حديث علىّ « لعن الله من ذبح لغير الله » وهذا العراقى وأمثاله من القبور بين دفعوا في صدر النصوص ورودها بشبهات وهذيان لا يصدر عن بعقل ما يقول ، وفي آخر العبارة التي نقلها العراقى عن شيخ الاسلام ابن تيمية « وهذا الحكم العام في قبر نفيسة ومن هو أكبر من نفيسة من الصحابة مثل قبر طلحة

والزبير وغيرهما بالبصرة . وفي سلمان وغيره بالعراق ، (قلت) وفيها يار
تدلس العراقي وأنه أسقطها ليروح فؤده : فكيف يكفر من نذر لأحد الأبياء
والصالحين إلى أن قال الشيخ : فيعتقدون أنها باب الخوائج إلى الله وأنها تكشف
الضرر أو تفتح الرزق أو تحفظ مصر فان هذا كافر مشرك يجب قتله وكذلك
من اعتقد ذلك في غيرها كائناً من كان (قل ادعوا الدين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً - قل ادعوا الدين زعمتم من دون
الله لا يملكون) يقال درة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك
وما له منهم من ظهير ، ولا نفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) والعراق من أوله
إلى آخره بل وجميع الكتب والرسائل إنما بعثوا بأن يعبد الله وحده لا شريك
له ، وأن لا يجعل مع الله إلهاً آخر وإلا له من يأله القلب عبادة واستعانة
واجلالاً وإكراماً وخوفاً ورجاء كما هو حال المشركين في آلهتهم ، وإن اعتقد
المشرك أن ما يأله مخلوق ومصنوع كما كان المشركون يقولون في تليبتهم : لبيك
لا شريك لك ، لا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وقال النبي ﷺ الحصين
الخزاعي : يا حصين : نعبد ، قال : أعبد سبعة آلهة ستة في الأرض وواحد
في السماء . قال : « فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك ؟ » قال الذي في السماء ، قال :
يا حصين فاسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، فلما أسلم قال : « قل اللهم ألهمني
رشدى وقنى شر نيسى » والله أعلم ، انتهى .

(قلت) فانظر إلى تصريح الشيخ أن من اعتقد في مخلوق أنه باب الخوائج
إلى الله يعني واسطة في الخوائج أو أنه يكشف الضر أو يفتح الرزق أو يحفظ
مصر أنه كافر مشرك يجب قتله وهذا بعينه هو معتقد عباد القبور الناذرين للبوتى
المستغيثين بهم وهو طريقة العراقي ومذهبه الذي نصره وقرره واستظهره وزعم
أنه لا يضر إلا إذا اعتقد الاستقلال لغير الله كما مرّ عنه في غير موضع وسيأتيك
هذا القيد فيما يأتي من كلامه في مواضع متعددة ، والشيخ قد رد عليه في هذا
وأبطل هذا الشرط بقوله ، وإن اعتقد المشرك أن ما يأله مخلوق مصنوع
وساق ما يقوله المشركون في تليبتهم وساق حديث حصين وهذا لأن الآيات

القرآنية داله على نكته هذا الموع ، أعنى من اتخذ السفعاء والوسائط وقصدهم في حاجاته ومهماتة كما كان يفعل الله سركون مع آلهتهم فكل هذا أعنى الله نصيرة العرافي عنه (وسيعلم الدين طلبوا أى منقلب ينقلبون) .

قال الشيخ صنع الله الحلبي نزيل مكة ، وأما كونهم جوزوا الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيما الأجور فيقال هذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان وفلان فهو لغير الله فيكون باطلا وفي التنزيل (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) والحديث « لا نذر إلا فيما يبتغى به وجه الله » منفق عليه . وورد أن من حلف بغير الله فقد أشرك ، رواه الحاكم وغيره ونحو النذر لغير الله الذبح وفي التنزيل (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) الآية أى إن صلاتي ودعبي لله كما به بطير قوله تعالى (فصل لربك وانحر) الآية وفي الحديث « لا نذر في معصية الله » رواه أبو داود وغيره والنذر لغير الله إشراك مع الله فلا أكبر من معصيته وفي التنزيل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) الآية . فالنذر لغير الله كالذبح لغيره .

وقال الفقهاء خمسة لغير الله شرك ، الركوع والسجود والذبح والنذر واليمين ومن ذكر غير اسم على ذبيحته فهي ميتة يحرم أكلها ولو أشرك مع اسمه أحداً كقوله باسم الله ومحمد ﷺ بواو العطف فكذا تحرم ذبيحته وكذا لو ترك اسم الله عمداً على الذبيحة لا تؤكل عندنا فهي ميتة بصريح قوله جل ذكره (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) فترك المؤمن ذكر الله عمداً كذا ذكر غيره . نعم لو قال هذا النذر لله يذبح في مكان كذا ويصرف على جماعة فلان أو على رباط فلان فلا بأس به كما في الوقف على فلان وفلان فإن قوله لله ملك له وتصرف غلته على من عينه الواقف وكذا هنا . والحاصل أن النذر لغير الله فجور فمن أين لهم الأجور ، وكذا الذبائح ومن قال إن هذا النذر لفلان وهذه الذبيحة لفلان فهو من العصيان ، ومن نذر لله ذبائحاً أو غيره وقال يذبح بمكان كذا ويأكله قوم جاز والله الهادي .

قلت : وإذا نذر لله وجعل مصرفه على السدنة والمجاورين عند القبور فهو

نذر مخصصة لا يجوز صرفه في القرب، السرعة كالخجاج والمعتكفين في المساجد وقد ذكر هذا خير واحد والمنع منه لما فيه من الاعانة على العكوف عند القبور الذي هو من أكر أو سائل والنذراتع إلى عبادتها أو دعائها قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وفي الحديث : أن رجلاً نذر أب يحر إبلاً ببوانة قبل إسلامه ، فلما أسلم سأل رسول الله ﷺ عن نذره ، فقال : هل كان بها وتن من أوثان الجاهلية ؟ قال : لا ، قال : هل كان بها عمد من أعيان الجاهلية ؟ قال : لا ، قال : فأوف بندرك ، ففيه المنع من عبادة الله في أماكن الشرك وعبادة غيره للشبهة الصورية ، وإن لم يقصد فكيف بالنذراتع والسائل القرية المنفضة إلى عبس الشرك ، ونفس المحذور إلا كرفتمف وتأمل أن كان لك نصيرة تدرك بها أسرار الشريعة ، انتهى .

(وأما قوله) وأما الذبح فقد ذكره ابن القيم في المحرمات لا في المكفرات إلا إذا ذبح لما عبد من دون الله وكذلك أهل العلمذكروا أنه مما أهل به لغير الله ولم يكفروا صاحبه .

(فالجواب أن يقول) ما ذكره في كتاب الكبائر من الذبح لغير الله وجعله من المحرم فنعم هو محرم قال تعالى (قل تعالوا انل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً - إلى قوله - لعلكم تتقون) فجعل هذا كاه محرماً . هذا عرف القرآن والسنة والسرع ، والعراقي لجهله وسوء قصده يحمل كلام أهل العلم على العرف النبطي الحادات واصطلاح العامة فقاتل الله الجهل والهوى ، فما أغلظهما حجاباً بين العبد والهدى .

قال شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم : وأيضاً فان قوله تعالى (وما أهل به لغير الله) ظاهره ما ذبح لغير الله سواء لفظ فيه به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم ، وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله ، فان عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور ،

والعبادة لغير الله أعظم كفرآ من الاستعانة بغير الله . فلو ذبح لغير الله ستقرباً إليه لحرم ، ولو قال فيه بسر الله كما فعله طائفة من سفاقي هذه الأمة ، وإن كان هؤلاء مرتدين لا نباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجمع في الذبيحة ما عان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الدخ للجس ، انتهى كلام الشيخ . فأخذ هؤلاء المعترضون السطر الأخير من كلامه أو بعض السطر ، وأخذ المشبه وترك المشبه به لأن في الأول التصريح بردة من دبح لغير الله ، وأن الدبح للجس مباح آخر لأنه مما أهل به لغير الله ، وقوله في العبارة فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور ، والعبادة لغير الله أعظم كفرآ من الاستعانة بغير الله فركوا هذا وسرقوا بعض العبارة واختلسوا منها كاختلاس الشيطان من صلاه العبد واختطافه بعضها ، وفي العبارة التصريح بكفر من استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله خلافاً للعراقي وشيعته من عباد القبور الصادين عن سبيل الله المحرفين للكلم عن مواضعه ، الوارثين لليهود في تحريف كلمات الله وتبديل دينه .

وقال صاحب الروض من كتب الشافعية « إذا ذبح المسلم للنبي ﷺ كفر ، نقله شيخنا رحمه الله وذكره غير واحد من المفسرين في الكلام على (وما أهل لغير الله به) ونقل بعضهم عن فقهاء بخارى أنهم أفتوا بتحريم ما عقر بين يدي الملوك تعظيماً لهم لأنه مما أهل لغير الله به . قال العلامة الشوكاني . قال بعض أهل العلم ، إن أراقه دماء الانعام عبادة لأنها إما هدى أو أضحية أو نسك وكذلك ما يذبح للبيع لأنه مكسب حلال فإنه عبادة ويتحصل من ذلك شكل وضعى هو أراقه دم الانعام عبادة وكل عبادة لا تكون إلا لله ، فأراقه دم الانعام لا تكون إلا لله ، ودليل الكبرى قوله تعالى (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . وإياى فاعبدون . إياك نعبد . وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) انتهى . ويكفى المؤمن في هذا الباب قوله تعالى (قل إن صلاتى ، ونسكى ، ومحياى ، ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقوله تعالى (إنا أعطيناك

الكون ، فصل الموت وانحد (من) فقال الله سبحانه ولا تدناؤ هذا ،
ولكن يناله النفوس منكم . كذلك ستجرها لكم لتكبروا الله على ما سداكم ،
وبشر المحسنين ، فان الاحسان على مراتب الايمان ، ودخول العباداة فيه لان
السياق لما ظاهر لا يخفى .

« وفي المسند عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال : دخل الجنة
رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب ، قالوا كيف ذلك يا رسول الله ؟
قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يحوزه أحد حتى يقرب اليه شيئاً ، فقالوا
لأحدهما : قرب ، قال ما عندي شيء - أقربه ، قالوا : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً
فغفلوا سبيله فدخل النار ، فقالوا للآخر : قرب ، قال ما كنت أقرب لأحد
دون الله عز وجل فصربرا عنقه فدخل الجنة ، فقف على هذا وتأمل حكمة
السريعة وسرها في أحلاص العباداة والتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله ولو بأسطر
شيء كالذباب فكيف بكرائم الأموال والله المستعان ، انتهى .

ثم ان من العجب استدلال هذا الملمد بكلام ابن القيم رحمه الله تعالى في
هذا الموضع وفي غيره مما تقدم .

وهذا الملمد قد ذكر فيما تقدم من قوله : والوهابية قد خبطت كل الخطط
في تنزيهه تعالى حيث أثبت إلا جعل استوائه سبحانه تبرناً على عرشه ،
واستقراراً وعلواً فوقه ، وأثبتت له الوجه واليدين ، وبعضته سبحانه فجعلته
ماسكاً بالسموات على أصبع ، والأرض على أصبع ، والشجر على أصبع ،
والملك على أصبع ، ثم أثبتت له الجهة فقالت : هو فوق السموات ثابت على
العرش يشار اليه بالأصابع إلى فوق إشارة حسية ، وينزل إلى السماء الدنيا
ويصعد . وقد علمت أن نفي هذا وجحده هو مذهب الجهمية ، وقد قال ابن القيم
رحمه الله تعالى .

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
والللكاني الامام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني
فذكر رحمه الله كفرهم عن خمسمائة عالم . وقال شيخ الاسلام لما ذكر أهل

الأنبياء الذين هم من الأنبياء ، وأسرى من الأنبياء ، وعطائفه
هذه الملائكة عند المسيح اللاذخين من أسرى الكفر خلق الله وأسلمهم عن
سواء السبيل .

قال ابن القيم رحمه الله في الخواب المتأني : الشرك تركان ، ترك يتعلق
بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في عبادته ومعاملاته وإن كان
صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ،
والشرك الأول نوعان : أحدهما شرك التعطيل وهو أقمبح أنواع الشرك كسرك
فرعون إذ قال : وما رب العالمين ، وقال تعالى مخبراً عنه (يا هامان ابن لي صرحاً
لعلني أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) فالشرك والتعطيل متلازمان ، فكل
مشرِك معطل ، وكل معطل مشرك ، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل ،
بل قد يكون المشرك مهرباً لا خالق سبحانه وصفاته ، ولكن عطل حق التوحيد ،
وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام : تعطيل
المصنوع عن صانعه وخالفه ، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل
أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ،
والمقصود أن هذا العراقى اجتمع فيه من الكفر تعطيل الصانع سبحانه
عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته فزعم أن الله تعالى ليس على السموات
على عرشه . ولا هو فوقه ، ولا يشار إليه إلى فوق ، بل زعم أنما ورد من
الإشارة إليه في السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء وأن السماء مظهر قدرته ،
وأنكر عروج النبي ﷺ إلى السماء حين أسرى به ، فقال وكذلك العروج إليه
تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع يتقرب إليه بالطاعات ، وأسكر رؤية الله تعالى
في الآخرة ، وأنكر أحاديث النزول ، وذكر أن من قال أن الله ينزل إلى السماء
الدنيا كل آخر ليلة ، فقد زعم أن الله جسم ، وأن الله منزّه عن ذلك ، فعطل الله
من أوصافه وأفعاله المقدسة وأضاف إلى هذا الكفر الشرك في معاملته سبحانه
بإجازته الاستغاثة بغير الله والاستشفاع به ، والالتجاء إليه ، وأن النذر والذبح
لغير الله ليس بشرك إذا اعتقد أن الله هو الخالق المتفرد بالايحاد ، وأنه هو

المؤثر لا يرد ، ومع ذلك ، كما نرى ، كلامه يبيح الإسلام بغير التقييم ، وما
يكفي ذلك ، مع العلم بذلك ، أن الله أراد الناس على خطايسهم ، البصائر ، أن تسبح
الإسلام ، وأن التقييم لا يكفران من يد الله ، أو ذبح لغير الله ، والله سمود
بيان عدالة ، يخروجهم عن الصراع المستقيم ، واتقاء ، غير سبيل المؤمنين ، ربه
من يك عن الصراط المستقيم ، ودخل في جملة أصحاب الحبيب

فصل

(ثم اعلم) أيها القارئ على هذا الكتاب ، والناظر في هذا الجواب الما قد
حررنا فيما مضى سراً على ما أفراه هذا السراق على الوهانية من الكذب
والزور ، والافتك والتفجور ، ونسبهم أنهم توهوا إلى الدولة الأجنبية يسمى
الانقلاب النصارى ، وانهم استعانوا بهم كما ذكره في مقدمة رسالته وفي
آخرها ، قال

دفعناهم فكفر من توسل إلى الله تعالى بنبية يكتفون رسلهم واستشفاعه
إلى الله تعالى على قضاء حوائجهم ، ولا تجعل إذ تسعين الدولة الكفر على
قضاء حاجتها التي هي قهر المسلمين وحترهم ، وشي مصاهم ، والاروق من طاعة
أمير المؤمنين الذي أمر الله تعالى في كتابه أن لا يروم طاعته كما سئلنا في
مقدمات الرسالة ، وتتخذ أعداء الله أو ذرته مدد منهم في احضار القوى التي
سعى بها إلى الفساد ، وتامح في الغربة والاعتماد ، قال الله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سبحانه لا وهابية إنما لا تدري أن
أولئك الأولياء الذين تتخذهم ذريعة لقهر المسلمين إذا ثبت قدمهم فانهم يقهرونها
ويهضمونها أيضاً مع من تعدد خصماً محالفاً لمذهبها ، هذا قول هذا الملحد بحروفه
وجميع ما ذكره من الكذب الفاضح والافتك الواضح على الوهابية بل هؤلاء
الذين يزعم أنهم المسلمون قد ظهر مكشون ما لبسهم ومحصول ما انطوت عليه
صماثرهم من الميل إلى أعداء الله وأعداء رسوله ودينه وهذا الملحد المفتري من
جملتهم ومن أنصارهم وأعوانهم ، فانه قد كذب على الوهابية ورماهم بما هو

در سريره الله ، اهل الاسلام يمسك كتيبه الله ويكسبه على رأسه وناد بجروره
عليه وعلى من تآلم في نصرته بما أظهروه واجتمعوا عليه من الدستور ،
وما أعلنوه من الكائن والمجور ، سنة ١٣٢٦ لست وعشرين عد الثلاثة
والالف فصرحوا فيه انها عيسويه موسوية عثمانية عرية وأن كل هذه
الطوائف المتباينة في أديانها تكون اخوانا وانها تجتمع على حرب من خرج عن
حكم هذا الدستور ، ونصبوا في كل الاماكن من ديارهم مدارس يعلمون الناس
دين النصرانية وجعلوا قاضياً عاماً من الاقلية الكفار يحكم بين الناس لانه
بزعمهم أعلم بالساسات ، يكون ذلك القاضى بمصر فتبين هذا أنهم هم الذين نزعوا
اليهم واتخذوا أعداء الدين أولياء واخواناً وانهم هم الذين سعوا بهذا الى الفساد ،
وولجوا به في الغواية والعناد .

قال الله تعالى : « ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم
أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون » ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ، الآية .

وأنهم هم الذين مرقوا عن طاعة أميرهم وسلطانهم حتى عزلوه وجعلوا
الامر شورى بين من نزح الى أعداء الله ورسوله واتخذوهم أولياء وجعلوهم
اخواناً واخذاء ، فما حكم به هذا الملحد في مقدمات رسالته من مروق الوهاية
بزعمه عاد عليه وعلى اخوانه ، فهلا نصح هذا العراقي نفسه ورجع انبها باللوم
والعتاب ، وترك أهل الاسلام المتمسكين بحكم السنة والكتاب الذين بانوا
أعداء الله ورسوله من جميع الطوائف ولم يدخلوا تحت أوامرهم ، ولا أخذوا
بقوانينهم ولم يبنذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم كما فعله أعداء الله
ورسوله وقد كان من المعلوم والمتقرر المفهوم ان ما حكاه عن الوهاية من
نزوعهم الى الدولة الاجنبية انه من الكذب الظاهر وانه هو وأشياعه هم الذين
نزعوا اليهم وحكموا قوانينهم فبعداً للقوم الظالمين .

وهذا كتاب الله ينادى بكفر من اتخذهم أولياء ، قال الله تعالى : « يا أيها

الذين آمنوا لا تتحدوا بهم - يا أيها الذين آمنوا لا تتحدوا بالذين كفروا ولا تتحدوا بالذين كفروا ولا تتحدوا بالذين كفروا ولا تتحدوا بالذين كفروا
منكم فانه منهم ، ، الآت

وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتحدوا بالذين كفروا ولا تتحدوا بالذين كفروا ولا تتحدوا بالذين كفروا ولا تتحدوا بالذين كفروا
من الذين ارتوا الكتاب من قبلكم والكفار أو ياء واقفوا الله ان كنتم مؤمنين
وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يفقهون إلى غير
ذلك من الآيات وهذا لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل ودين وقد وضح
الحق واستبان وما بعد الحق إلا الضلال

واحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
الذين بذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيد
المرسلين وإمام المتقين وفائد الغر المحجلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وقد فرض على جواب حيل ، جل يقال له
عبد الصمد بن أحمد الأسات وهذا جواب على تقريره ومن الله استمد الصواب .

ألا قل لأهل الجبل من كل ماري	وكل كفور من ذوي النبي ماري
كلام جبل لا جميل فينتي	ولا لسديد يرضى في الطائقي
على أنه همط وحرط ملنق	أكاديب لا تعزى إلى نفل صادق
أنى فيه بالكفر الصريح مجاهراً	وسرضياً ما قد أتى من شفاقي
لعمرى لقد أوهى به مبيع الهدى	وأعلى به سبل الردى بالخارق
وهدي به ركناً من الدين شامخاً	وشاد من الكفران أحمر زاهق
كساب حوى إفكاً وزوراً ومنكراً	وكفراً وتعطيلاً لرب الخلاق
معطل أوصاف الكمال لبنا	وعن كونه من فوق سبع الطرائق
وأسكر معراج الرسول حقيقة	بذات رسول الله سبحانه لمارق
وأوله تأويل من ليس مؤمناً	بمن جاء بالوحيين أصدق صادق
وأسكر رؤيا المؤمنين لهم	فتباً له تبا وسحقاً لمازق

وَأَمَّا كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
مَوْلَانَا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
يُعَذِّبُ الْمُشْرِكِينَ بِمَا كَانُوا
فَاعْدَاءَ لِلْغَيْرِ مِنَ الْإِسْلَامِ
عَلَى كُلِّ أَمْرٍ وَهُوَ رَاضٍ
وَيَتَصَرَّفُ لِلْأَرْجُوهِ حَيْثُ يَحْكُمُ رَاضٍ
وَأِلَّا فَبِالتَّعْذِيرِ مِنْ حَتْمٍ لَدَيْهِمْ
وَيُعَذِّبُهُمْ بِطَائِفَةٍ مِنْ حَتْمٍ
فَلَا عَالِمَ بِالْعِلْمِ فِيمَا لَدَيْهِمْ
وَلَا قَادِرًا ذُو قُدْرَةٍ فَصَاتِهِ
فَلَيْسَتْ مَعَايِبًا بِأَسَاءَ رَبِّنَا
وَقَدِمَ حَكْمَ الْعَقْلِ حَتَّى يَرَوْهُ
لَأَنَّ لَدَيْهِمْ إِنَّمَا الْعَقْلُ أَصْلُهُ
فَتَبًّا لِمَنْ يَبْدَى ثَنَاءً وَمَدْحَةً
فَمَا كَانَ فَجْرًا صَادِقًا فِي ظُهُورِهِ
وَوَاللَّهِ مَا أَبْدَى صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ
وَلَيْسَ يَرُوفُ الْكُفْرَ إِلَّا لَزَائِعُ
وَجُوزَ أَنْ يَدْعَى سِوَى اللَّهِ بِالرَّجَا
وَأَنْ يَسْتَفِثَ الْمُشْرِكُونَ بَعْدَهُ
فَتَبًّا لِمَبَادِ الْقُبُورِ الَّذِينَ هُمْ
فَقَدْ نَبَذُوا الْوَحْيَ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ
رَقْدًا حَكَمُوا عَقْدَ الْإِخْوَةِ بَيْنَهُمْ
وَقَدْ أَحْكَمَ اللَّهُ الْعِدَاوَةَ بَيْنَنَا
وَأَرَاؤُهُمْ لَمْ تَقْضِ إِلَّا إِخْوَةَ
وَعَابُوا عَلَيْنَا بِاتِّبَاعِ نَبِيِّنَا

وَأَمَّا كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
مَوْلَانَا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
يُعَذِّبُ الْمُشْرِكِينَ بِمَا كَانُوا
فَاعْدَاءَ لِلْغَيْرِ مِنَ الْإِسْلَامِ
عَلَى كُلِّ أَمْرٍ وَهُوَ رَاضٍ
وَيَتَصَرَّفُ لِلْأَرْجُوهِ حَيْثُ يَحْكُمُ رَاضٍ
وَأِلَّا فَبِالتَّعْذِيرِ مِنْ حَتْمٍ لَدَيْهِمْ
وَيُعَذِّبُهُمْ بِطَائِفَةٍ مِنْ حَتْمٍ
فَلَا عَالِمَ بِالْعِلْمِ فِيمَا لَدَيْهِمْ
وَلَا قَادِرًا ذُو قُدْرَةٍ فَصَاتِهِ
فَلَيْسَتْ مَعَايِبًا بِأَسَاءَ رَبِّنَا
وَقَدِمَ حَكْمَ الْعَقْلِ حَتَّى يَرَوْهُ
لَأَنَّ لَدَيْهِمْ إِنَّمَا الْعَقْلُ أَصْلُهُ
فَتَبًّا لِمَنْ يَبْدَى ثَنَاءً وَمَدْحَةً
فَمَا كَانَ فَجْرًا صَادِقًا فِي ظُهُورِهِ
وَوَاللَّهِ مَا أَبْدَى صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ
وَلَيْسَ يَرُوفُ الْكُفْرَ إِلَّا لَزَائِعُ
وَجُوزَ أَنْ يَدْعَى سِوَى اللَّهِ بِالرَّجَا
وَأَنْ يَسْتَفِثَ الْمُشْرِكُونَ بَعْدَهُ
فَتَبًّا لِمَبَادِ الْقُبُورِ الَّذِينَ هُمْ
فَقَدْ نَبَذُوا الْوَحْيَ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ
رَقْدًا حَكَمُوا عَقْدَ الْإِخْوَةِ بَيْنَهُمْ
وَقَدْ أَحْكَمَ اللَّهُ الْعِدَاوَةَ بَيْنَنَا
وَأَرَاؤُهُمْ لَمْ تَقْضِ إِلَّا إِخْوَةَ
وَعَابُوا عَلَيْنَا بِاتِّبَاعِ نَبِيِّنَا

الذي لا يملكه إلا الله تعالى
فقدما رأيناكم يحكم الشريف
وكفروا بالطاغوت بين المساكين
وكل جهول مانق يابا للدين
توزع منهاجا لأهل النار
رأى أئمة الكفر من كل دار
وتهدم من أركانهم كل دار
وما قاله إلا أصحاب أهل السوائف
طريقهم من كل جبر مرداف
رعايه أهل الأمن والمناقب
عز الهمم المحررة من كل الأساق

۱۰۰

أبي القاسم الشيرازي بن حسن الأندلسي

طائر السعد والسرور بالآفاق
 أن هذا طالع الزمان بحر
 معلوم بها تعد أخيه الخوص
 أغنى خبر الأنام قدوة نجد
 فسلطان حل قدراً وفضلاً
 سالم العرض والمائل واللاح
 نامع الملحد من به بوعظ
 لسان كواكب الغيث في السر
 يفهم الخضم بالدليل وإلا
 يطلب الحق والرشاد إلى الحق
 دام في العز والسعادة والهج
 في أمان الآله يرمي ويحظى
 مع عبد العزيز آل سعود
 جاهد في الآله حق جهاد
 شاهر السيف والسنان على من
 ناصر الدين تابع الحق أضحى
 دام يرقى إلى المعالي بسعد
 قامع الابتداع من كل قطر
 ما تغنت بلابل الأيك تشدو
 أو حدا بالقريض نجل حسين
 سرور منشراً بالأماني
 ثابت الجأش ماله من ثاني
 وفيها قد قام بالبرهان
 ذا سليمان عالي النيان
 وعلوماً تسمو مدى الملوان
 للاق مما بشر في كل آن
 وكتب نخل مثل السنان
 لم وسيف في حلبة الميدان
 فبعصب يرى كسيف يماني
 ق له ديدن على كل شاني
 مد بنصر وخصمه في الهوان
 بالدي يرتجى ويل الأماني
 نجل عبد الرحمن فخر الزمان
 بسنان وساعد وجنان
 قد غدا ملحداً وذا عدوان
 ثابت الجأش كامل الإيمان
 وبنصر علا على رغم شاني
 مفحم القرن قائم البرهان
 وتلتها حمام الأغصان
 بو خليل في الهند سيف يماني